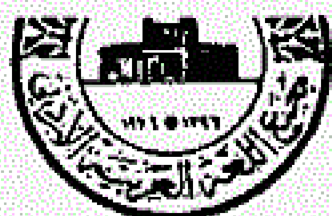
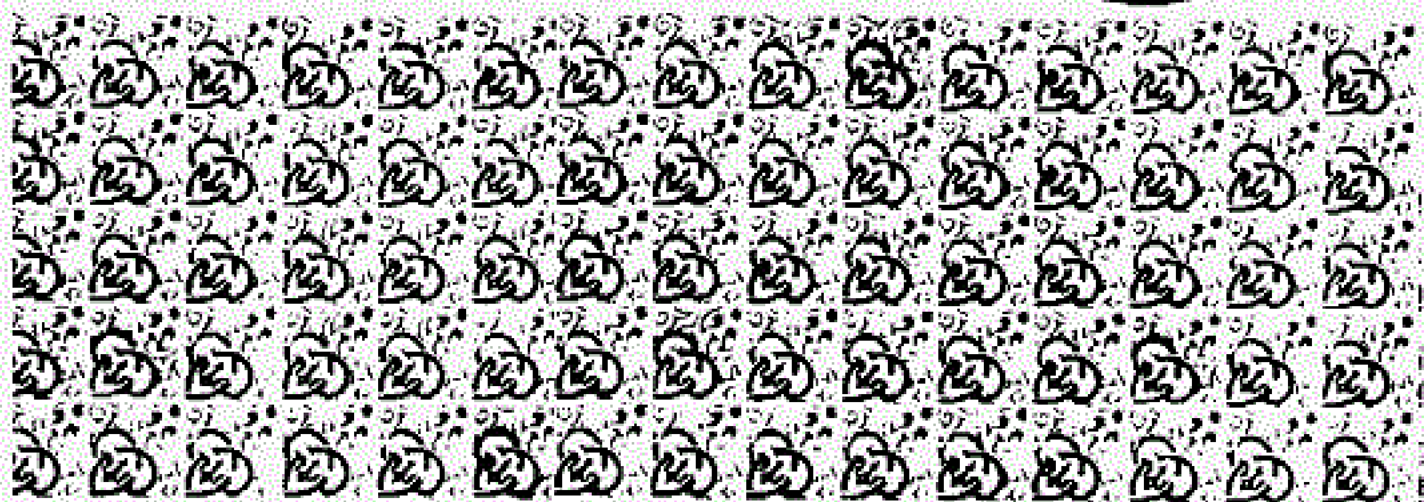
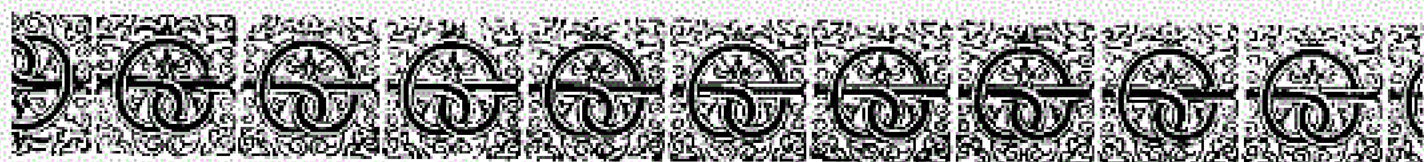




مجلة مجمع اللغة العربية الأردني



السنة الثامنة عشرة

العدد (٤٦)

مجلة
مجمع اللغة العربية الأردني

(مجلة متخصصة محكمة)
تصدر مرتين في السنة

* البحوث التي ترسل إلى المجلة تكون خاصة بها ، ولم يسبق أن نشرت في مكان آخر ، وان تتوافر فيها شرائط البحث العلمي .
* يرسل كل بحث إلى ثلاثة محكمين مختصين ، وفي ضوء تقاريرهم تقرر هيئة التحرير نشر البحث أو الاعتذار عن عدم نشره .
* البحوث غير المجازة لا ترد إلى أصحابها .
* يخضع ترتيب البحوث في المجلة لاعتبارات فنية .
* تقبل للنشر مراجعات الكتب إذا كانت قيمة .
* يجوز للباحث أن ينشر بحثه في مكان آخر ، بعد نشره في مجلة المجمع ، شريطة أن يشير إلى ذلك .

الاشتراكات

في الأردن ثلاثة دنانير سنوياً

في البلاد العربية والأجنبية ثمانية دولارات سنوياً أو ما يعادلها

تضاف أجرة البريد الجوي لمن يشاء ذلك من المشتركين

المملكة الأردنية الهاشمية - عمان - ص.ب ١٣٢٦٨ هاتف ٨٤٣٣٠٠ - تلكس MAGMA - JO. 23441

بسم الله الرحمن الرحيم



مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

العدد (٤٦) | السنة الثامنة عشرة
جمادى الأولى ١٤١٤ هـ - شوال ١٤١٤ هـ | كانون الثاني - حزيـــران ١٩٩٤

مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

العـــدد (٤٦)

الفهـــرس

اســـم الموضوع — رقم الصفحة

أولا : البحـــوث

بسم الله الرحمن الرحيم

المختصرات
وطريقة أدائها باللغة العربية(*)

الدكتور عبد الكريم خليفة

تهدف هذه الكلمة إلى طرح قضية من قضايا كثيرة ، تخص اللغة العلمية العربية في العصر الحديث . وعلى الرغم من الجهود الخيرة التي قامت بها مجامع اللغة العربية ولا سيما مجمعنا بالقاهرة في مجال المصطلحات العلمية ، فإن قضايا اللغة العلمية لم تحظ بعد بالعناية اللازمة ، وما زالت تنتظر مزيداً من الدراسة والتحليل في ضوء المعطيات والمناهج العلمية الحديثة ، ووضع الحلول المناسبة والقواعد الضرورية لإنماء اللغة العلمية العربية . فالهدف الكبير الذي ما زلنا نتطلع إليه يتجسد في تحقيق تعريب العلوم والمعرفة ، وأن تصبح العربية لغة التدريس الجامعي في مختلف مستوياته وفي جميع فروعه ، ولغة البحث العلمي والتقنيات الحديثة . وبهذا الأسلوب وحده تستعيد العربية سيادتها في أوطانها ، وتصبح عاملاً فاعلاً في رقي أمتنا وتحررها .

وإنه لمن البدهي القول باختلاف اللغة الأدبية عن اللغة العلمية من

(*) ألقي هذا البحث في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، في الدورة السادسة والخمسين وذلك في الجلسة الثالثة ، صباح يوم الأربعاء ٣ من شعبان سنة ١٤١٠ هـ الموافق ٢٨ من شباط (فبراير) سنة ١٩٩٠ م .

حيث أساليبها ووضوح مدلولاتها وتحديد مفرداتها . فاللغة العلمية تتحدد بصورة رئيسية بالقواعد التي تنتظم منهجية المصطلح العلمي وأدوات التعبير الأخرى من رموز علمية ومختصرات ومعادلات رياضية وأشكال إيضاحيه ورسوم بيانية وغيرها من أشكال الاختزال والتركيب والرمز . . .

وقد بذلت جهود كبيرة ، منذ مطلع هذا القرن ، ولا سيما في العقود القليلة الماضية ، في مجال وضع المصطلحات العلمية باللغة العربية ، وتحديد منهجية ترتكز إلى قواعد ومبادىء محددة ، تنظم عملية التعريب . وفي هذه العملية واجه علماؤنا قضايا ومشكلات في النقل من اللغات الحديثة المتقدمة التي أنتجت هذا السيل الضخم من العلوم والمعارف الإنسانية في شتى المجالات . وبدأت المجامع اللغوية العربية وبعض المؤسسات العلمية والغيارى من علماء هذه الأمة ، يتلمسون طريقهم للتغلب على هذه الصعاب ، دون أن تكون هنالك سياسة محددة ومناهج واضحة ودقيقة ، متفق عليها ، تلتزمها الجامعات والمؤسسات العلمية العربية في التطبيق . وكان نتيجة ذلك ما أشار إليه زميلنا العالم الجليل الدكتور محمود مختار ، في محاضرته القيمة التي ألقاها في ندوة عمان التي عقدها اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في المدة الواقعة بين ٢٧ من جمادى الأولى – ٢٩ من جمادى الأولى سنة ١٤٠٧ هـ الموافق ٢٧ كانون الثاني – ٢٩ كانون الثاني /يناير سنة ١٩٨٧م ، إذ يقول :

«ولكن يؤسفني أن أقول : إن هذه المعاجم (يشير إلى ما نشر من معاجم للمصطلحات العلمية) لم تخل من الشوائب التي أصابت اللغة العلمية ذاتها بشيء من الوهن والقصور . . . والتي كان من آثارها ظهور المصطلح الواحد المتخصص ، بعدد من المقابلات العربية ، وهو ما ترفضه اللغة العلمية تماماً ، لما ينشره من بلبلة ولبس بين العلميين . . .»

وإن قضية الرموز العلمية العربية ، التي كانت موضوع الدراسة في تلك الندوة ، كانت في الواقع إحدى المشكلات التي واجهت مجمع اللغة العربية الأردني منذ أواخر السبعينات ، عندما بدأ حملته لتعريب التعليم الجامعي . فقد أقر المتخصصون أن الترجمة برموز أجنبية إنما هي مجرد ترجمة ، وليست تعريباً للعلم ، وأن التعريب ، إنما يتطلب إنبات العلم في بيئة عربية خاصة .[(١)] وأن للرمز إيحاءات خاصة لا تنقل بانتقال الرمز من لغة إلى أخرى .

وأدى تسارع الحركة العلمية منذ الحرب العالمية الثانية ، إلى دخول فيض كبير من المصطلحات العلمية والتسميات بكلمات متعددة وعبارات طويلة في اللغات الأجنبية المتقدمة مثل الإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية . وقد رأوا في مؤسساتهم اللغوية والعلمية أن ينأوا عن تكرار هذه العبارات الطويلة ، توفيراً للوقت والجهد وتيسيراً للفهم والإفهام فلجأوا إلى أسلوب المختصرات (Abbreviations) ، وذلك بوضع أشكال معينة للتعبير عن المعنى بصورة رمزية مختزلة ، وفق قواعد محدّدة ومتعارف عليها ، فاختصروا الكلمات في حروف تكون عادة أوائل كلمات المصطلح .

لقد دلت نتائج البحوث اللغوية ، أن الاتجاه العام لجميع اللغات هو نحو تقصير الصيغ للكلمات . وأن هذا الاتجاه واضح كل الوضوح في مسيرة العربية عبر تاريخها التُّراثي الطويل . واعتبر «النحت» في العربية جنساً من «الاختصار» فكانت العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة ، كقولهم : «رجل عبشمي» منسوب إلى اسمين وقولهم «حيعلة» من «حي على» ، وتسارع هذا الاتجاه نحو «الاختصار» بعد ظهور الإسلام ، فقالوا : «البسملة»

(١) انظر : مشروع مجمع اللغة العربية الأردني للرموز العلمية ، ص٧ .

من عبارة «باسم الله» ، و «الهيللة» من «لا إله إلا الله» ، و«الحولقة والحوقلة» من «لا حول ولا قوة إلا بالله» «والحمدلة» من «والحمد لله» و «الجعفدة» من «جعلت فداك» و«السبحلة» من «سبحان الله» . . . وأصبحت «الحيعلة» تعني قول المؤذن «حي على الصلاة ، حي على الفلاح» . . .(1) .

وما زال «النحت» في اللغة يراوح مكانه في هذا المجال المحدود ، وهو مع ذلك يكوِّن رافداً من روافد إنماء العربية . وما فتئت العربية أن وجدت نفسها ، منذ بداية القرن العشرين تستيقظ على طوفان من المصطلحات العلمية في مختلف مجالات المعرفة . ولذا كان على العربية أن تستعمل جميع أدوات التعبير من أجل استيعاب المصطلحات والمعاني الجديدة . . . وكان النحت والاشتقاق والنقل والمجاز والاختزال والتركيب والتعريب ، من أهم الأدوات ،ولا سيما في موضوع إيجاد المقابلات العربية للمصطلحات والرموز العلمية والمختصرات . . . وعلى الرغم من الدراسات التي عالجت هذه القضايا اللغوية المهمة ، إلا أنها لم تصل إلى مرحلة التنظيم وفق قواعد محدَّدة . فكثيراً ما تختلط مفاهيم أدوات التعبير مثل النحت والاختزال والمختصرات والرموز . . . إلخ ، ولا سيما أنها ذات طبيعة متداخلة .

وللغة العربية تجربة خصبة في استعمال مختلف أدوات التعبير هذه ، وإن دراسة هذه التجربة التُّراثية ، لتشكل أساساً في وضع القواعد المحددة للإفادة من الاستعمال الواسع للرموز والمختصرات العلمية في العصر الحديث .

شاع استعمال «المختصرات» في اللغات الحية في هذا القرن ، لا سيما منذ الحرب العالمية الثانية . وهي في اللغات الأجنبية المتقدمة تخضع لقواعد

(1) انظر : السيوطي ، المزهر ، ج1 ص ٤٨٢ - ٤٨٥ .

محددة ، بصورة عامة ، وتَسْتعمل عادة أوائل حروف الكلمات التي تكوِّن العبارة أو المصطلح ، وتكتب وفق نظام متفق عليه . وأصبح هذا الأسلوب يجد طريقه إلى كتاباتنا العربية ، ولا سيما العلمية منها في العصر الحديث . ولكن غياب الدراسات اللغوية لموضوع «المختصرات» هذا ، وعدم التوصل إلى وضع قواعد تحدد استعمالها في الكتابة العربية ، قد أعاق انتشارها من ناحية ، وأوقع الفوضى والتناقضات من ناحية أخرى . فالعفوية والاجتهادات الفردية ، ما زالت مع الأسف هي الطريق الرئيسي ، الذي تشيع من خلاله أدوات التعبير العلمية الحديثة ، سواء أكان ذلك في مجال العلوم التطبيقية والإنسانية أم في مجال الحياة الحضارية .

فإذا كانت الرموز العلمية ، تتصف بالخصوصية والثَّبات ، فإن «المختصرات» تتصف بالشمولية والتغير . إنها تتجاوز مجال العلوم إلى دلالات الحياة بأوسع معانيها ، وهي في الوقت ذاته ، أداة تعبر عن دلالات آنيّة ، تختفي من الاستعمال باختفاء هذه المدلولات من واقع الحياة . فهذا «المختصر» مثلاً الذي يدل على حلف عسكري أو دولي معين ، يختفي من الاستعمال بانتهاء هذه الأحلاف وتلك المنظمات . . .

وأدت العفوية في دخول «المختصرات» إلى الكتابة العربية الحديثة ، إلى فوضى في الاجتهاد وتناقضات تصل إلى حدّ التفكه أحياناً ،وأحياناً أخرى تفتح الباب إلى إدخال الحروف الأجنبية بلفظها الأعجمي في سياق الكتابة العربية . وإن هذا الحال لشيء مؤسف حقاً ، والأمثلة على ذلك كثيرة .

لنأخذ مثلاً اسم إحدى المنظمات العربية والمختصرات التي شاعت

للدلالة عليها ، فالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، أشاعت من حيث الواقع «المختصر» (ALECSO) وهذا المختصر بحروفه الأجنبية قد تطور من الكتابة بحروف كبيرة ، يفصل بينها النقط إلى كلمة واحدة ، إنجليزية اللفظ والدلالة . . . ثم تجاوز الأمر إلى كتابتها بالحروف العربية (ألكسو) على طريقة التعريب من حيث إدخال الكلمة الأعجمية كما هي في العربية ، وتطبيق قواعد العربية عليها . لا شك أن هذا اللون من التعريب ، تقبله العربية من حيث المبدأ ويشكل واحداً من الروافد المهمة الكثيرة التي تمد العربية بالحياة المتجددة وباستيعاب كل ما يصل إليه الفكر الإنساني من معارف وعلوم ، ولكنه في هذا المقام يدعو إلى العجب . وإن نظرة فاحصة ، لهذا المسار الذي سلكته «المختصرات» ، على نهج المثال الذي أوردناه تبين لنا مقدار عقم هذا الأسلوب وتناقضه واستخفافه برونق العربية وخصوصياتها من حيث هي لغة نامية ومتطورة . فإن حروف (A. L. E. C. S.O.) ، هي الحروف الأولى للكلمات التي يتألف منها اسم المنظمة العربية باللغة الإنجليزية وهو :

Arab League Educational Cultural and Scientific Organization

وإن كل حرف يوحي باللفظة التي ينتسب إليها ، وإنه بسبب الشيوع أصبح المختصر كلمة واحدة ، وسقطت النقط ، ومع ذلك بقيت إلى حد ما موحية تذكر بأصولها الإنجليزية . ولكنها عندما انتقلت إلى العربية بلفظها الأعجمي ، وكتبت بالحروف العربية (ألكسو) أصبحت لفظة صماء ، مقطوعة الجذور والأصول ، فضلاً عن الهجنة التي تكتنفها .

ومثل ذلك يقال في «المختصر» الذي أشيع استعماله في تسمية «المنظمة

الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة» . فقد سلك «المختصر» الأسلوب ذاته وسار على الطريق إياه . فقد وضع «المختصر» لاسم المنظمة باللغة الإنجليزية واسمها باللغة الإنجليزية هو :

Islamic Educational, Scientific and Cultural Organization

فوضع المختصر بأن أخذ الحرف الأول من كل كلمة من هذه التسمية ما عدا حروف العطف فأصبح على هذا الشكل : (I. S. E. S. C. O.) ثم سقطت النقط ليكوّن كلمة واحدة مؤلفة من الحروف الكبيرة فأصبحت هكذا (ISESCO) ، ثم وجدت طريقها مع الأسف إلى الكتابة العربية بلفظها الأعجمي فأصبحت تكتب بالحروف العربية (أسيزكو) . . .

سار هذا الأسلوب في هذين المختصرين على غرار الأسلوب الذي اتخذته منظمات الأمم المتحدة السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية . . . وإن المثالين اللذين أوردناهما قد استوحيا تسمية المنظمة الدولية (U. N. E. S. C. O.) ، فقد شاع هذا «المختصر» ودخل في كتابة جميع اللغات تقريباً في العصر الحديث ، ودخل فيما دخل في الكتابة العربية ، وقد عُرِّب بكتابته بالحروف العربية ، وإدخال «أل» التعريف عليه . . . ونحن نجد في هذا المسار ، أسلوباً صحيحاً ، وطريقاً سليماً في استيعاب العربية هذه المختصرات التي أصبح لها وجود عالمي والأمثلة كثيرة على ذلك . فقد أصبح كثير من هذه المختصرات كلمات لا توحي بأصولها ولا تنم عن جذورها ، وبدأت تكوّن مصطلحات ذات دلالات علمية محدّدة مثل : الليزر والأيدز . . . إلخ .

وإنه لمن العبث الذي يدعو إلى الاستهجان والحزن عندما تَسْتَعْمِلُ كثير من الأدبيات في الوطن العربي اسم «اليونسكو العربية» للدلالة على «المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم» أو «اليونسكو الإسلامية» للدلالة على المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة . . . أو أنها تشيع المختصرات بألفاظها الأعجمية مكتوبة بحروف عربية!!!

ونحن نعتقد أن هذه الفوضى التي تكتنف المختصرات ، مثل ما تكتنف كثيراً من أدوات التعبير الحديثة ، وهذا التخبط الذي نلمسه في أساليب استعمالها ، يهيب بنا إلى دراسة جميع المشكلات الخاصة بأدوات التعبير ، والأساليب التي تغني العربية وتجعلها قادرة على مواكبة المسيرة العلمية الحديثة ، في عصر التفجر العلمي ، ونحن نحث الخطى نحو فجر القرن الواحد والعشرين .

فإشاعة أسلوب «المختصرات» في كتاباتنا العربية يقضي بأن تأخذ المجامع والهيئات اللغوية العربية على عاتقها دراسة المشكلات التي تنشأ عن ذيوع استعمال المختصرات ، ووضع قواعد محددة تنظم كيفية صياغتها ، وإضفاء رونق العربية عليها ، ونظمها في سياق الجملة العربية السليمة . فيتناول البحث المختصرات الأجنبية التي شاع استعمالها في حياتنا العامة مثل : اليونسكو والليزر . . .إلخ ، وكذلك المختصرات التي تتداولها اللغات الأجنبية المتقدمة ، ولما يَشعْ استعمالها في لغتنا ، فما السبيل إلى استيعابها؟ أيكون ذلك بأخذ هذه المختصرات بحروفها الأعجمية أم المحافظة على نطقها الأعجمي وكتابتها بالحروف العربية . وهل تكتب هذه الحروف العربية بشكلها المقطع مفصولة بعضها عن بعض ، وهل تكون الفاصلة نقطة أو شولة!! أو أن

تكتب هذه الحروف العربية بشكلها المتصل مكونة كلمة أو مقطعاً من كلمة!! .

وربما نتحول إلى أسلوب آخر ، ينطلق من ترجمة المصطلح أو الاسم إلى العربية ، سواء أكان مؤلفاً من كلمة واحدة أم عدة كلمات ، وأن يؤخذ الحرف الأول من كل كلمة عربية ، بعد تجريدها من أل التعريف ، ويكون من أوائل هذه الكلمات مجموعة من الحروف ، تكتب بشكلها الهجائي المقطع (أ ب ت ث ج . . إلخ) وهنا أيضاً يرد التساؤل ، فهل يكتب المختصر بهذه الحروف المقطعة مع فواصل بينها سواء أكانت نقطة أم شولة . . . أم أنها تكتب دون فواصل ، ويجري نطقها بأسماء الحروف (ألف باء جيم دال . . .) أم أنها تكتب بالحروف المتصلة وتنطق كلمة دالة على معنى اصطلاحي معين؟ لنأخذ مثالاً على ذلك وليكن المختصر (حماس) فهو مختصر (حركة المقاومة الإسلامية) . . . إلخ ، وربما كان لطبيعة الحروف المجتمعة وما تؤديه أحياناً من لفظ يخف على السمع ويسهل على اللسان ، دور في صياغة المختصر على شكل ألفاظ مقبولة أو بقائها حروفاً تنطق بأسمائها (حاء ، ميم ، سين) . وإذا كان الإجماع تاماً على تجريد الأسماء من أل التعريف ، عندما يؤخذ الحرف الأول من كلٍّ منها ، فإن التساؤل ما زال باقياً حول حروف الجر وأدوات الشرط والاستفهام والضمائر المنفصلة وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة وظروف الزمان والمكان . . . إلخ ، التي قد تؤلف جزءاً من تلك التسمية أو ذلك المصطلح الذي نريد وضع «مختصر» له . وربما تدعو الحاجة إلى استعمال «النسبة» إلى هذا الاسم أو المصطلح فكيف تتم النسبة؟ ، ومتى تستساغ النسبة إلى «المختصر»؟ ومتى يمكن أن تكون النسبة إلى التراكيب والعبارات؟ وما هي القواعد اللغوية التي تضبط ذلك كله؟ . . . إلخ .

وجملة القول ، فإن ذلك كله يتطلب من المجامع اللغوية العربية وضع قواعد محدّدة ومنهجية ملزمة ، يتم الاتفاق عليها ، تحدد طريقة وضع «المختصرات» وغيرها من أدوات التعبير التي راج استعمالها في اللغات الأجنبية المتقدمة ، وتوضح أساليب استعمالها في الكتابة العربية . وقد هداني الاهتمام بهذا الموضوع ، والاطلاع على بعض ما كتب حوله ، قديماً وحديثاً أن أتقدم إلى مؤتمرنا العتيد ببعض الأفكار التي يمكن أن تشكل الخطوط العريضة لقواعد محدّدة يتم الاتفاق عليها ، تنظم طريقة أداء «المختصرات» وكيفية استعمالها باللغة العربية . وقبل أن أجمل هذه الأفكار ، أقول : عَرَفَت العربية منذ تاريخها المبكر أدوات التعبير المختلفة من رموز ومختصرات وغيرها ، ولكن ظروف استعمالها كانت محددة وفي مجالات معينة . إن التطور العلمي الحديث وتفجر المعرفة وتسارعها ، يحتم علينا إيجاد قواعد محددة يلتزم بها في وضع الرموز والمختصرات وتعميمها في الكتابة العربية ، من أجل أن تفي العربية بمتطلبات العصر الحديث وتواكب مسيرة اللغات الأجنبية المتقدمة . فالعربية الخالدة ، لغة القرآن الكريم ، ثابتة من حيث نحوها وصرفها ، ولكنها لغة نامية ومتطورة من حيث أساليبها ومفرداتها فلها من خصائصها الذاتية وأدوات التعبير ما يجعلها قادرة على استيعاب كل ما يجد من معارف في مختلف العصور .

وإنني إذ أعزو الفضل لأصحابه من العلماء والباحثين الذين تناولوا هذا الموضوع من جوانبه المختلفة ، لأود أن أورد القواعد العامة التي ربما تصلح أن تكون منطلقاً للاتفاق على قواعد محددة توضح كيفية وضع «المختصرات» وأساليب استعمالها في الكتابة العربية ، وذلك على الشكل التالي :

أولاً : يؤخذ ما جاء في التراث من «مختصرات» كما هي ، سواء أكانت عن طريق النحت أم عن طريق التركيب أو الاختزال أو الرمز ، باعتبارها نقلية سماعية ، لا يقاس عليها ، ولا نخضعها لقواعد «المختصرات» الحديثة ، مثال ذلك : البسملة والحوقلة ، والحمدلة والحيعلة . . . إلخ . ونقول بعدم القياس في وضع هذه الكلمات ، كي نتجنب الخروج عن القاعدة والدخول في فوضى الاجتهادات الفردية .

ثانيـاً : قبول «المختصرات» الأجنبية التي أصبح لها وجود عالمي في اللغات المتقدمة ، وإدخالها في الكتابة العربية باعتبارها كلمات أعجمية ، دون النظر إلى أصولها أو إيحاءاتها . وتكتب بالحروف العربية المتصلة ، وذلك على سبيل «التعريب» . وتجري عليها قواعد العربية من حيث التعريف والتنكير والتثنية والجمع والنسبة عند الحاجة ، ومن حيث السياق والتركيب : فنقول : اليونسكو والليزر والرادار والأيدز . . . إلخ ونقول في النسبة : الليزري والراداري واليونسكي . . . إلخ .

ثالثـاً : قبول «المختصرات» الأجنبية لأسماء الأعلام ، كما هي ، وكتابتها بالحروف العربية وفق نطقها الأعجمي .

رابعـاً : يوضع «المختصر» للتسميات العربية ، سواء أكانت هذه التسميات عربية الأصل والمنشأ أم أنها تستعمل في الدوائر الرسمية أو الجيش أو المؤسسات العامة والخاصة أو الشركات أو يكثر استعمالها وترددها في الحياة العامة ، وذلك وفق القواعد التالية :

١ - يؤخذ الحرف الأول من كل اسم بعد تجريده من «أل» التعريف ،

ومن كل كلمة بعد تجريدها من «الزوائد» . ويكتب المختصر بالحروف المنفصلة دون وضع إشارة فصل بينها . وتلفظ الحروف العربية بأسمائها ، فنقول مثلاً : جيم ميم عين ، عند كتابة (ج م ع) . وإذا كان المختصر يشكل كلمة واحدة سهلة اللفظ ، سائغة الاستعمال ، فتكتب بالحروف المتصلة ، وتلفظ الحروف بأصواتها في بنية الكلمة ، فنقول مثلاً : مآب بدلاً من «مؤسسة آل البيت» . . وإذا كان المصطلح أو الاسم كلمة واحدة ، يؤخذ الحرفان الأول والثاني من الكلمة ، بعد تجريدها من أل التعريف والزوائد . ويكتب بأشكال الحروف المتصلة ، وتلفظ الحروف بأسمائها فنقول :

«سين ميم» «للمختصر» «سم» بدلاً من «سنتمتر» و «تاء عين» «للمختصر» «تع» بدلاً من «تعاونية» . و «ميم خاء» «للمختصر» «مخ» بدلاً من «مخطوطة» وهكذا .

٢ - لا ينظر في العبارة التي تكون التسمية أو المصطلح ، إلى حروف الجر والعطف وأدوات الاستفهام والشرط والتنبيه وأدوات النداء ، ولا إلى الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة . .

٣ - يؤخذ الحرفان الأول والثاني من الكلمات الدالة على الظرف ، وتلفظ الحروف بأصواتها أي باعتبار بنية الكلمة ، وتكتب بالحروف المتصلة ، مثال ذلك : «قَبْ» بدلاً من «قبل» و «تَحْ» بدلاً من «تحت» و «شَمْ» بدلاً من «شمال» و «بَعْ» بدلاً من «بعد» .

خامساً : وبالنسبة إلى المختصرات الأجنبية التي تدعو الحاجة إلى استعمالها

في الكتابة العربية ، فيتم ترجمة المصطلح أو التسمية ، كما هو في الأصل ، إلى اللغة العربية . ثم يعامل في كيفية وضع «المختصر» ، معاملة التسميات العربية كما ورد في البند الرابع . مثال ذلك : المختصر الإنجليزي (.M.O) يعني بدلاً من المصطلح الإنجليزي (Money Order) ، فيترجم هذا المصطلح إلى العربية ، ويصبح : «حوالة مالية» ، ثم يوضع له المختصر باللغة العربية ، وفق القواعد التي ذكرناها فيكون على الشكل التالي (ح م) ويلفظ بأسماء الحروف أي (حاء ، ميم) . . .

وإذا كان المصطلح أو الاسم كلمة واحدة وأردنا أن نضع له مختصراً ، فتجري عليه القواعد نفسها التي ذكرت سابقاً ، مثال ذلك ، فإن المختصر باللغة الإنجليزية ".MS" يعني بدلاً من التسمية الإنجليزية (Manuscript) . يترجم هذا المصطلح الأخير إلى العربية فيصبح «مخطوطة» ، ثم يوضع له «المختصر» باللغة العربية : «مخ» ، بأن يؤخذ الحرف الأول والثاني من كلمة «مخطوطة» ، ويكتبان بالحروف المتصلة ، ويلفظان حسب أسماء الحروف ، وقد يوحي «المختصر» بأن تلفظ عبارة المصطلح بكاملها ، إذا أصبح ذلك شائعاً ، كما هو الحال في مختصر «ص» ، فيكون النطق دائماً بلفظ العبارة « ﷺ » . وهنا يتداخل مفهوم «الرمز» مع مفهوم «المختصر» . . .

سادساً : الالتزام باستعمال قواعد وضع «المختصرات» واستعمالها في الكتابة العربية ، وأن تحتوي المعاجم والموسوعات والكتب العلمية العربية

المتخصصة والعامة ثبتاً بالمختصرات التي استعملت في هذه المصنفات، ترجمة أو تأليفاً . . .

سيدي الرئيس الجليل، أيها الأساتذة العلماء، لا أزعم أنني أتيت بشيء جديد، بما عرضته من أفكار عامة وخطوط عريضة في محاولتي تلمس الطريق في هذه المسألة اللغوية، ولكنني أرجو أن أكون قد وفقت في جلب الانتباه إلى ضرورة دراسة المشكلات التي تواجهها العربية، ونحن نستشرف القرن الواحد والعشرين، حيث يلوح في الأفق البعيد فجر حضارة جديدة. وإن أمتنا العربية لمدعوة إلى اللحاق بركب الحضارة، والمشاركة المبدعة فيها، وإنه لا يجوز لها التخلف أو التقصير والاختلاف، فالقضية تمس هويتها ووجودها الحضاري. وإنها مدعوة بكل إمكاناتها، لتجاوز مرحلة التبعية الفكرية والاستعمار العلمي الذي أبعد العربية من أن تمارس سيادتها في أوطانها، وأن تكون لغة التدريس العلمي الجامعي ولغة البحث العلمي في جميع مستوياته، ولغة التقنيات الحديثة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

المصـــادر

١ - إبراهيم السامرائي ، المختصرات والرموز في التراث العربي ، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، العدد (٣٢) ، عمان ، سنة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م .

٢ - سيد رمضان هدارة ، المصطلح العلمي بين الترجمة والتعريب . ندوة عمان (اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية) ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م .

٣ - عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، ج ١ - ٢ ، القاهرة ، ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨م .

٤ - عبد المجيد نصير ، منحوتات البدوء ، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، العدد (٣٢) ، عمان ، سنة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م .

٥ - مجلة «اللسان العربي» ، مكتب تنسيق التعريب بالرباط ، العدد الرابع والعشرون .

٦ - محمود شكري الألوسي ، كتاب النحت وبيان حقيقته ونبذة من قواعده ، تحقيق محمد بهجة الأثري ، بغداد ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م .

٧ - محمود مختار ، اللغة العلمية العربية ، سماتها ومفرداتها ورموزها ، ندوة عمان (اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية) ، ١٤٠٧ هـ /١٩٨٧م .

٨ - مشروع مجمع اللغة العربية الأردني للرموز العلمية العربية ، عمان سنة ١٩٨٥م .

٩ - نهاد الموسى ، النحت في اللغة العربية ، الرياض ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤م .

التكوّن التاريخي
لاصطلاحات البيئة الطبيعية والفلك

أ . د. يحيى عبد الرؤوف جبر
استاذ علمي الدلالة وفقه اللغة بجامعة النجاح الوطنية

تمهيـــد

لا يعرف تاريخ محدد لنشأة ألفاظ اللغة ، وإن أقدم ما نجدها فيه ، هو تلك النقوش التي عثر عليها قديماً وحديثاً في أنحاء متفرقة بين تونس والفرات ، وبين هضبة الحبشة وحلب ، وليست في مجموعها نقوشاً عربية محضة ، ولا تقدم لنا تصوراً واضحاً لتكوّن ألفاظ اللغة ما كان منها لعلاقة بالبيئة أم بغيرها ، وذلك لفقرها وانصبابها في صيغ معينة ، بالإضافة إلى قصرها وعدم التثبت منها .

غير أن منها ما يشير إلى أن بعض ألفاظ البيئة الطبيعية يعود إلى العصر الذي نقشت فيه ، ومن ذلك ما ذكره الهمداني[1] عن نقش باليمن أورد جانباً منه هو« . . . من كريب ذي مأذنم أهل تهامة وطودم» حيث يشير إلى أن كلمة «طود» بمعنى الجبل قد سبقت إلى الوجود ذلك النقش ، ومن ذلك النقش الذي أورده إسرائيل ولفنسون في كتابه تاريخ اللغات السامية[2]« . . . بمقم مراهيمو عثتر شرقا اشمسهو والآل تهمو وباخيل ومقيمت خميس» وترجمته : بمجد سيدهم عثتر المشرق وآلهتهم الشموس وسائر الآلهة ، وبحول الخميس

وقوته . .» أي الجيش وقوته ، حيث جاء ذكر الشمس وأنهم كانوا يعبدونها هي وغيرها من أجرام السماء .

أما الأدب الجاهلي ، فهو أوفى ما يقفنا على تكون تلك الألفاظ في اللغة العربية لوفرته ، وورود ألفاظه في تراكيب مختلفة تمكّن من التعرف إلى دلالتها بالإضافة إلى كثرة الألفاظ التي تنصرف لمسمى واحد ، التي تشترك فيها دلالات مختلفة مما يضع أمام الدارس عدداً ضخماً من الألفاظ التي تصلح لدراسة يخرج منها الباحث بنتائج كثيرة .

والأدب الجاهلي نهر يعرف منتهاه ولا يعرف أوله في الزمان متى كان ، ولكنه يطلق على تركة العرب الأدبية قبل الإسلام ، والأدب بصفته واحداً من أهم الفنون التي تعالج الحياة الإنسانية ، يتأثر بما تتأثر به الحياة ذاتها ، وتظهر فيه العوامل التي تحكم النفس البشرية وتوجه نشاطها ، وأهم تلك العوامل على الإطلاق البيئة بمعناها الشامل ، غير أن ما يعنينا هنا هو جانب يعد أهم جوانبها وهو البيئة الطبيعية ، فإذا رجعنا إلى العصر الجاهلي ودرسنا آدابه فإن ذلك يلزمنا بأن نعي ما كانت عليه بيئة ذلك العصر ، تلك البيئة التي لم تتغير تغيراً ملموساً ، الأمر الذي قد نقف على أبعاده من خلال استقرائنا لحاضر شبه جزيرة العرب الجغرافي ، ومن خلال ما حفظته يد الزمان من أشعار الجاهلية .

شبه جزيرة العرب : نبذة عامة

تقع شبه الجزيرة العربية في الجزء الغربي من قارة آسيا ، وقد كانت قديماً متصلة بإفريقيا حيث كان مكان البحر الأحمر رتقاً ، ثم فتق نتيجة خسف حدث في الزمن الثالث من الأزمنة الجيولوجية[٣] ويحدها من الشرق الخليج العربي وخليج عمان ، ومن الجنوب بحر العرب ، ومن الغرب البحر الأحمر وشبه جزيرة سيناء .

وتغطي الرمال معظم أنحائها متمركزة في مناطق خمس رئيسية هي :

أولاً : صحراء النفوذ الجاثمة في ركنها الشمالي .

ثانياً : الربع الخالي ، الذي يترامى في منطقة تمتد من أطراف عسير الشرقية إلى واحة البريمي ، ومن جدة الحراسيس وظفار جنوباً إلى أكناف نجد شمالاً .

ثالثاً : صحراء الدهناء والصمان ، وهما تمتدان بين الصحراوين السابقتين واصلتين بينهما .

رابعاً : بادية الشام ، وتقع محاذية صحراء النفوذ متوغلة في بلاد الشام .

خامساً : صحراء السماوة ، وتقع شرق بادية الشام ، وتمتد في العراق إلى حد غير بعيد من الجزيرة الفراتية .

وتمتد في غرب شبه جزيرة العرب سلسلة جبلية تنتظم تلك الجهة من أقصاها إلى أقصاها ، تعرف بسلسلة جبال السراة ، وتتصف هذه السلسلة بأنها تزداد ارتفاعاً كلما اتجهت جنوباً ، وأنها تنحدر انحداراً شديداً يشبه الخسف

تجاه الغرب ، حاصرة تهامة بينها وبين البحر الأحمر ، وتتراخى تدريجياً تجاه الشرق ، وهناك سلسلة أخرى تعترض في سرة شبه الجزيرة كالهلال ، تعرف بجبال طويق ، وهناك في الشمال أجبال طي : أجأ وسلمى ومواسل ، وفي قرنها الشرقي الجبل الأخضر من بلاد عمان .

وتغطي الحرات كثيراً من أرجائها ، مما يشير إلى أن براكين كانت قد ثارت فيها ، وذلك في زمن سبق الإسلام ، وانتهى في صدره الأول على نحو سنبينه فيما بعد .

وإذا تناولنا مناخ شبه الجزيرة ، فإننا نجد هناك إقليماً يحاذي البحر الأحمر من مكة إلى عدن ، محصوراً بينه وبين جبال السراة - وهو يعرف بتهامة أو الغور - ويمتاز بارتفاع الحرارة صيفاً إلى درجة عالية مع ارتفاع نسبة الرطوبة ، وباعتداله شتاء ، الأمر الذي يهيىء للمزارعين هناك فرصة مناسبة لزراعة بعض المحاصيل وبخاصة الذرة والدخن ، وتنزل أمطار هذه المنطقة صيفاً وذلك بفعل الرياح الموسمية . وتمتاز المناطق الجبلية بمناخ معتدل صيفاً بارد شتاء . أما بقية أنحاء شبه الجزيرة فمناخها صحراوي بارد شتاء وليلاً ، حار جاف صيفاً ونهاراً ، وقد يكون رطباً وذلك في أسياف الخليج العربي . وتنزل الأمطار على بلاد العرب في الشتاء والصيف ، حيث تنزل على اليمن وجنوب السعودية صيفاً ، وعلى المناطق الشمالية شتاء . ولا يكون نزولها في الشمال غزيراً إلا نادراً ، بل قد يحتبس سنين ، الأمر الذي كان يهدد حياتهم بالخطر .

وتهب على شبة الجزيرة رياح من جهات شتى ، كرياح السموم ، تلك الرياح المهلكة التي تشوي الوجوه بحرارتها وبما تثيره من رمال . ورياح الشمال ، وهي باردة نسبياً ، وريح الصبا ، وهي الشرقية . ولقد كانوا يتغنون بهذه الريح

لرقتها وسهولة مَرّها . وقد مكّن نزول الأمطار بوفرة على جنوب الجزيرة سكان تلك المنطقة المستقلة من إقامة حضارة عريقة تتمثل في مخلفات سبأ وحمير ، الذين بنوا السدود وشيدوا المدن والقصور ، وعمروا البلاد بما لا تزال بقاياه شاهدة على عظمتهم ومدى تقدمهم مما لم يتسن للشماليين الذين لم يعرفوا الاستقرار الاجماعات قليلة منهم كانت تسكن الواحات المتناثرة هنا وهناك .
ولما كان المطر قليلاً في معظم أنحاء الجزيرة العربية ،وكانت حياتهم مرتبطة به ارتباطاً جوهرياً ، فقد كان لزاماً عليهم تتبع مساقطه ،والبحث عن مصادر ماء أخرى كالعيون والينابيع ، بل كثيراً ما اضطرهم طلبه إلى ملاحقته في باطن الأرض ، فحفروها واستخرجوا ما ترشح به ، وتلك الحفائر هي ما يعرف بالأحساء والركايا .

ولذا فقد كان عرب الجاهلية دائمي التنقل طلباً للماء والكلأ ، ولقد كان ذلك قدرهم وكان عليهم إما أن يستسلموا للعطش والجوع فالموت ، وإما أن يقهروا هذا الثالوث ، فاختاروا مجالدته فأعياهم طلبه واستمرت الحياة ، فضربوا بذلك المثل الأعلى في الصبر والتحايل لأسباب الحياة .

أثر البيئة في الشعر الجاهلي

لم يكن الشاعر الجاهلي بمعزل عن خضم الحياة الجافة الجافية ، ولم يكن حجراً أمام بيئة قاسية تريد قهره ودقه ، بل تحرك طالباً الحياة ، ولم يُغفل الإشارة في أشعاره إلى ما كان يلقاه في أسفاره من عناء يتجشمه في اجتياز البيد أو ارتقاء الجبال ، وكان يطربه الرعد ويفرحه البرق إذا تشقق عنه السحاب ، وإذا تنزل الغيث تمت فرحتهم وازينت الأرض لعرس الحياة وارتفع

في نواديهم صوت الشاعر واصفاً المطر وآثاره في الديار ، مردداً صوت الشعاب التي سالت بماء السماء فخريرها موسيقا وعيثها صلاح .

ولقد أبرز الشاعر الجاهلي معالم الطبيعة وظواهرها في صور شعرية رائعة مستخدماً لذلك ألفاظاً تنم عن معرفة دقيقة بمدلولاتها ، وسأعرض فيما يلي لجوانب من البيئة الطبيعية تشير إليها أشعارهم ، وذلك لاستظهار مدلولات الألفاظ وتكَوُّنها بغض النظر عن رأي العلم الحديث في ذلك ، لأن شعراء ذلك العصر لم يتناولوا ظواهر الطبيعة تناولاً علمياً مقصوداً ، وإنما كان ذلك على السليقة ، نظراً لخضوعهم لها خضوعاً تاماً ، لا يستطيعون أن يُفلتوا منها ، ولا أن يؤثروا فيها ، بل كان كل ما في وسعهم أن يلاحظوها ويستنبطوا منها ما يعينهم على مسايرتها ، مما أدى إلى إحاطتهم ببعض قوانين الطبيعة إحاطة نقبلها منهم .

فقد سبق أن قلت إن طبيعة شبه الجزيرة قد فرضت على إنسانها نمطاً خاصاً من أنماط الحياة يعتمد التنقل والرحلة وسيلة تمكنه من ملاحقة أسباب الحياة في الأماكن المختلفة ، وقد ركب العربي لهذه الغاية الليل والنهار والبر والبحر ، تحت سماء صافية بهره ضياء شمسها إذا سرب ، وسحرته بنات الليل وهي تتراقص في بحر السماء إذا أدلج .

١ . الفلك

١ -١ الشمس

ولعل أول ما استرعى انتباهه من الأجرام أم الضياء في السماء وأم الحياة

على الأرض (الشمس) ، بل إن منهم أناساً عبدوها ، ويظهر من تسميتهم لها بالإلهَة ، قالت أم عتيبة بن الحارث :

فَبَادَرْنا الإلهَةَ أنْ تؤوبا[٤]

ويظهر أيضاً في أسماء بعضهم ، إذ جعلوا من أنفسهم عبيداً لها ، قال عبد يغوث :

وتضحك مني شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ   كأنْ لم تَرَ قبلي أسيراً يمانيا

فقوله «عبشمية» نسبة إلى «عبد شمس» ، ولعل ورودها مضافة غير معرفة بأل يشير إلى أنها كانت مَعْرفة عندهم ، فلا تحتاج إلى تعريف .

١ - ٢ القمر

وكان للقمر أثر جليل في حياتهم ، فقد «أنسوا به لأنهم يجلسون فيه للسمر ، ويهديهم السبيل في سُرى الليل في السفر ، ويزيل عنهم وَحشة الغاسق ، وينم عن المؤذي والطارق»[٥] . وقد مكنتهم ملاحظته من معرفة أطواره التي يمر بها من حين يُهل إلى أن يستسر ، ووجدوا تشابهاً بينه وبين الإنسان في ذلك ، فالإنسان يولد صغيراً كالهلال ، ثم يشب فكأنه بدر ، ولا يزال يتردى حاله عقب ذلك إلى أن يقضي ، وقد راق وجه الشبه هذا حسّاناً السعدي فقال :

مهما يكنْ رَيْبُ المَنون فإنني   أرى قَمَرَ الليلِ المُعَذَّبِ كالفتى

يُهِلُّ صغيراً ثم يعظُم نورُه   وصورَتُه حتى إذا ما استوى

تقارَبَ يخبو ضوءُهُ وشعاعُه   ويَمْصَحُ حتى يستسرَّ فما يُرى[٦]

كذلك زيدُ المرءِ ثم انتقاصه   وتكرارُه في إثْرِه بعدما مضى

قال أبو الحسن : حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى أن هذا الشعر من أقدم ما قيل في الجاهلية .

أما هذه الأبيات فتشير إلى معرفة ناتجة عن ملاحظة طويلة ، غير أنها لا تنفذ وراء ذلك لتقف على علة تلك الأطوار وتفسرها .

وأظن أن حياتهم في ذلك الوقت لم تكن بحاجة إلى مثل هذا النوع من المعارف المتقدمة ، ولو أنهم أعملوا في ذلك أذهانهم لتوصلوا إليه بسهولة ويسر ، هذا إذا لم يكونوا قد توصلوا إلى ذلك فعلاً ، إذ ليس ثم دليل يقوم على جهلهم به .

وقد امتزجت بعض معارفهم بالخرافة ، ويتجلى ذلك فيما كانوا يؤمنون به من أن القمر يختن المواليد ، ومن ذلك قول امرىء القيس يخاطب قيصر الروم :

إنـي حَلَفْتُ يميناً غيـرَ كـاذبـةٍ أنك أقْلَفُ إلا ما جَلا القَمَر[٧]

١ - ٣ الكواكب السيارة

وقد عرف عرب الجاهلية الكواكب الخمسة المتحيرة[٨] ، بل إن منهم من عبد بعضها ، وقدم لها القرابين ، يقول (ولهاوزن) : «إن بعض العرب المجاورين للشام والعراق في القرنين الخامس والسادس الميلاديين كانوا يعبدون الزُّهَرَة ، ويسمونها إذ ذاك العزى»[٩] ، ولهذا القول ما يؤيده ، حيث إنهم كانوا يسمون عبد العزى كما سموا عبد شمس . وقال : «إن تميماً كانوا يعبدون عطارد[١٠]» .

ولقد كان العرب أولى من غيرهم ، وأقدرهم في معرفة أجرام السماء

وتسميتها وحركاتها ، وذلك لأن سماء بلادهم مؤهلة لتمكينهم من ذلك ، نظراً لصفائها واستواء أرضهم من تحتها وجفافها ، بالإضافة إلى موقع الجزيرة العربية ، حيث هو في منطقة تطل عليها القبة السماوية من جميع أركانها . ويؤكد هذا ما نجده حتى الآن من ألفاظ عربية في المعاجم الأوروبية ، هي في الحقيقة أسماء بعض النجوم ، يقول نلينو : «ولا شك في أن عدم معرفة اشتقاق أسماء الكواكب الخمسة المتحيرة ، وعدم وجود ظاهرة مشابهة بينها وبين أسمائها في اللغات السامية والفارسية يدل على أنها قديمة الأصل عند العـــرب»[١١] . بالإضافة إلى عدد كبير من النجوم والدراري اللامعة ، لأن التعرف إلى الكواكب لا يتم دون التعرف إلى النجوم ، حيث إنها لا تمتاز عنها بما يدرك بالمشاهدة القصيرة ، بل إن ذلك يتطلب خبرة طويلة تمكن منه ، مما لا يتم دون معرفة بالنجوم .

وكان للعرب نظر دائم في السماء ، يجوبون بأبصارهم الحادة أقرابها ، ويرصدون حركات أجرامها ودوراتها ، وقد بلغوا في ذلك حداً بعيداً ، فقد عرفوا السها ، وهو نجم صغير خفي جداً ضمن مجموعة بنات نعش الصغرى ، وتُمتحن بإبصاره الأنظار ، بينما لم يكتشفه الغربيون إلا بعد أن عرفوا المراصد وكان ذلك على يد «كوبرنيك» وقد شهدت لهم بذلك أمثالهم قالوا : «أريها السها وتريني القمر»[١٢] . يضرب فيمن يعدل عما يجب تغابياً أو لسوء فهم .

وقد لاحظوا أن النجوم لا تبدو نهاراً ، وذلك لتلاشي ضوئها في ضوء الشمس ، ولذلك كانوا يجعلون إدراك الممتنع كإبصار النجم ظهراً ، قال طَرَفَة :

إنْ تُنَوِّلْــهُ فقــدْ تَمْنَعــهُ   وَتُريهِ النَّجْمَ يجرِي في الظُّهُرْ[١٣]

١ - ٤ الأنـــــواء

ولـم تقتصر معارف الجاهلية على هذا النوع من الملاحظة ، بل تعدته إلى ضرب آخر أكثر تعقيداً ، يقوم على أسس ثابتة تستند إلى تجارب طويلة ، ومقارنات دقيقة ، ويتمثل ذلك في الأنواء ، حيث عرفوا طبائعها ونجومها ومطالعها وطوالعها ورقباءها وذلك لتحديد مبدئها ومنتهاها ، فالعيّوق رَقيب الثريا تشبيهاً برقيب الميسر ، والعوّاء رقيب فرْغ الدلو الأسفل وهكذا . ورقيب النجم هو الذي يغيب وراء الأفق الغربي إذا طلع هو من المشرق[١٤] . ولقد ذهب العرب إلى أبعد من ذلك حيث نسبوا الأمطار والرياح إلى الأنواء ، وذلك لأنهم كانوا يعتقدون باقتران الحوادث الأرضية بحركات الأجرام السماوية ، وأن هذه الأخيرة هي المهيمنة على مقادير العباد والعلاقات السفلية . ومن ذلك قول أعشى باهلة :

نَعَيْتُ من لا تُغِبُّ الحَيَّ جَفْنَتُهُ ... إذا الكواكبُ أخطأ نوءَها المَطَرُ[١٥]

وليس أدل على ذلك من الحديث القدسي الذي رواه النبي ﷺ عن ربه ، قال «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال مُطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب ، وأما من قال مُطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب»[١٦] . ومن ذلك قول جميل في أن النجم لا يلتقي هو ورقيبه أبداً :

أحقاً عبادَ الله أنْ لستُ لاقياً ... بثينةَ أو يلقى الثريا رقيبُها[١٧]؟

١ - ٥ تقويم القرانـــات

وقد كان عرب الجاهلية يعتمدون الشهور القمرية في تحديد مواعيدهم

ومواسمهم ، ولما كانت هذه الشهور غير ثابتة في أماكنها من الزمن ، فقد أدى ذلك إلى انتقالها إلى أوقات تختلف من عام لعام في طبيعة المناخ ، مما كان يؤدي إلى ارتباكهم وجعل حياتهم غير منتظمة . غير أن ذلك قد ألح عليهم لينظروا في وسيلة تمكنهم من ضبط أوقاتهم ، فاهتدوا إلى التوقيت بقرانات القمر في منازله المختلفة ، ولعل أكثر ما ورد في أشعارهم ، هو قرانات القمر مع الثريا ، فاعتمدوها لذلك . وقد لا أكون مبالغاً إن قلت إن اعتمادها وسيلة لتقدير الزمان ومعرفة ما يكون فيه من عادة أنجح من اعتماد التقويم الشمسي . ولا تزال هذه الطريقة مستعملة عند بدو المشرق إلى يومنا هذا ، وأذكر أن القحطانيين الذين يقيمون في الصبيخة من بلاد قحطان جنوب السعودية يعلّمون لتأبير النخل باقتران القمر مع الثريا ليلة السابع من الشهر .

وقال أبو الريحان البيروني في عرب الجاهلية «وكانوا أناساً أميين لم يمكنهم معرفتها - يعني المنازل - إلا بشيء يعاين ، فعلّموا عليها الكواكب الثابتة التي اتفقت فيها ، وجعلوا طلوعها في المشرق بالغداة بعد طلوع الفجر عَلَماً لحلول الشمس فيها . . . ثم قرضوا أشعاراً ، ودونوا فيها التأثير الطبيعي المتناوب الموافق لطلوع كل واحدة منها على ما وجدوه بالتجربة والامتحان ، يسهل حفظها على الأميين ، قال أحدهم :

اذا ما قارن القمرُ الثريا ... لثالثةٍ فقد ذهب الشتاء»(١٨)

إن مقالة البيروني هذه تبين لنا فضل الشعر في حفظ المعلومات الفلكية والجغرافية ، ويشهد للجاهليين بأنهم قد احتالوا على افتقارهم للمراصد بالكواكب الثابتة للتعليم بها على محالّ الشمس ، وقال الآخر :

إذا ما البدرُ تمَّ مع الثريا ... أتاكَ البْردُ أوَّلُهُ الشتاء(١٩)

وفي البيتين إشارة خفية إلى معرفة العرب بأحوال القمر وأسمائه تبعاً لذلك ، فقد قال الأول «لثالثة» ولذلك قال «القمر» ، أما الآخر فقد استعمل «البدر» لأنه أراد قران الثريا مع القمر ليلة خمس عشرة ، ولذلك خص البدر .

وكان عرب الجاهلية يهتدون بالنجم إذا سَرَوا ، واشتهر أقوام منهم بذلك ، فأصبحوا أعلاماً في هذا المجال ، ومن هؤلاء «بنو شيبان وبنو ماوية ومُرَّة»[٢٠] ، وذلك لما كان لهذا النوع من المعرفة من أهمية عندهم بالغة .

١ - ٦ الكسوف والخسوف

وقد عرف العرب ظاهرتي الكسوف والخسوف ، ولكنهم لم يكونوا يدركون العلة في تينك الظاهرتين ، ولذلك وجدناهم يعتقدون بوجود علاقة بينهما وبين الأحداث الخطيرة التي تحدث على الأرض ، وكانوا يستدلون بحدوثهما على أن عظيماً سيموت ، أو أن دولة ستدول ، غير أن الإسلام أبطل هذا الاعتقاد ، وذلك في قوله ﷺ «إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد»[٢١] ، قال ذلك يوم مات إبراهيم ابنه ، وصادف ذلك اليوم كسوف ، فقرن الناس موت إبراهيم بهذا الحدث ، فقام عليه الصلاة السلام وخطب خطبة منها الحديث .

١ - ٧ البروج

كما عرفوا البروج الاثني عشر ، وسموها بأسماء مما تقع أعينهم عليه ، كالحمل والجدي والثور والأسد . ولعل أول من ورد هذا اللفظ في قوله هو قُس ابن ساعدة الإيادي ، أسقف نجران ، وذلك في خطبته المشهورة التي جاء فيها «إن في السماء لَخبَرا ، وإن في الأرض لَعِبرا ، ليلٌ داج ، وسماء ذات أبراج ، وأرض ذات رِتاج وبحار ذات أمواج . . .»[٢٢] .

وفي هذه الخطبة ما يدفع أقوالاً لمتقدمين ومتأخرين أنكروا على العرب معرفة البروج ، ومن هؤلاء أبو عمرو بن العلاء حيث قال «بروج السماء لم تكن العرب تعرفها في القديم ، وقد جاء ذكرها في الكتاب العزيز»[٢٣] . ومن المحدثين المستشرق الإيطالي نلينو حيث زعم «أن المراد بالبروج السماوية في الآيات القرآنية وبالأبراج في الخطبة المنسوبة لقس بن ساعدة ، إنما هو الصُّور النجومية على الإطلاق ، والنجوم العظام»[٢٤] .

١ - ٨ النسيء والكبس

ومما كان لعرب الجاهلية قسط من العلم به النسيء ، وهو تأخير أحد الأشهر الحرم[٢٥] ، واستحلال القتال فيه ، وإبداله بشهر آخر من شهور الحِلّ . وقد أنكر القرآن الكريم عليهم ذلك ، وجعله زيادة في الكفر . وقد اختلف المفسرون والدارسون في تفسيره ، فذهب بعضهم[٢٦] إلى أنه الكبس وأن العرب قد تعلموه من اليهود ، أو أن يكونوا قد اهتدوا إليه عن طريق التجربة ، وهذا الأخير أرجح عندي ، حيث إن اليهود لم يعرفوا الكبس إلا في القرن السابع الميلادي[٢٧] .

ويروى عن مجاهد أن رجلاً «من بني كنانة - كان - يأتي كل عام في الموسم على حمار له فيقول : أيها الناس إني لا أعابُ ولا أحابِ ، ولا مرد لما أقول ، إنا قد حرمنا المحرم وأخرنا صفراً ، ثم يجيء العام المقبل بعده فيقول مثل مقالته ، ويقول : إنا قد حرمنا صفراً ، وأخرنا المحرم ، فهو قوله «لِيُوَاطِئُواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ» يعني الأربعة الحرم[٢٨] . قال الشاعر في هذا الكناني :

فـذا فُقَيْمٌ كـان يُدْعى القَلَمَّسا | وكـان للدِّينِ لهـم مُؤَسِّسـا
مُسْتَمَعاً من قولِهِ مُرَأَّسا

وقال آخر :

مُشَهَّرٌ مِـــن ســـابقي كنانـــة   مُعَظَّـــمٌ مُشَـــرَّفٌ مَكانُـــه

مضى على ذلك زمانه[٢٩]

ويرى الذين يدّعون أن النسيء هو الكبس أن اعتماد عرب الجاهلية السنة القمرية كان يربكهم ، وذلك أن العامل الأساسي في حياة الإنسان هو الشمس وليس القمر ، ولذلك فقد كان لهم في النسيء - بمعنى الكبس - فُرجة ينفذون من خلالها إلى التوفيق بين مواسمهم ومواعيدها وحفظها في مكانها من الزمان . قال فخر الدين الرازي في ذلك «إن القوم علموا أنهم لو رتّبوا حسابهم على السنة القمرية فإنه يقع حجهم تارة في الصيف وتارة في الشتاء ، وكان يشق عليهم الأسفار ، ولم ينتفع بها في المرابحات والتجارات ، لأن سائر الناس من سائر البلاد ما كانوا يحضرون إلا في الأوقات الملائمة ، فتعلموا أن بناء الأمر على رعاية السنة القمرية يخل بمصالح الدنيا ، وتركوا ذلك واعتبروا السنة الشمسية ، ولما كانت السنة الشمسية زائدة عن السنة القمرية بمقدار معين[٣٠] احتاجوا إلى الكبيسة ، وحصل لهم بسبب تلك الكبيسة أمران :

١ - أنهم كانوا يجعلون بعض السنين ثلاثة عشرشهراً ، بسبب اجتماع تلك الزيادات[٣١] .

٢ - أنه كان ينتقل الحج من بعض الشهور القمرية إلى غيره ، فكان الحج يقع في بعض السنين في ذي الحجة ، وبعضها في المحرم ، وبعضها في صفر ، وهكذا في الدور حتى ينتهي بعد مدة مخصوصة[٣٢] مرة أخرى إلى ذي الحجة» [٣٣] .

وأرى أن النسيء - بمعنى الكبس - لا يستوجب التحريم كما لو كان بمعنى التأخير الذي هو في الحقيقة تلاعب بقوانين عامة وتحايل على أطراف

المعاهدة التي توصل إليها عرب الجاهلية على نحو ضمني ، بل خداع للنفس يستحق فاعله أن يوصم بأنه يزداد كفراً ، ثم ما هي حاجتهم إلى الكبس وقد كانوا يعتمدون السنة القمرية فيما لا يختلف مع قانون الطبيعة ، وحيث كانت لهم معرفة بالقرانات تمكّنهم من تنظيم حياتهم دونما حاجة إلى تقويم دوري قائم في نظامه على دورة الشمس الظاهرية .

ولهذا فإنني لا أرى أن النسيء هو الكبس ، وإنما هو التأخير ، ويتفق هذا مع ما أورده الرازي في تفسيره من «أن العرب كانت تحرم الشهور الأربعة ، وكان ذلك شريعة ثابتة من زمان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، وكانت العرب أصحاب حروب وغارات ، فشق عليهم أن يمكثوا ثلاثة أشهر متوالية لا يغزون فيها ، وقالوا : إن توالت ثلاثة أشهر لا نصيب فيها شيئاً هلكنا ، وكانوا يؤخرون المحرم إلى صفر فيحرمونه ويستحلون المحرم . قال الواحدي : وأكثر العلماء على أن هذا التأخير ما كان يختص بشهر واحد بل كان ذلك حاصلاً في كل الشهور[٣٤] .

وقد اختلف في الشهور العربية الجنوبية وهل كانت شمسية أم قمرية ، كما اختلف في تعليل أسماء الشهور شماليها وجنوبيها ، قال نلينو : «إننا مع استخراجنا أسماء شهورهم – يقصد أهل اليمن – من تلك الكتابات نجهل ترتيبها الحقيقي وهل هي شمسية أو قمرية»[٣٥] ، ومما ورد في تعليل أسماء الشهور العربية قول البيروني : «إن تسمية المحرم بهذا الاسم لكونه من جملة الحُرُم ، وصفر لامتيارهم في فرقة تسمى صَفَرية ، وشهري ربيع للزهر والأنوار وتواتر الأندية والأمطار ، وهو نسبة إلى طبع الفصل الذي نسميه الخريف ، وكانوا يسمونه ربيعاً ، وشهري جماد لجمود الماء فيهما ، ورجب لاعتمادهم الحركة فيه إلا من جهة القتال ، والرُّجْبَةُ العِماد ، ومنه قيل عَذْقٌ مُرَجَّب ،

وشعبان لتشعب القبائل فيه ، وشهر رمضان للحجارة ترمض فيه من شدة الحر ، وشوال لارتفاع الحر وإدباره ، وذي القعدة للزومهم منازلهم ، وذي الحجة لأنهم يحجون فيه(٣٦) .

فإذا كان هذا التعليل صحيحاً فإنه يعني أن العرب قد وضعوا تلك الأسماء مراعين طباع الشهور في سنة الوضع ، وما يمتاز به كل منها من حرارة أو برد أو مطر ، بالإضافة إلى بعض الأفعال التي كانوا يقومون فيها ، ثم انتقلت من مواضعها في الزمان عشرة أيام كل عام .

١ - ٩ فصول السنة

وكان للعرب علم بالفصول وأحوالها ، ففصل الربيع شباب الحياة وفيه يكون الإنبات والصيف من بعده نذير بنهاية العام ، ونقلوا ذلك إلى طبع الإنسان ، فقالوا للرجل إذا وُلد في أول سنة قد أربع وولده ربعيون ، فإذا تأخر ولده إلى آخر عمره قالوا : قد أصاف فلان وولده صيفيون ، وهو مصيف . ومن ذلك قول الشاعر :

إن بنيَّ غِلْمَةٌ صيفيون　　　أفلح من كان له رِبعيّون(٣٧)

وسموا كل فصل بما يكون فيه من علاقة ظاهرة سواء في طبعه أم في ما اعتاده الناس فيه من نشاط ، ففصل الربيع مسمى بارتباع الناس فيه ، وتوقفهم عن الرحلة طلباً للماء والكلأ ، والصيف مسمى بزوال البرد وميل طبع الزمان إلى الدفء ، من قولهم : «صاف السهم» ، إذا عدل عن الرميّة وأخطأها ، والخريف مسمى بالخرفة ، وهي الرُّطَب ، وهي خُرفة لأنها تُخترف أي تقطف وتقطع ، أي لأنه موسم الخرف وجني النخل ، وسموا الشتاء لأنه موسم البرد والمطر ، حيث ينصرف الأصل (ش ت و) إلى دلالة تقع على معنى الشرب وعلاقته بالماء .

٢ - المنـــاخ

كان لطبيعة مناخ الجزيرة العربية أثرها البالغ في تصريف حياة سكانها ، فهو مناخ جاف حار في بعض المناطق ، ورطب خانق في مناطق أخرى ، وبارد نسبياً في المناطق الجبلية ، وأمطار الجزيرة قليلة قد تحتبس عن بعض المناطق أعواماً ، مما دفع كثيراً من القبائل إلى الارتحال وطلب الحياة في الأقاليم المجاورة ، مما كان يتحكم في الكثافة السكانية والتوزيع السكاني في المنطقة بأسرها . فقد جاء في الأغاني «أن بطوناً من خزاعة خرجوا جالين إلى مصر والشام لأنهم أجدبوا»[٣٨] ، وقد تفرقت ربيعة في البلاد فسارعت عنزة بن أسد ابن ربيعة تتبع مواقع الغيث وتقدمها عبد العزى بن عمرو العنزي[٣٩] .

ولا شك في أن تقلبات المناخ من أهم العوامل الطبيعية التي تفرض الهجرة على الإنسان ، وخاصة إذا توالت سنين القحط ، يقول سليمان حزيّن «إن السبب الأول في هجرة القبائل اليمنية يرجع إلى تغير مناخي»[٤٠] ، وليس لانهيار سد مأرب بالدرجة الأولى ، ونجد أن هذه الظاهرة قد حدثت في أماكن مختلفة من العالم وأدت إلى هجرات وقلاقل كثيرة ، يقول R. A. S. Macalisters ، «وقد أظهرتنا الأبحاث التي قام بها روفائيل بمبلي Pumpelly في أماكن من أعمال تركستان على ما كان لهذا الجدب من حظ في حركات الأقوام في الماضي السحيق ، مما أدى إلى شيوع القلاقل في أوروبا في كثرة تجوال الشعوب Volker Wanderunger»[٤١] .

وقد عانى عرب الجاهلية من جراء ذلك عناء شديداً ، فكأنهم في رحلة لا تُلقى فيها الرحال «حيث إن القاعدة التي تقوم عليها حياة البدو قاعدة متقلقلة»[٤٢] «وإن كل جانب من جوانب الحياة البشرية في الصحاري يحمل

طابع التحرك»[٤٣] ضرورة لا اختياراً ، فالناس يوماً هنا وآخر هناك ، والمواشي في حركة أبدية ، والرمال تزعزعها الرياح ، فهي كثبان تارة ، وبساط تارة أخرى ، ومن هنا كره البدو الاستقرار «واحتقروا الزراعة»[٤٤] لأنها ستؤدي بهم إلى الاستقرار ، ونظروا إليها على أنها من معاش المتضعين وأهل العافية من البدو الذين يقيمون في الأرياف والهِجَر تاركين حياة المجالدة والنصب إلى أخرى يربأ معظم البدو بأنفسهم عن الخلود إليها .

٢ - ١ البـــرق

ولما كان جل اعتمادهم على المطر الذي يشربون منه هم وحلالهم ، وبه تُمرِع مسارح إبلهم ومواشيهم ، فقد عرفوا مواسمه وأنواءه ، كما عرفوا مخائل السحب بالشوم ، واسترعاهم البرق ، وأطربتهم هدهدة الرعود ، فكانوا إذا ما رأوا سحابة في جانب الأفق يقعدون لها يرقبونها ، هذا يقول مُخيلة ، وذاك يقول نرجو أن تصيبنا أوشال من قطرها ، قال شاعرهم[٤٥] :

تَبَصَّرْ هـل تـرى ألـواح بـرقٍ ... أوائلـه على الأَفْعـاةِ قـودُ

قعدت لـه وشايعني رجـالٌ ... وقـد كَثُرَ المَخايلُ والسـدودُ

إذ يشير البيت الثاني إلى أن الشاعر كان في جماعة من صحبه يراقبون البرق في وقت كثرت فيه السحب الخليقة للمطر ، والسدود الكثيفة - السحب - التي تسد الأفق .

وقد عرض كثيرون من شعراء الجاهلية في قصائدهم للمطر ، فوصفوه وصفاً دقيقاً ، وتغنوا بآثاره في الأرض ، ويحدثنا امرؤ القيس في معلقته عن مطر غزير أصاب شمال الجزيرة العربية ، فيقول :

أحـارِ ترى برقـاً أُريكَ وميـضـَـهُ ... كَلَمْعِ اليـدين في حَبِيٍّ مُكَلَّـلِ

قعدت له وصُحبتي بين حامـرٍ   وبـين إكـام بعـد ما مُتأمَّـلِ

واضحى يسحُّ الماء في كلِ فيقَةٍ   يَكُبُّ علـى الأذقانِ دَوْحَ الكَنَهْبَلِ

وما هي إلا بُرهة حتى اجتمعت مياه الشعاب في سيل جُبارٍ دهم تيماء فاقتلع نخيلها وهدم قصورها ، إلا ما بُني منها بالجنادل قال :

وتيماء لم يَتركْ بها جذْعَ نَخْلَـةٍ   ولا أُطمـاً الا مَشـيداً بجَنْدَلِ

ثم انتقل بعـد ذلك يوضح لنا في صـورة حسـيـة رائعـة أثر المطر في الأرض ، وكيف استقبلته مشبهاً إياهُ بالتاجر اليماني الذي اشتهر عندهم ببيع البرود والملابس الملونة فقال :

وألقى بصحراءِ الغبيطِ بُعاعَـهُ   نُزولَ اليماني ذي العِيابِ المُخَوَّلِ(٤٦)

فقد نتج عن هذا المطر أن نبتت الأعشاب ، وازدانت بوشي من أزهارها ، فإذا الأرض بساط كبير ملون كتلك الأكسية التي يعرضها التجار اليمنيون ، ولم تكن الفرحة بالمطر مقصورة على الإنسان ، بل تعدته إلى الطير ، حيث جعل امرؤ القيس مَكاكِيٌّ الجُواء كانما «سُقين سُلافاً من رحيق مفلفل» ، فهي سكرى بماء السماء .

ويحدثنا عروة بن الورد عن سحاب أرق لبرقه وأخذ يراقبه ، فإذا ما دنا من «قديد» وأوشك أن يمطر ، أمسك وحارَ عنه إلى مكان آخر قال :

أرقـتُ وصحبتي بمضـيقِ عَمْـقٍ   لبرقٍ في تهامـةَ مُسـتطيرِ

اذا قـلـت اسـتهلّ علـى قَديـدٍ   تَحورُ رَبابُهُ حـَوْر الكسيرِ(٤٧)

وتشير الأبيات السابقة إلى ما كان عليه عرب الجاهلية ، فقد كانوا يقعدون للبرق ينظرون فوق أي الأماكن يتلألأ ، فإذا «لمعت سبعونَ برقةً انتقلوا

ولم يبعثوا رائداً لثقتهم بالمطر[٤٨]» وكذلك يفعلون إذا كان البرق وليفاً ، أي يلمع لمعتين لمعتين ، وهو ثقة للمطر . قال صَخْرُ الغَيِّ في امرأة يؤمل أن توافيه :

لشماءَ بعدَ شتاتِ النـوى وقـد بِتُّ أُخْيِلْتُ بَرْقاً وليفـا[٤٩]

٢-٢ المطـر والسحـاب

يالها من خيبة أمل حيث يرجو القوم الجدبون نزول المطر ، فتصرفه الرياح عنهم إلى قوم آخرين ، مما كان يضطرهم إلى شد الرحال طلباً له ، كما كان يؤدي إلى نشوب القتال بينهم في كثير من الأحيان ، «ففي فترات الجدب يصبح التناحر على البقاء أشد وأقسى ، أما في فترات الخصب فالأمر على نقيض ذلك»[٥٠] .

وقد كان ذلك شأن العرب في الجاهلية ، وتحدثنا كتب التاريخ عن كثير من الأيام التي شهدت تصارعهم ، بل كانوا لا يُسلمون جيرانهم من أذاهم ، فقد «كانت قبائلهم ومنذ الألف الثاني قبل الميلاد تهاجم أرض ما بين النهرين وبلاد الشام ، وتُكوِّن مصدر رعب للحكومات المسيطرة على الهلال الخصيب ، وكانت تنتقل في هذه البادية الواسعة لا تعترف بفواصل ولا بحدود ، فتقيم حيث الماء والكلأ والمحل الذي يلائم طبعها»[٥١] .

وكما تغنى شعراء الجاهلية بالمطر ، فقد تغنوا بالسحب التي يتنزل منها المطر ، فعرفوا أنواعها وطبائعها ، وكان يفرحهم منظرها وهي تسد عليهم الأفق ، ولذلك فلا عجب أن نجد منهم من سمّى ابنته باسم من أسماء السحب كالرَّباب ، والمُزْنة[٥٢] ، بل لقد وصفوا السحاب بأوصاف لا تكون إلا للعيون الجميلة ، ومن ذلك قولهم «أوطف ووطفاء» من الوطف ، وهو استرخاء في العين وفتور مع طول الأهداب وغزارتها ، قال ضابىء :

يوائلُ من وطفاءَ لم يَرَ ليلةً اشدَّ أذى منها عليه وأطولا[٥٣]

وقال امرؤ القيس :

وغيثٍ كألوانِ الفَنَا قد هَبَطْتُـهُ   تعاورَ فيه كلُّ أوطَفَ حنّـانِ(٥٤)

كمـا شبهوا الحسـان بما رَقّ منه وظللهم في الصيف ، وفي ذلك يقول طَرَفة :

كبنات المَخْرِ يَمْأَدْنَ كمـا   أنبتَ الصيفُ عساليجَ الخَضِـرْ(٥٥)

وبناتُ مخر أو بخر سحائب بِيض يأتين قبلَ الصيفِ رقاقٌ لا تمطر . وقد كان للعرب علم بأحوال السحاب وطباعه ، فعلموا أن سحب الصيف سرعان ما تتلاشى ، وذلك لشدة الحر ، ويشهد بذلك مثلهم القائل «سحابة صيف عما قريب تنقشع» ، وقد لاحظوا أن السحب إذا أراقت ماءها خفت وأسرعَ جريُها ، لأن ذلك يُسهل على الريح سوقَها ، فشبهوا بها الناقة في سرعتها ، قال امرؤ القيس :

تروحُ إذا راحت رَواحَ جَهامَـةٍ   بإثْرِ جَهامٍ رائـحٍ مُتَفَـرِّقِ(٥٦)

والجهام السحاب اذا أراق ماءه واعتصره ، وقوله : رائح متفرق ، يعني أنه لم يَلْقَ فيه ما يمطره ، لأن السحاب يجتمع إذا تهيأ للمطر ، ويتفرق قطَعاً إذا كفّ ، ويؤكد هذا البرقُ ، فهو لا يكون إلا إذا احتكت سحابتان مختلفتا الشحنة ، وهو غالباً ما يكون مصحوباً بالمطر .

وإذا كانت السحابة لا تزال تقل ماءها فإنها تكون ثقيلة بطيئة الحركة ، فكأنها سُلَحْفاة تحبو حبواً ، ومن ذلك قول امرىء القيس :

. . . كَلَمْعِ اليدينِ في حَبِيٍّ مُكَلَّلِ(٥٧)

ومن عادة الإنسان إذا شبه ،أن يختار المشبه به من بيئته ، وغالباً ما يكون للمشبه به دلالة أصلية أو هامشية عنده تؤثر فيه ، ومن ذلك تشبيه الجاهليين الجمع الكثير من الناس بالعارض ، وذلك أنه يسد الأفق وكأن الناس في كثرتهم يغطون الأرض ، قال المهلهل :

اذا اقبلَتْ حميَرُ في جَمْعهــا ومَذْحِج كالعارضِ المُسْتَحيــقِ

تَلْمَعُ لَمْـــعَ الطيــرِ راياتــه على آوادِيّ لجٍّ بَحْرٍ عميــقِ(٥٨)

ولعل أشعر من وصف المطر امرؤ القيس ، فقد حدّث الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أنه سأل ذا الرمة فقال : أي الشعراء وصفوا الغيث أشعر؟ فقال : امرؤ القيس ، قال أبو عمرو فأنشدني قوله :

ديمةٌ هطــلاءُ فيهــا وَطَــفٌ طَبَّــقُ الأرضِ تجري وتــَـدُرْ

تُخْرِجُ الوَدَّ إذا ما أشْجَــذَتْ وتُواريــه إذا مــا تَشْتَكِــرْ(٥٩)

٢ - ٣ الريـــــاح

ولما كانت الرياح موكلةً بالسحب تسوقها في هذا الاتجاه أو ذاك ، وتسيّر السفن أو تُسْلِمُها للأمواج المدمرة ، ولما كانت عاصفة محملة بالرمال أحياناً وباردة ليلاً ، أو نسيماً عليلاً أحياناً أخرى فقد كان لهم بأحوالها ومهابّها علم غزير ، وذلك لما لها من أثر حسن في جانب منه ، وسيىء في الجانب الآخر ، فوصفوها في أشعارهم وبيّنوا طبائعها وأسماءها وتغنوا بما هب منها نسيماً عليلاً يلطّف أجواء بواديهم إذا التهبت رمالُها في القيظ . جاء في الأمالي «أن رجلاً من أهل تهامة تزوج امرأة من أهل نجد فأخرجها إلى تهامة فلما أصابها حرها قالت ، ما فعلت ريح كانت تأتينا ونحن بنجد يقال لها الصَّبا؟ قال يحبسها عنك هذان الجبلان ، فأنشــدت :

أيا جَبَلَيْ نَعمانَ باللهِ خلّيـــا نسيـمَ الصَّبا يَخْلُصْ إليَّ نسيمُهـا

أجدْ بردَها أو تَشْفِ مني حرارةً على كَبِدٍ لــم يبقَ إلا صَميمُـهـا

فإنَّ الصبا ريحٌ إذا ما تَنَسَّمَــتْ على نَفْسِ مهموم تَجَلَّتْ هُمومُها(٦٠)

وقال عُبيدُ الله بنُ الدُّمينة :

ألا يا صبا نجدٍ متى هِجْتِ من نجدِ   لقد زادني مَسْراكِ وجداً على وجد[٦١]

وتبين هذه الأبيات تعلقهم بتلك الريح ، فهي تجلو هموم النفس وتذكر الإنسان بالأحبة فتزيده وجداً على وجده ، وهذه الريح تهب من المشرق ، وذلك استناداً إلى ما ورد في أشعارهم ، ومن ذلك قول أبي صخر الهُذلي :

إذا قلتُ حين أسلو يُهَيِّجُني   نسيمُ الصبا من حيثُ يَطْلُعُ الفجر[٦٢]

ومطلع الفجر من المشرق ، وتقابلها ريح الدبور ، فالصبا مغربة وهذه مشرقة ، قال الشاعر :

أتاني نسيمٌ من صَبَاً بتحيـــةٍ   فَحَمَّلْتُ مثلَها نسيمَ الدبـــورِ[٦٣]

وقد ركب عرب الجاهلية البحر ، وبخاصة أولئك الذين كانت منازلهم على السواحل ، وكانوا يعتمدون في إبحارهم إحدى وسيلتين هما التجديف وقوة دفع الريح ، ولهذا فقد كانوا يتحينون فرص هبوبه في الاتجاهات التي ينوون الإقلاع إليها . قال ضابىء بن الحارث يصف تَدافُعَ ناقته بأنه مثل :

تدافع غسّانيةٍ وَسطَ لُجَّـــةٍ   إذا هي هَمَّتْ يومَ ريحٍ لتُرْســـلا[٦٤]

فقد شبهها في جريها بسفينة منسوبة إلى غسان تجري مسرعة لأن الريح تسوقها ، وقد ذهب بعض شعراء الجاهلية إلى أبعد من ذلك ، حيث دللوا على اتجاه سيرهم بذكر الريح التي تحدوهم ، فريح الشمال تتجه جنوباً ، والصبا غرباً والسموم شمالاً ، ومن ذلك قول لبيد :

وغداةَ ريحٍ قد وَزَعْتُ وَقَـــرَّةٍ   إذا أصبحتْ بِيَدِ الشَّمالِ زِمامُها[٦٥]

إذ شبه ريح الشمال برجل يمسك بزمام ناقته يقودها نحو الجنوب .

ومن الرياح التي تهب على شبه الجزيرة العربيةشتاء ، وتفرض على سكانها حصاراً شديداً حول المواقد ، ريح يسمونها «الحَرْجَف» ، وهي ريح شآمية باردة شديدة ، ومهبها بين الصبا والشمال ، أي من الشمال الشرقي ، قال المُتَنَخِّل الهُذَليّ :

إذا ما الحَرْجَفُ النكباءُ ترمي بيوتَ الحَيِّ بالوَرَقِ السِّقاطِ(٦٦)

وقوله النكباء ، لأنها تهب من جهة فرعية ، وكل ريح تهب من بين جهتين فهي نكباء لأنها تَنَكَّبت هذه الجهة ، وتنكبت الأخرى أي حادت عنهما . وأكثر العرب تجعل الجنوب هي التي تنشيء السحاب بإذن الله عز وجل وتستدره ، وتصف بواقي الرياح بقلة المطر ، وبالهبوب في سني الجدب ، قال أبو كبير الهذلي :

إذا كانَ عامٌ مانعُ القطرِ ريحُهُ صباً وشمالٌ قَرَّةٌ ودَبُورُ(٦٧)

إذ يشير البيت إلى أن هذه الرياح الثلاث لا يكون معها مطر ، فالمطر إذن مع الجنوب ، وقول عدي بن زيد يؤكد هذه العلاقة . قال :

وهَبيّ بعدَ الهُدُوْءِ تُزَجّيه شَمالٌ كما يُزَجّى الكَسيرُ

فاستدرتْ به الجنوبُ على الـ حَزْنَةِ فالحِنْوِ ، سَيْرُهُ مقْصورُ(٦٨)

وقال حُمَيْدُ بن ثور :

ليالِيَ أبصارُ الغواني وسمعها إليَّ وإذْ ريحي لَهُنَّ جَنُوبُ(٦٩)

إذ تشير الأبيات إلى أنهم كانوا يتيمنون بالجنوب ويجعلونها مثلاً للخير ، قال مؤرج السدوسي : «من خواص الجنوب أنها تثير البحر حتى تسوّده ،

وتظهر كل ندى كامن في بطن الأرض حتى تلين الأرض ، وإذا صادفت بناءً بني في الشتاء والأنداء أظهرت نداه ، وحتته حتى يتناثر وتطيل الثوب القصير ، ويضيق لها الخاتم في الإصبع ، وَيسْلُس بالشمال ، والجنوب تسري بالليل . تقول العرب : «إن الجنوب قالت للشمال إن لي عليك فضلاً ، أنا أسري وأنت لا تسرين ، فقالت الشمال : إن الحُرَّة لا تسري»(٧٠)

ومن تلك الرياح الشَّفَّان ، وهي ريح باردة يكون فيها شيء من الرذاذ ، قال امرؤ القيس :

ما ذاك أشهى ليلةً من ريقها   في ليلةِ الشَّفَّانِ والقَرسِ(٧١)

والقرس هو البَرَد .

٢ - ٤ الرعـد

وقد أطرب عرب الجاهلية قصف الرعود ولمعان البرق ، فكأنهما معزوفة موسيقية ولوحة فنية تقدمها السماء للأرض ، فرسموا من هذه وتلك صوراً بيانية رائعة استمدوا خيوطها وأصباغها من أثرهما في النفس الذي تعكسه عليهم فرحتهم بالمطر ، ولكن قصف الرعود قد يحتد فيثير الرعب كأنه زئير الأسد ، قال عروة :

كأنَّ خَواتَ الرعدِ رِزُّ زَئيرِهِ   من اللاءِ يَسْكُنَّ الغَرِيفَ بِعَثَّرا(٧٢)

وقد عرفوا للرعد أسماء كثيرة ، فاشتقوا من بعضها ما أطلقوه علماً على النجم الذي يصاحب طلوعه رعد كثير ، ومن ذلك قوله (المِرْزَمان) ، وهما نجمان من مجموعة الدب الأكبر ، وأصل الإرزام صوت الناقة ، ثم أطلقوه على صوت الرعد ، قال منقذ بن الطماح الأسدي :

لَجْبٌ إذا ابتَـدروا قنابِلَـــهُ   كنشــاصِ نَــوْءِ المِرْزَمِ السَّجْـــمِ[٧٣]

ولذلك قال السجم أي كثير التهطال ، لأنه كثير الرعود .

٢ - ٥ الحـــر والبـــرد

ويعد الحر والجدب أظهر ما عُرفت به جزيرة العرب منذ القدم «إذ تقع كلها تقريباً داخل نطاق الحرارة القصوى الذي يطوّق العالم في شهر يوليو»[٧٤] وهذا يقابل في تقويمهم المدة التي تقع بين خامس أيام نوء الطرف و ثالث أيام نوء الزبرة ، وتكون الشمس أثناء ذلك في برج الأسد ، وتكون أشعتها عمودية على معظم أنحاء الجزيرة الجنوبية ، فتجف الغدران ، وتذوي الأعشاب ، وتغور المياه ، وقد عانى العرب من الحر والجفاف عناء شديداً ، وفي شعرهم صور تبين ذلك ، فهذا امرؤ القيس يفاخر بناقته التي تنجو من الحر اللافح وذلك حيث يقول :

اذا أَحْجَرَ الظِّلَّ الوَديقةُ أَرْقَلَــتْ   برحـلِيَ جِلْعابُ النَّجاءِ أَمـــونُ[٧٥]

والوديقة أي شدة الحر ، أحجرت الظل أي قصرته ، وهذا يعني أن الوقت كان ظهراً عندما يقصر الظل . وحيث يقول أيضاً :

مَروحُ السُّرى عَبْرَ الهواجرِ لم يَسُفْ   بِفَيْحانَ منها القادِمينَ جَنينُ[٧٦]

يفاخر بأنها إذا تَلَع النهار ورَمَضَت الأرض لا تبالي بذلك .

وهذا لا يعني أن الجزيرة حارة دائماً ، «فدرجة الحرارة تنخفض فوق المرتفعات جنوب مكة إلى درجة يتكون معها الجليد في ليالي الصيف»[٧٧] ، ولقد كانوا أقوى على تحمل الحر منهم على تحمل البرد ، وخاصة إذا كانوا

مجدبين – وما أكثر ما كانوا كذلك – فلا تعود أجسامهم النحيلة تقوى على تحمله ، ولا تجود مراعيهم بما يدر الألبان في الضرع والخلف ، فتثقل حركتهم ، ويخلدون إلى نمط من الحياة كئيب ، أشبه ما يكون بدور البيات الشتوي ، ولذلك فقد كانوا يفاخرون بالإطعام في تلك الحالات ، ولما كان الجدب يحدث في الشتاء غالباً ، فقد اشتقوا من الشتاء ألفاظاً وصفات أطلقوها على الحال ، وذلك لشدة وطأته عليهم ، فصوروا الشتاء والجدب ، كحليفين لا انفصام لما بينهما ، فقال حسان :

وأنا من القوم الذين إذا … أَزِمَ الشتاءُ محالفَ الجَدْبِ

أعطى ذوو الأموالِ مُعْسِرَهُم … والضاربين بموطنِ الرُّعْبِ[٧٨]

ومن ذلك قول طَرَفَة مفاخراً :

نحن في المَشتاةِ ندعو الجَفَلى … لا تَرى الآدِبَ منّا يَنْتقِرْ[٧٩]

يفاخر بأن قومه في المشتاة لا يَدْعون أفراداً ويَدَعون آخرين ، بل يعممون الدعوة ، وذلك لأنهم كرماء ، وهذه حالهم في كل فصول السنة ، ومن أقوالهم في الشتوات كناية عن الجدب قول كعب بن سعد الغنوي :

أخو شَتَواتٍ يعلَمُ الضيفُ أنَّه … سَيُكْثِرُ ما في قدرِهِ ويَطيبُ[٨٠]

من قصيدة يرثي أخاه ، وقد جعله أخاً للشتوات ، والمعنى أنه أخ كريم للناس ، إذا نزلت بهم أزمة فإنه يكرمهم بنفس طيبة ، ومن ذلك قول ضابىء البرجمي يمدح قومه :

عَهِدْتُ بها فتيانَ حربٍ وشَتْوَةٍ … كراماً يَفُكُّونَ الأسيرَ المكبلا[٨١]

حيث أضافهم للصعاب وجعلهم رجالها القادرين على مطالبها من بأس في الحرب وإكرام في الجدب .

٢ - ٦ السنــة (الجــدب)

وقد يطول زمان الجدب فيمر بطيئاً كليل المهموم ثقيلاً ينوء بالجبال ، فيخالج اليأس والقنوط نفوسهم ، فيسخطون على ذلك الزمان وكأنه العلة فيما نزل بهم ، ونظراً لتوالي تلك الحال على نحو يكاد يكون متصلاً فقد أطلقوا الجزء من الزمان على ما يقع فيه ، فكما أطلقوا اسم الشتوة والمشتاة على الجدب ، فقد أطلقوا عليه اسم السنة واشتقوا منها قولهم : «أسنت القوم فهم مسنتون إذا أجدبوا» قالت امرأة من بني عقيل تفخر بأحد أخوالها من اليمن :

يأكلُ أزمانَ الهُزالِ والسِّنيّ

هَنات عَيْرٍ ميّتٍ غيرِ ذكيّ[٨٢]

تعني أنه يأكل ذكر العير ، فكنت عنه لأنها امرأة ، وفي هذا ما يبين الحال التي يؤولون إليها إذا أجدبوا ، وقال آخر :

عمرو الذي هَشَمَ الثريدَ لقومــه ورجالُ مكةَ مسنتونَ عجـاف[٨٣]

يعني أن عمرا أكرمَ قومَهُ في وقت كان فيه أهل مكة مجدبين ، وأنت ترى أن في البيت فخراً بالإطعام في يوم ذي مسغبة . وقال أبو دؤاد الإيادي :

وَسِماحٌ لدى السنين اذا مــا قَحِطَ القَطْرُ واستقلَّ الرّهــامُ[٨٤]

يريد أن قومه لا يبخلون إذا قحط الناس واحتبس الغيث . وقد عبروا عن الجفاف باستخدام أساليب تنم عنه ، كقولهم «ظمأى الريح» إشارة إلى أن

الريح جافة ليس فيها من بخار الماء شيء ، وذلك لأنها لا تمر إلا من فوق رمال ألهبتها الشمس ، ولا شجر ولا نبت يزودها بنتحه فتندى ، قال سوّار بن المُضَرَّب :

رمى بلدٌ به بلداً فأضحى   بظمأى الريح خاشعةِ القنان[٨٥]

يعني : بأرض ظمأى الريح وخاشعة القنان أي يابسة لم تمطر .

٢ - ٧ السراب

ونظراً لارتفاع الحرارة وترامي البقاع المسطحة ، فقد كثر حدوث ظاهرة السراب في الجزيرة العربية ، ولا شك في أنه كان يغري من تقدمهم وأناساً منهم ، ولكنهم عرفوا طبعه وخداعه وأسموه أسماء مختلفة مشتقة من صفاته ، ومنها الخيدع لخداعه ، والملمع واللماع واليلمع للمعانه ، والخفّاق لما يظهر فيه من وجيب وتماوج ، وكما أسموه آلاً وغيره ، قال امرؤ القيس :

كأنَّ رحى حيزومِها في مُلَمَّعٍ   لـه خلفَها لمّا اتلأَبَّ سفينُ[٨٦]

يريد أن صدر الناقة يُرى عند ارتفاع السراب - الملمع - كالسفينة ، وذلك لأن السراب يرفع الشخوص فيكون هو من تحتها كلجة ماء ، وقال في الآل :

فَشَبَّهْتُهُم في الآلِ لما تَكَمَّشوا   حدائقَ دومٍ أو سفيناً مُقَيَّرا[٨٧]

فقد شبه ظُعْنَ الحي حين أسرعوا في السير بحدائق الدوم ، لما في هوادجهم من الألوان المختلفة ، كما شبههم بالسفين لسيرهم في السراب ، كسير السفين في الماء ، وقال سوّار بن المُضَرَّب :

وإنْ غَوَّرْنَ هـاجرةً بِفَيْـــفٍ كـأنَّ سرابَها قِطَعُ الدُّخـانِ[88]

ومفهوم السراب في هذا البيت مضطرب ، لأنه لا يكون كقطع الدخان إلا إذا حصر الشبه في أن كليهما يحجب المناظر ويحول بين العين والرؤية الحقيقية ، وفي أن كليهما يشبه في لونه البخار ، فالسراب يبدو صقيلا ، بينما يبدو الدخان أحرش غير مستو ، ولعله كان يقصد القتام الذي يظهر فوق المناطق المنخفضة اذا أشرفت عليها ، وذلك القتام يَكْثُف في الهاجرة لفعلها في نداوة الأرض وإثارتها بخاراً شبيهاً بالضباب لولا اختلاف العامل في كليهما .

٢ - ٨ النــدى

ومن الظواهر الطبيعية التي ألفها عرب الجاهلية الندى ، وهو قطرات الماء تتكون على الأرض وعلى أوراق الشجر من جراء هبوب أنسام باردة آخر الليل ، فيكاثف ما فيها من بخار لاختلاف درجة الحرارة في كل من النسيم والأرض التي تكون أدفأ نسبياً ، نظراً لارتفاع حرارتها النوعية ، وقد علّموا بوقته على التبكير ، قال خفاف بن نُدْبة :

يصيدُكَ العَيْرَ بِـرَفِّ النَّـــدى يَحْفِرُ في مُبْتكِـرِ الراعــدِ[89]

يريد أن حصانه يمكّنه من اصطياد حمار الوحش في وقت مبكر من النهار ، عندما يكون الندى رفيفاً وتلألؤا في الشمس ، وقال الأسْعر الجُعْفيّ :

باتتْ شاميةُ الرياحِ تَلُفُّهُـــم حتى أتَوْنا بعدَما سَقَطَ النــدى[90]

وذلك في آخر الليل ، وربما تجوّز بعضُ الشعراء فاستعمل الندى مكان المطر ، وذلك لعلاقة المشابهة ، قال امرؤ القيس :

وقد اغتدي والطيرُ في وُكُناتِها وماءُ الندى يجري على كُلِّ مِذْنَبِ[91]

وذلك حيث إن المذنب مسيل الماء إلى الروضة ، والندى لا يكون من الكثرة بحيث يسيل .

٢ - ٩ الصقيع

ومن تلك الظواهر الصقيع ، وهو الندى يشتد البرد فيجمد ، وفي ذلك يقول أعشى باهلة :

وأحْجَرَ الكلبَ موضوعُ الصقيعِ به وألجأَ الحيَّ من تنفاحِهِ الحَجَرُ[92]

والضريب مثله ، وكلاهما يُهلك الزرع ويخفض الحركة ، قال حسّان :

إذا ما الكلبَ أَحجَرَهُ الضريبُ . . .[93]

وقولهما «أحجر» يعني أن الكلب يلزق بمكانه لا يتحول عنه ، فكأنه حجر لا حراك فيه ، وذلك لشدة البرد والصقيع الذي يغطي وجه الأرض إلا ما كان مغطى .

٣ - التضاريس

تمتاز جزيرة العرب بتضاريس فريدة نستطيع استقراءها من خلال أشعار الجاهلية ، فقد جاءت هذه حافلة بأسماء الأماكن والبلدان وتقاطع الأرض ، وذلك لأنها تقوم علامات على بعضها ، وبلاد العرب إما يابس أو ماء ،

ويتمثل يابسها في جبالها وبيدها ، ويتمثل ماؤها في البحار المحيطة بها إلا من جهة الشمال .

٣ - ١ الجبـال والمرتفعـات

لقد تأثر العرب بهذه التضاريس ، لأنهم كانوا دائمي النجعة والتنقل ، وكان عليهم - كما أسلفنا - أن يطووا أثناء ذلك مسافات شاسعة من الرمال التي تثوخ فيها الأقدام ، ويعز فيها الماء كما كان عليهم أن يرتقوا جبالاً عالية قد تعترض سبلهم ، الأمر الذي ينال منهم ، لأنهم لم يعتادوا تسلق الجبال في معظمهم ، ويصور أوس بن حجر ذلك في أبيات من قصيدة وصف فيها الجبل الذي ارتقاه ليبلغ شجرة نبع ، يتخذ منها أقواساً فقال :

فُويقَ جُبَيْلٍ شامخِ الرأسِ لم تكـنْ لتبلُغَهُ حتَّى تَكِدّ وتَعَمـَلا(٩٤)

فبلوغ ذروة هذا الجبل يتطلب كداً وإعمالاً للطاقة ، وقد صغر الجبل تعظيماً له وتهويلاً لأمره ، وإلا لما صح قوله مع ذلك «شامخ الرأس» ، ولا قوله «حتى تكد وتعمل» .

ومن ألفاظ التضاريس التي شاع ورودها في أشعار الجاهلية الألفاظ التي تخص المرتفعات بأنواعها ، فسطح الجزيرة العربية غني بهذا النوع من التضاريس ، وقد كان ورود تلك الألفاظ على نحو يدل على معرفتهم بطباعها ومكوناتها ، فالظِّرْب جبل صغير حجارته مسننة متناثرة تكاد تغطيه ، وقد ورد هذا اللفظ في صيغة الجمع في بيت ينسب لأخي امرىء القيس بعد مقتل أبيه هو :

إن جَنْبِي عن الفِراشِ لنابـي كتجافي الأَسَرّ فوق الظِّـراب(٩٥)

فأنت تلاحظ أنه قد جيء بهذه الكلمة لتقوم بمعنى وتؤكد دلالة لا يمكن أن ينوب عنها في أدائها لفظ آخر ، فالشاعر يعتذر عن الأخذ بثأر أبيه متعللاً بنبو جنبه عن ظهور الخيل ، وأنه لا طاقة له بامتطائها ، تماماً كالبعير الذي تقرحت كركرته ، فهو يتحاشى البروك على الظِّراب حيث الحجارة التي تدمي قروحه ، الأمر الذي لا يكون على هذا النحو إلا على الظِّراب .

ومما حدا بهم إلى توخي التدقيق في تمييز التضاريس وتصنيفها هو حاجتهم إلى ذلك في تحديد الأماكن والطرق أثناء الارتحال والسفر ،فكانوا إذا وُصِفَ لأحدهم السبيل استناداً إلى تلك المعالم فعبر الصحراء ، فإنه لا بد مهتد إلى مخرج منها إلا أن تحيط به دائرة .

وقد كانوا يُكَنّون بصعود الجبال عن التصدي للمصاعب والقدرة على تحملها ، وذلك لما في ارتقائها من مشقة وعناء لا يقوى على احتمالهما إلا الأشداء . وهذا دريد بن الصمة يفاخر بقومه قائلاً :

إذا أحزنوا تغشى الجبالَ رجالُنا كما استوفَزَتْ فُدر الوعولِ القراهبُ[٩٦]

يصف قومه بأنهم يرتقون الجبال إذا لاذ غيرهم بالحزون عاجزين عن ارتقاء الجبال . وقد تمثل الحجاج في مستهل خطبته المشهورة ببيت من شعر الجاهلية يدور حول المعنى وهو :

أنا ابن جـلا وطلاّعُ الثّنايـا متى أضعِ العمامةَ تعرفونـي[٩٧]

أي طلاّع الجبال كنايةً عن شدة البأس ، وكذلك قالوا «طلاع أنجد» أي يركب الأمور الصعاب ، ومن ذلك قول الشاعر :

وقد يقْصُرُ القُلُّ الفتى دونَ همِّهِ   وقد كان لولا القُلُّ طلاعَ أنجُدِ(٩٨)

يعزّي نفسه إذا حيل بينه وبين مراده بالرغم من أنه يسمو دائماً إلى معالي الأمور وذلك بسبب إقلاله .

وقد استعان الجاهليون بما عرفوه من طبائع التضاريس في رسم صور تعبيرية رائعة ، فالريع ما ارتفع من الأرض فوق الحزن ، والقرارة ما اطمأن منها ، وسطح الأرض من هذين ، يقول المفضّل النُّكْريُ :

بكلِ قرارةٍ وبكلِ رِيْـعٍ   بنانُ فتىً وجمجمةٌ فَليـقُ(٩٩)

فالشاعر يريد أن يبين لنا أن قومه قد أصابوا أعداءهم وأعملوا فيهم حد الظبات وأكثروا القتل فيهم ، فتلك جثثهم وأشلاؤهم تغطي الأرض ما ارتفع منها وما انخفض .

كما استعانوا بما عرفوه من ظواهر الطبيعة ، فوصفوا أنفسهم بما كان حسناً من صفاتها ، ونفوا عنها ما كان سيئاً مشئوماً ، قال تأبط شراً :

ولستُ بِجِلْبِ جِلْبِ غَيْمٍ وقَرَّةٍ   ولا بصفا صَلْدٍ عن الحقِ مَعْزِلِ(١٠٠)

أي لست برجل لا نفع فيه ومع ذلك فيه أذى ، كذلك السحاب الذي فيه ريح وبرد ولا مطر فيه ، ولا أنا ممن يعدم الناس خيرهم كذلك الصفا الصلب الذي لا ينبت شيئاً تنتفع به الناس والسائمة .

وقد سمى العرب بعض المناطق بصفات جغرافية تمتاز بها فصارت أسماء وأعلاماً عليها ، وذلك لارتباط وثيق بين الاسم والصفة ، ومن ذلك نجد والحجاز والإحساء وغيرها .

فالنجد في العربية ما ارتفع من الأرض واستوى وغلظ كالهضبة ، وهذه صفة بارزة تميز الإقليم الذي يقع في وسط الجزيرة ، فسموه بما فيه ولزمته التسمية علماً عليه . قال أحد الأعراب :

ألا أيها البرق الذي بات يرتقي ... ويجلو ذُرى الظلماء ذكّرتني نجدا

ألـم تَرَ أن الليـل يقصُرُ طولــه ... بنجد وتزداد النطاف به بردا(١٠١)

حيث ينصرف نجد هنا للإقليم الذي يتوسط الجزيرة العربية .

والحجاز فِعال من حجز بمعنى حال بين أمرين ، وجبال المنطقة الغربية من الجزيرة العربية تحول بين نجد وتهامة(١٠٢) ، وقيل أيضاً إن حرات الحجاز تحول دون تقدم الغازين ، فهي حامية أهله(١٠٣) ، ولهاتين الصفتين فقد سموه بما هو شأنه .

٣ - ٢ البحـــر

وكان عليهم أن يركبوا البحر في بعض رحلاتهم التجارية ، وذلك يقتضي معرفة به وبأحواله وتقفنا أشعارهم على تلك المعرفة ، حيث وصفوه وصفاً ينم عن إدراك لطبيعته وأحواله وكيفية الإبحار فيه ، قال امرؤ القيس :

ركبَ اللجَّ إلى اللـجِ إلـــى ... غَمَراتِ البحر ذي الموت الأشـد

حين أرسى كلُّ مَنْ يعرفــهُ ... وارتمى الآذِيُّ منهـا بالزَّبَـــد(١٠٤)

حيث يشير البيت الثاني إلى أنهم كانوا يعرفون البحر وطباعه معرفة جيدة ، ولذلك كانوا يرسون سفنهم ، ويعدلون عن الإقلاع إذا هاج البحر وتلاطمت أمواجه .

وقال ضابىء البرجمي يصف إرقال ناقته بأنه مثل :

تَدافع غسّانية وَسْطَ لُجّــةٍ إذا هي همت يومَ ريحٍ لتُرْسَــلا(١٠٥)

ونلاحظ أن كلا الشاعرين قد وفقا في استعمال كلمة (لج) وهو معظم الماء وموجه ، إذا هاج يكون عاتياً وخطره أحدق ، كما أن حركة السفينة فيه تكون أســهل في حــال هدوئه نظراً لعــمــقــه ، وهذه المعــاني تدلنا على أن الشـاعرين قد وفـقا في رسم الصورتين ، فلم يضعا الضحل مكان اللج ، إذ تقتضي الصورتان أن يكون الماء كثيراً ليكون خطراً ذا غمرات موت في بيتي امرىء القيس ، وليكون مما يسهل الإبحار فيه في بيت البرجمي ، وهذان لا يتمان في ماء ضحل .

وقد كانوا يقفون بالبحر وتسترعي انتباههم أمواجه المتتابعة ، فلا تتلاشى موجة حتى تنشأ أخرى ، وهكذا ، ولقد كان بعضهم عشاقاً ، وكثيراً ما كانت تؤرقهم أطياف الأحبة فيبيتون الليل يراقبون نجمهم متى يدخله راعيه في مراحه الغربي ، فكان ليلهم يمر وئيدا تتعاقب أبعاضه كتتابع موج البحر الذي لم يكونوا يرون آخره ، فأعجبهم ذلك التشابه ، ومن قولهم في ذلك :

وليلٍ كموجِ البحرِ أرخى سُدولَــهُ عليَّ بأنواع الهمومِ ليَبْتَلي(١٠٦)

كما شبهوا بــذلك كتائب الجيش في كثرتها وتتاليها ، قــال متمم بن نويرة :

فما فَتِئوا حتى رأَوْنا كأننــا مع الصبح آذيٌّ من البحرِ مُزْبِـدُ(١٠٧)

٣ - ٣ الأحســـاء

والحسي في العربية ماء دون السطح غير بعيد منه ، يستخرج بعد الحفر عنه ، وكلّما نزف ماؤه جم ، قال امرؤ القيس :

يَجُمُّ على الساقِينَ بعد كلاله   جُمومَ عيونِ الحِسْيِ بعدَ المَخيضِ(١٠٨)

وتكثر الأحساء في شرق الجزيرة العربية ، ولذلك سموا هذه المنطقة بما يكثر فيها - الأحساء .

٣ - ٤ المضائق والخلجان والمد والجزر

وقد عرف الجاهليون المضائق والخلجان كما عرفوا ظاهرتي المد والجزر ، قال سهم بن حنظلة الغنوي :

مَدَّ الخليجُ ترى في مده تَأَقــاً   وفي الغوارب من آذيِّه حَدَبـا(١٠٩)

والخليج هنا ينصرف لما نعرفه الآن باسم الخليج العربي أو لخليج فيه ليس صغيراً ، وذلك ظاهر في قوله «ترى في مده تأقا» ، والتأق شدة الامتلاء ، وفي قوله «وفي الغوارب من آذيه حدبا» حيث تسمح سعته بتكون الأمواج العالية .

وينصرف الخليج في أشعارهم إلى معنى النهر ، وذلك لعلاقة المشابهة في أن كليهما مستطيل ممتد وأنهما يختلجان أبداً ، هذا بسبب الجري وذلك بسبب الموج ، ومن ذلك قول امرىء القيس :

فعيناكَ غَرْبا جدولٍ في مُفاضَةٍ   كَمَرِّ الخليجِ في صفيحٍ مُصَوَّبِ(١١٠)

فالخليج النهر الذي يتفرع من النهر الأعظم ، وهو هنا مجرى النهر إلى الروضة ، ولذلك جعله من صفيح أي حجارة ، وجعلها مصوبة أي منحدرة ، وذلك أسرع لجري الماء فيه وفي قوله كمر الخليج إشارة أيضاً إلى أن المقصود

مـجـرى الماء ، لا الخليج الفـتق في الأرض يغـمـره مـاء البـحـر لأنه لا يمر ولا يجري .

ولم أقف في أشعارهم على ما يشير إلى المضيق يكون في البحر ، بل وجـدته لما يكون في اليـابس بين الجـبـال ، وأرى أن هذه الدلالة هي الأولى ، حيث إن الإنسان كان أول ما كان على اليابس لا في الماء .

ولم أجد المضيق البحري إلا في كتب الجغرافيين بعد الإسلام ، قال امرؤ القيس :

إذا ضَمَّها لَحْيا مَضِيقٍ بَدَتْ لـه بمُنْفَضِخٍ قَيٍّ السُّهوبِ مُتُونُ(١١١)

يريد أن ناقته إذا جاءت مضيقاً فَسَدَّ عليها الأفق فإنها لا تلبث أن تخرج منهُ مُشْرِفة على أرض واسعة ، والدليل على معنى المضيق أنه جعل له لَحْيَين على التشبيه بلَحْيي الإنسان أو الحيوان ، وهما صلبان بينهما فرجة ، وهو كذلك .

٣ - ٥ الصحـــارى

ولقد أطلق الجاهليون على بعض أجزاء السطح أسماء منقولة عن أمور قد تحدث فيها ، كالتيه والمفازة من أسماء الصحراء ، فالأول لأن الصحراء كثيراً ما يتيه فيها الإنسان ، ومن ذلك تيه بني إسرائيل ، غير أن العرب كانوا يرجون أن يفوزوا بالنجاة إذا عبروها ، فكانت من ذلك التسمية الثانية - المفازة ، قال ضابىء بن الحارث :

مهامه تيهٍ من عُنيزةَ أصبحت تَخالُ بها القعقاعَ غاربَ أجْزَلا[١١٢]

وقال امرؤ القيس :

وكم دونَها من مهمهٍ ومفـازةٍ وكم أرضِ جدْبٍ دونَها ولُصوص[١١٣]

٣ - ٦ المنخفضــــات

وقد ورد في أشعارهم كثير من الألفاظ الدالة على المنخفضات بأنواعها المختلفة ، وذلك لأن أثرها في حياتهم لا يقل عن أثر المرتفعات ، إذ فيها تتجمع مياه الأمطار ، وفيها تسيل ، وفيها ينزلون إذا تذأبت الرياح ، وفيها تنبت الأعشاب التي تقوم عليها الحياة ، قال تأبط شراً :

وَشِعْبٍ كَشَلِّ الثوبِ شَكْسٍ طريقُهُ مجامعُ صَوْحَيْهِ نطافٌ مُخاصرُ

به من سيولِ الصيفِ بيْضٌ أقرَّها جُبارٌ لصُمِّ الصخرِ فيه قراقرُ[١١٤]

يصف شِعباً قام على جانبيه حائطان من جبلين عاليين وقد خلف فيه السهل غدرانا بيضاً كان احتفر الأرض لقوته فخلفها في أماكن من الشعب ، والمنخفضات كالمرتفعات ، متفاوتة في مقدار انخفاضها فمنها سحيق غائر قابلوه بنجد ، جاء في النوادر :

أصْعَدَ أهلي مُنْجِدينَ وغارتِ[١١٥]

أي ارتقوا نجدا أو توجهوا نحوه ، أما هي فقد غارت أي أتت الغور ، وهما غوران غور تهامة وغور الأردن ، واشتقاق الغور (فعل من غار يغور) ويشبه الخسف ، ويقال : غار الماء وغوَّر إذا انسرب في باطن الأرض ، وغار النجم غاب وغرب ، وكل ذلك سواء في أصل الدلالة الذي هو الحدور والانخفاض .

وقد يكون ذلك المنخفض ذا أبعاد أفقية وتنبت فيه أشجار بعينها ،

كالسدر أو الأراك أو الأرطى أو الطلح وغير ذلك ، فخصوا كلاً من هذه المنابت باسم لا ينصرف لغيره ، فالخَبْرة قاع يحبس الماء ويُنبت السدر ، والغريف والأيكة تنبتان الأراك ، والغول والغلان تنبتان الطلح ، والعرين ينبت الأثل . . . إلخ[١١٦] ، ومثل هذا التقسيم لم تعرفه لغة فيما أعلم غير العربية ، قال امرؤ القيس في الخبرة :

كأني ورْدفي والقِرابَ ونُمرُقي   على ظهرِ عَيْرٍ وارد الخَبَرات[١١٧]

قال الأصمعي : الخَبَرَات جمع خَبْرة وهو قاع يحبس الماء وينبت السدر[١١٨] .

وقد يكون المنخفض شديداً حاداً في انخفاضه ، وذلك غالباً ما يكون بين جبلين ، فلم يفتهم أن يخصوه باسم يميزه ، بل بأكثر من اسم ، ومن ذلك اللّهب واللّصب والهَلَك والهَجْل ، قال خفاف بن ندبة :

بَردٌ تَقَحّمهُ الدبورُ مراتباً   مُلقى ضواحي بَيْنَهنّ لُهوب[١١٩]

وقال أبو دؤاد :

وراح علينا رِعاءٌ لنا   فقالوا : رأينا بِهجْلٍ صُوارا[١٢٠]

وقد يكون المنخفض عريضاً ممتداً وادياً كان أو غيره ، كالفج والجَوّ والميثاء ، وقد يكون هبطة تحفها أرض مديدة مستوية كالغائط والقاع والغَيْب والقرار ، فلم يفتهم أن يسموا ذلك كله ، وذلك إمعاناً منهم في التدقيق إذا وصفوا أو أرشدوا ، وتلك ضرورة يفرضها ارتباطهم الجوهري بالطبيعة .

٣ - ٧ الحَرّات والبراكين

وتغطي الحرات مساحات واسعة من سطح الجزيرة العربية ، وكان العرب

يتجنبون السير فيها راجلين أو راكبين وذلك لكثرة الحجارة التي تشكل بساطاً أسود وثيق النسيج ، وكانوا يلوذون بها إذا دهمهم غزاة لا حيلة لهم بصدهم ، فهي درع حصين قد ينتفع به ، غير أنها لا تنبت في الغالب وإن أنبتت فإن أعشابها تجف دون أن تنال منها ماشيتهم ، وذلك لوعورتها .

ونجد في أشعار الجاهلية إشارات إلى أنهم شاهدوا البراكين ثائرة ، الأمر الذي كان يبعث في نفوسهم رهباً ورعباً ، مما دعا بعضهم إلى عبادتها . قال أبو حنيفة الدينوري : «وكان لذي نواس بأرض اليمن نار يعبدها هو وقومه ، وكان يخرج من تلك النار عنق يمتد فيبلغ ثلاثة فراسخ (١٨ ميلاً) ثم ترجع إلى مكانها» - أي تخمد[١٢١] .

ومن تلك البراكين «صوران» ، وهي نار كانت تظهر ببعض الحرار بأقاصي بلاد اليمن»[١٢٢] وقد كانت لا تزال ثائرة في إحدى الحرات زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه[١٢٣] ، وكانت سحب الدخان تخرج في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه من بعض الجبال القريبة من المدينة المنورة[١٢٤] ، وقد علمت ممن أثق به أن الدخان لا يزال يخرج من مكان يقال له «أمشودة» - الشودة - من بلاد بني شهر في تهامة عسير ، وذلك عندما كنت أعمل مدرساً في بلادهم عام ١٩٦٨م .

وقد رصد بعض شعراء الجاهلية هذه الظواهر في أشعارهم ، ولكنهم كانوا يعبرون عن البركان بلفظين هما الحَرَّة والنار ، قال عرعرة النمير في الحرة :

بِحَرَّةِ القوسِ وجنبي مَحْفَلِ ... بينَ ذُراهُ كالحريقِ المُشْعَلِ[١٢٥]

وقال آخر :

بِحَرّةِ لُبْنَ يَبْرُقُ جانباهـــا   رَكودٌ ما تُهدُّ من الصبـــاحِ(١٢٦)

ولقد فرّق العرب بين الحرة تكون في غلظ من الأرض والحرة تكون في الرمل ، فخصوا هذه الأخيرة باسم تعرف به فقالوا فيها «بسقة» ، كما فرقوا بين مسايل الماء من الحرة ومسايله من غيرها ، فخصوا ما سال منها باسم الشراح ، وكذلك فقد أطلقوا على الحرة أسماء تعرف بها مثل اللابة واللوبة ، وهما ما يلفظه البركان من حمم تسيل على سطح الأرض مغطية ما أحاط بالبركان ، فلا تلبث أن تبرد فتشقق حجارة سوداء نَخِرة ، وقد انتقل اللفظ العربي (لابة) إلى اللغات الأوروبية (LAVA) ، وقد أفضنا في تحليل هذا الموضوع في بحثنا «صفات لغوية في التاريخ الطبيعي للجزيرة العربية» الذي نشرته مجلة الجدارة السعودية في عددها الثاني ١٤١٠ هـ .

وقد يطلق العرب على الحرة اسم السوداء ، وهو محول عن صفة لأنها تكون كذلك ، والرجلاء وذلك لأنها ترجل سالكها لوعورتها فلا يقدر على الركوب فيها(١٢٧) .

٤ - المـــاء

٤ - ١ أهميتـــه

كان الماء - ولا يزال - عزيزاً في كثير من أرجاء شبه الجزيرة ، مما جعل من الحياة في كثير من بقاعها أمراً يتطلب دوامه جهداً وعناء كبيرين ، فكثيراً ما أعيى طلبه قاطنيها . ولشد ما كان ذلك من قبل ، حين كان يتسبب في نشوب المعارك بينهم ، وما عقر أحمر عاد ناقة صالح عليه السلام فاستحق هو وقومه العذاب الأليم إلا استبقاء لما كانت تشربه ، وما قرّب موسى من شعيب

عليهما السلام وزوّجه من إحدى ابنتيه إلا أنه سقى لها من ماء مدين الذي كان يزدحم بالرعاء . وما جعل وائلاً يرمي ناقة سعيد بن شُميس الجَرمي بسهم خلط دمها بلبنها فألهب حرب البسوس ، إلا أن تلك الناقة قد وردت مع إبله . وكان عمرو بن كلثوم يفاخر بأن له ولقومه السبق في الورد ، فهم يشربون صفو الماء ، ولا يجد غيرهم إلا حثالته وقد خالطها الطين ، وقال :

ونشرب إن وردنا الماء صفـــوا ويشرب غيرنا كَدرا وطينـــا(١٢٨)

وكم وقف شعراء الجاهلية بالأطلال ودعوا لها بالسقيا ، عسى أن تمرع الأرض فيرجع الأحبة إلى منازلهم ، يقول طرفة :

فسقى ديارَكِ غيرَ مفسدِهـــا صوبُ الربيع وديمةٌ تَهْمِـــي(١٢٩)

٤ - ٢ شـــح المـــاء في جزيـرة العـــرب

ليس في الجزيرة العربية أنهار بالمعنى الذي نعرفه للنهر ، وإنما هي أودية تمتلىء بالماء في مواسم المطر ويغيض ماؤها بعد ذلك(١٣٠) . غير أن بعض المؤرخين ذكروا نهرين عظيمين كانا فيها في الماضي البعيد ثم جفا وزحفت الرمال على مجرييهما فأصبحا لا يُلفى لهما أثر ، فقد ذكر هيرودتس نهراً أسماه (Koras) كورس ، زعم أنه نهر كبير عظيم يصب في البحر الأرتري - البحر الأحمر - وزعم أن العرب كانوا يذكرون أن ملكهم قد عمل ثلاثة أنابيب صنعها من جلود الثيران وغيرها من الحيوانات امتدت من النهر إلى البادية مسيرة اثنى عشر يوماً ، حملت الماء من النهر إلى مواضع منقورة نقرت لنقل المياه الآتية من ذلك النهر فيها(١٣١) .

ويقول «بروكلمان» إنه كان بالجزيرة العربية ثلاثة أنهار كبيرة على الأقل وذلك استناداً إلى البحوث الجيولوجية الحديثة حسب قوله(١٣٢) . كما ذكر

بطليموس نهراً آخر أسماه (LAR لار) زعم أنه كان ينبع من منطقة نجران ثم يسير نحو الجهة الشمالية الشرقية مخترقاً بلاد العرب ، حيث يصب في الخليج العربي[١٣٢] .

وموقع هذا النهر إن صح الخبر إما أن يكون وادي حبونا الواقع غير بعيد من نجران جهة الشمال ، أو وادي نجران نفسه .

وقد لاحظت أثناء إقامتي في نجران ١٩٦٥ أن واديها مؤهل لأن يكون مجرى نهر عظيم ، كما لاحظت آثار قنوات قديمة في بلدة الموفجة قرب الحدود اليمنية في مكان يقال له الثافرة . وهناك أيضاً المضيق ، وهو ممر في جبل ناري الصخور كأنما نشر فيه بآلة حادة يصل بين غائط من الأرض يتجمع فيه ماء المطر وبين تلك القنوات التي مدت في سفح الجبل عن شمالك إذا استدبرت المضيق ، ويزعم الناس هناك أن الماء كان يجري في هذه القنوات مسافات طويلة تروى به البساتين المحيطة بوادي نجران ، كما يزعمون أن الذي نحت ذلك المضيق رجل اسمه «عاد بن كنعان بن عامر» ، وفي وسط المضيق هوة قعرها دان من سطحه يقولون إنّها «تنور علياء» ويزعمون أنه هو المقصود بقوله تعالى : «وَفَارَ التَّنُّورُ» وقدرأيت في صفحة المضيق الشمالية بقايا نقش طامس لم أتبينه لارتفاعه الذي يزيد على اثني عشر متراً .

٤ - ٣ الآبــــار والســـدود

غير أن أحداً من عرب الجاهلية لم يقل بوجود نهر ولا أنهار فيما نعلم ، ولكنهم كانوا إذا نزل المطر يشربون ما تجمع منه في الأقلات ونُقر الصخور والقيعان ، غير أن ما في هذه من ماء ما كان ليدوم ، فالأرض تبتلع والحرارة والريح تبخران ، ولذلك حفروا الآبار وأقاموا السدود ، وقد خلّد القرآن الكريم

عملهم ذلك في سورة سبأ ، حيث أشار إلى سد مأرب الذي كانوا يكظمون وراءه ماءكثيراً ، ويؤكد كثرة ما كان يحجزه من ماء أنه دمر ديارهم واجتاح جناتهم عندما انهار ، فتشتتوا في البلاد أيادي سبأ ، ولكن عرب الجاهلية كانوا رُحّلا في معظمهم ، والسدود لا ينتفع بها إلا مقيم ولذلك فقد علّموا على العيون والينابيع والغدران التي يطول مكثها لأنها أوفى بحاجتهم من غيرها وربما حفروا آباراً وغدراناً واسعة في مناطق تجمع ماء المطر ، ومن ذلك ما فعله عبد شمس ، إذ حفر غدير خمّ وكشف عن بئر زمزم قال الشاعر في ذلك :

حفرت خَمّاً وحفرت زَمّـــا   حتى ترى المجدَ لنا قد تمـــا(١٣٤)

وقد كانت الناس تأتي هذا الغدير في الجاهلية وصدر الإسلام يتنزهون فيه ، وفي هذا إشارة إلى أنه كان كبيراً وأن ماء كثيراً كان يستقر فيه .

٤ - ٤ مصــادر أخــرى

وقد ذكر الشعراء الجاهليون كثيراً من مصادر المياه التي كانت تمدهم بما كانوا يحتاجون إليه ، قال عبيد بن الأبرص :

أقفر من أهلـه ملحـــــوب   فالقُطَّبيـــات فالذَّنــــوب

فـــــــراكـــس فَثُعَلْبيات   فـــذات فِرقين فالقَليــــب

واهــية أو مَعـــين ممِعـــن   من هضْبةٍ دونها لُهـــوب

أو فَلَــجٌ مـــا ببطـــــن واد   للمـاء مـن تحته قسيـــب

أو جَدْولٌ في ظـــلال نخـــلٍ   للماء من تحته سُكـــوب

. . .

بـــل رُبَّ ماءٍ وردتُ آجـــنٍ   سبيلهُ خائــفٌ جديـــب(١٣٥)

ولا يخلو بيت من هذه الأبيات من مصدر للماء ، كما نستخلص أن الشاعر كان في تنقله يتتبع أماكن الماء ، فهو لم يستعمل في عطفها الواو التي تفيد المصاحبة بل استعمل الفاء لإفادتها التعاقب ، و «أو» التي يشير استخدامها إلى أن ما عطف بها هو أماكن تقع على طريق آخر ، وهذا يبين لنا كيف أن الماء كان يتدخل في كل شيء حتى في تخطيط الطرق ، وهذه المصادر التي ذكرها عبيد في الأبيات هي :

القَليب وهو البئر تحفر فعيل بمعنى مفعول من (قلب) .

المَعين وهو الماء الظاهر على وجه الأرض جوفياً كان أو بقية من ماء مطر .

الفَلَج وهو النهر الصغير ويطلق على قناة الري .

الجدول وهو نهر صغير ممتد وماؤه أقوى في أجماع أجزائه من المنبطح السائح .

ماء آجن وهو الآسن الذي تغير ولا يكون إلا قاراً ناقعاً في حفير أو في نقرة .

ومن مصادر الماء التي ذكرت في أشعارهم النِّهْيُ أو النُّهي ، وهما التَّنْهِية والتَّنْهَاة ، وهي جميعاً ما ينتهي إليه الماء ، فيستنقع فيه لانخفاضه ويمنعه ارتفاع ما حوله من أن يسيح ويذهب على وجه الأرض ، والبدو يقولون «النِّهي» حتى الآن ، وقال أبو قيس بن الأسلت :

اعددتُ للحربِ موضونَةً مُتَرَّصَةً كالنِّهْيِ بالقاع[١٣٦]

وقال علقمة الفحل :

وَضَّاعةٌ كعِصِيِّ الشِّرْعِ جَؤْجُؤُهُ كأنه بِتَناهي الروضِ عُلجومُ[١٣٧]

٤ - ٥ الغــــدران

وهو ما يبقى على وجه الأرض من ماء السماء ، وغالباً ما تكون في مجاري الأودية ، قال عبد قيس بن خفاف في الغدير :

كماءِ الغدير زَفَتْهُ الدَّبُــــور   يَجُرُّ المدجَّجُ منها فُضــولاً(١٣٨)

حيث شبه درعه في بريقها وترقرقها بماء الغدير وقد مرت به ريح الدبور ، الأمر الذي يجعل أجزاء سطحه كأنها مرآة مكسرة ، واختار الدبور لأنها تكون شديدة المرور ، وقال المُنَخَّل اليشكري :

فـدفعتهـــا فتدافعـــت   مَشْيَ القطـــاةِ إلى الغديـــر(١٣٩)

٤ - ٦ الأحســـاء والعيـــون

لعل أهم مصادر المياه في الجزيرة العربية قديماً وحديثاً هي الأحساء ، وذلك لأنها إذا نزفت جمعت من جديد ، والحسي ماء يغو ر في الرمل فيوافق صلابة ، فإذا كشف عنه وجد قريباً ويدرك باليد ، وقد يقال فيه ركية أو حفيرة ، قال المرقش الأصغر :

يَجِمُّ جُمومَ الحِسْيِ جاش مضيقُهُ   وَجَرَّدَهُ من تحتُ غَيْلٌ وأبْطَحُ(١٤٠)

ومضيق الحسي مَرْشَحُهُ ، وجاش مَدّ . وقوله «جَرَّدَهُ من تحت غيل وأبطح» ، يعني أن هذا الحِسْي يأخذ من غَيْل جار تحت الأرض في رضراض وحصى لا يمسك الماء .

٤ - ٧ القـــلات

ومن مصادر الماء التي ذكروها في أشعارهم القِلات أو الأقلات جمع

قَلْت ، وهو النُّقْرة في الجبل تمسك الماء ، وهو مذكر بدليل قول مالك بن حريم الهذلي :

وقلتاً قَرَتْ فيه السحابةُ ماءَهـا   بأنيابها والفارسيَّ المُشعشعـا[١٤١]

وذلك حيث ذكّر الضمير العائد له في قوله «فيه» ، وهذا يفند ما جاء في النوادر حيث قال أبو زيد إنه مؤنث ، واستشهد لذلك بقول أبي النجم العَجْلي - وهو إسلامي :-

فَسَحَّرَتْ خضراءَ في تسحيرها   قلتاً سقتها العينُ من غزيرها[١٤٢]

حيث أنث الضمير العائد في قوله «سقتها» ، والعَيْنُ سحابٌ ينشأ من قِبَلِ القبلة ، مطير .

٤ - ٨ السيــــول

وليس أبهى في عيون الأعراب من منظر السيل الذي يجرف القحط والمحول ، ويروي الأرض مخلّفاً وراءه الغدران والبرك ، ولقد سمعت بعضهم في أكناف الربع الخالي الشمالية إذا رحّبوا بالضيف يقولون : زارنا السيل ، وقد كانوا يشبهون جموعهم بالسيول كما شبهوها بالعارض ، وذلك إعجاباً بها وتَيَمُّنا ، قال المفضَّل النُّكري :

فجاءوا عارِضاً بَرِداً وجئنـا   كسيلِ العِرْضِ ضاق به الطريق[١٤٣]

يقصد ضاق به مجراه .

٤ - ٩ أحـوال المـاء

وليست مياه الجزيرة عذبة أو صالحة للشرب في كل الأماكن ، إذ إن فيها

ما تأبى البهائم أن تشربه ، ويعاف الحَرّان أن يتبلّغ به نظراً لملوحته ، وفي ذلك يقول الحارث بن ظالم :

أبائرُ مِلْحَةٌ بحَزيزِ سَــوْءٍ   تبيتُ سُقاتُها صَرْدى سِغابــا[١٤٤]

أي أن هذه الآبار مِلْحٌ ماؤها ، وأنّ وارديها يبيتون عطشى لأن ماءها لا يشربُ ، وجياعاً لأن الماء لا يصلح لأن يُجعل في الزاد ، ولذلك أضاف الحزيز الذي هي فيه إلى السوء ، وقد كانوا يفضلون الماء الآجن على الماء المِلح ، اذا كان عليهم أن يختاروا ، بل كانوا يرون أن ما يعلو الماء من طحالب وخِضْرِم تجعله خيراً من غيره بما تحفظه بارداً ، لأنها تحجب عنه حرّ النهار ، قال خفاف بن نُدْبة :

تَبيتُ إلى عِدٍّ تقادَمَ عهــدُهُ   بحُرٍ تقى حَرّ النهارِ بغَلْفَــقِ[١٤٥]

والغلفق ما غطى الماء من الطحلب .

٥ – الغطـاء النباتــي

إذا كان الماء هو العنصر الأساسي الذي تقوم عليه الحياة فإن للنبات من الأهمية ما يجعله هو والماء صنوين لا يُستغنى عن أحدهما ، مع العلم بأن الماء هو جوهر النبات ، ويدخل النبات في حياة الإنسان من طريقين ، أولهما مباشرة ويتمثل في تناول الإنسان بعض النباتات وأكلها نيئة أو مطبوخة رطبة أو يابسة ، ويتمثل الثاني في أن الحيوانات تأكل النبات وتقدم للإنسان لحمها و لبنها وظهورها وأوبارها وغير ذلك . والجزيرة العربية فقيرة في النبات لقلة أمطارها وكثرة رمالها ، مما جعل الحياة فيها شاقة .

٥ - ١ المناطق الخضراء

وقد عرفت بعض مناطق الجزيرة الزراعة وأشهر هذه المناطق اليمن ، وقد أشار القرآن الكريم إلى ما كان عليه اليمن من خصب وخضرة دائمة ، وذلك في قوله عزّ وجلّ يصف مسكن سبأ بأنه «جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وشِمَالٍ»(١٤٦) .

ومن تلك المناطق الطائف ، وموقعها جنوب مكة في بداية الطريق الصاعد إلى اليمن ، وهي جنة مكة ومصيفها ، ولعل السبب في خصبها أن الأمطار الموسمية تدوم بها من أربعة أسابيع إلى ستة ، وعندما تنقطع تكثر الآبار التي تصلح لسقي حدائقها(١٤٧) .

ويثرب وما أحاط بها من وديان . ويعزى خصب هذه المنطقة إلى تفكك الصخور البركانية ووفرة المياه الجوفية ، بالإضافة إلى ما ينزل عليها من مطر في الشتاء ، وتشتهر هذه المنطقة بزراعة النخيل شأنها في ذلك شأن الواحات المتناثرة في أنحاء متفرقة من الجزيرة .

٥ - ٢ المناطق الجافة

أما فيما يتعلق بأرجاء الجزيرة الأخرى فهي بيد متناصية ، ووديان قاحلة ، قلما تستجيب لها السماء ، وصدق الله تعالى إذ وصف وادي مكة بأنه «بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ»(١٤٨) ، فلا عجب إذاً إن رأينا سكان البوادي يُغيرون على تلك البقاع العامرة حيث الماء والزرع والمواشي السمينة ، فهذا تأبط شراً يصرح عن وجهات غزواته قائلاً :

فيوماً على أهلِ المواشي وتارةً   لأهلِ رَكيبٍ ذي ثَميلٍ وسُنْبُلِ(١٤٩)

فهي غارة على أهل المواشي وأهل المزارع يغزوهم في جماعة من رفاقه الصعاليك ، فيصيب منهم ما لا يجده عند غيرهم .

ويبين قول عروة بن الورد الآتي ما كان للجدب من أثر في تنشيط عمليات الغزو والنهب وتحديد اتجاهاتها ، قال :

فيوماً على نجدٍ وغاراتِ أهلِها ... ويوماً بأرضٍ ذاتِ شَتٍّ وعَرْعرِ(١٥٠)

فهو يغير على نجد في وسط الجزيرة مرة ، وعلى عسير والحجاز مرة أخرى ، لأن الشث والعرعر لا ينبتان إلا في تينك المنطقتين ، لأنهما من نباتات المناطق الباردة ، وهما باردتان نظراً لارتفاعهما ، ولا شك في أن الجدب يتطلب ممن ينزل بهم صبراً جميلاً ومجالدة عنيفة ، ولذا نجدهم يفتخرون بمقدرتهم على الصمود في وجهه ، قال ذو الخِرَق الطُّهَويّ :

فِيئي إليكِ فإنّا معشرٌ صُبُرٌ ... في الجَدْبِ لاخِفَّةٌ فينا ولا نَزَقُ(١٥١)

وقالت سُعدى بنت الشمردل ترثي أخاها بأنه :

سَمْحٌ إذا ما الشول حارَدَ رِسْلُها ... واستروَحَ المَرَقُ النساء الجُوَّعُ(١٥٢)

تعني أن أخاها كان جواداً إذا شوّلت الإبل وارتفعت ألبانها ، وإذا استفحل أمر المجاعة ، وذلك لا يكون إلا في الجدب . ويقدم لنا كعْب بن سعد الغَنَوِيّ صورة حزينة لنفسه وقد افتقد أخاه بقوله :

لِيبكِكَ داعٍ لم يجدْ مَنْ يُعينــهُ ... طاوي الحَشا نائي المزارِ غريبُ

تَروَّحَ تَزْهاهُ صباً مُستطيفةٌ ... بكلِ ذَرىً والمُستَرادُ جديبُ(١٥٣)

فهو لم يجد من يعينه أو ما يقيم به إوده ، فالريح تهب من كل جانب ، بالإضافة إلى غربته عن أهله ، وهذه أحوال سيئة تستدرف الدمع ، ولكنها لا تعدل الجدب النازل به ، فكأنه قال : صبر جميل ، فقدت أخي ، ولم يكتف القدر بذلك فأوقع بي هذه المصائب .

ولم يكن الجدب مقيماً أبداً فيهم ، فقد كانوا يخصبون أحياناً ، فيلقون عصا الترحال ويرتاحون من عناء النجعة . وكم كان يسرهم وجه الأرض إذا هي اخضرت بعد طول شحوب ، فلازمت تلك الصورة أخيلتهم ، وزينوا بها أشعارهم ، قال مالك بن حَرِيم الهُذَلي :

ولاحَ بياضٌ في سوادٍ كأنــه   صُوارٌ بجوٍ كان جَدْباً فأمرعـا[١٥٤]

يقصد أن الشيب غزا شعره ، فإذا هو بياض في سواد ، كأنه صُوار ، أي قطيع من بقر الوحش ، والغالب في لونه البياض ، يمرح متفرقاً من منخفض من الأرض أخضر بعد أن كان مجدبا ، فاسودّ لشدة خضرته ، ولعل هذه أول إشارة إلى التعبير بالسواد عن الخضرة ، فالصورة إذا كالتالي :

شعر أبيض يتخلل شعراً أسود تقابل بقراً بيضاً متفرقة في أرض سوداء بخضرتها ، وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى «مُدْهَامَّتَان»[١٥٥] صفة لجنتين ذكرهما ، والدهمة درجة من السواد ، ثم استقر لفظ السواد عَلَماً على أرض العراق وذلك لخضرتها .

٥ – ٣ أنـــواع الغطـــاء النباتـــي

وقد ورد في أشعار الجاهلية كثير من الألفاظ الدالة على الأماكن التي يكثر فيها النبات والشجر ، ومن تلك الألفاظ الجنة بمعنى البستان يكون فيه نخل وماء ، وقد وردت مصغرة في قول خفاف بن ندبة :

بغُرِّ الثنايا خَيَّفَ الظَّلْمُ نبْتَــهُ   وسُنَّةِ رئم بالجُنَيْنَةِ مُؤْنِــقِ[١٥٦]

وقال امرؤ القيس :

عَلَوْنَ بأنطاكيَّةٍ فوقَ عِقْمَــةٍ   كَجِرْمَةِ نخلٍ أو كجنةِ يثرب[١٥٧]

والروضة وهي مطمئن من الأرض ينبت الأعشاب ، قال عبد الله بن عنمة :

فازجرْ حِمارَكَ لا يرتعْ بروضتنا   إذنْ يُرَدَّ وَقَيْدُ العَيْرِ مكروبُ(١٥٨)

فالروضة إذن ذات نبات يرعى ، ونباتها يستحق من الشاعر أن يأمر صاحبه بزجر حماره وإخراجه منها استبقاء لعشبها لترعاه ماشيته .

البساتين والكروم

تشير أبيات لأمية بن أبي الصلت ، أوردها صاحب الجمهرة ، إلى أنهم كانوا يمارسون زراعة الكروم وهي :

تنوحُ وقد ولَّتْ مدبرات   تخالُ سوادَ أيكتها عرينا

فأنبتنا خضارمَ ناضرات   يكونُ نَتاجُها عنبا وتينا(١٥٩)

وقوله خضارم يعني كروم ، والأيكة تعني الشجر الكثير الملتف ، تنبت الأراك وغيره(١٦٠) ، وفي البيت الأول إشارة إلى إطلاق السواد مكان الخضرة ، إذ الوجه أن يقول : تخال خضرة أيكتها عريناً ، والحديقة بمعنى المرعى الخصب ،قال طرفة في ناقته إنها قد :

تربعت القُفين في الشول ترتعي   حدائقَ مَوْلِيِّ الأسِرَّةِ أغْيَدِ(١٦١)

فالحديقة إذن ، مرعى السائمة وليست كما نفهمه عنها اليوم من أنها ذلك المكان الذي يحمى ويحال بينه وبين السائمة حفاظاً على وروده وأشجاره التي يزرعها الإنسان .

الغِيل والأباءة

ومن الألفاظ التي وردت في أشعارهم للدلالة على مواطن النبت

والشجر – الغِيل بكسر الغين المعجمة ، وهو الشجر الكثير الملتف الذي ليس بشوك . وأكثر وروده في أشعارهم مكاناً تخدر فيه الأسود ، قال أبو الفضل الكناني :

شَتيمٌ أبو شبلين أخضَلَ مَتْنَهُ   من الدجنِ يومٌ ذو أهاضيبَ ماطرُ

يظل تُغَنّيه الغرانيقُ فوقَـــه   أَباءٌ وَغِيلٌ فوقــه متأصـــرُ[١٦٢]

الأباء ، جمع أباءة ، وهي أَجَمَة القَصَب ، وقال أبو دُؤاد :

وشباب كأنهم أُسْدُ غِيــلٍ   خالطتْ فَرْطَ حدّهم أحــلامُ[١٦٣]

حيث تشير الأبيات إلى أن الغِيل يكاد يختص بدلالته على المكان الذي تتخذ فيه الأسود عُرُنها . وقد اشتقوا منه قولهم في النصح والتحذير «لا تتـغـيل» أي لا تلق بنفسك إلى التهلكة ، والأصل في الدلالة : لا تدخل الغِيل فيأكُلَكَ الأسد!! وجاء في الأساس[١٦٤] قول الزمخشري : تغيَّلَ الأسدُ الشجر ، دخله واتخذه غِيلا . وفي القاموس[١٦٥] : إن المُتَغَيِّل – بصيغة مبنى الفاعل – الداخل إلى الغِيل ، قال ضابىء بن الحارث :

تكاد مغانيها تقول من البِلى   لسائلها عن أهلها : لا تَغَيَّــلا[١٦٦]

الغابة ، كما ورد لفظ الغابة في شعر امرىء القيس لدلالة مشابهة ، وذلك في شعر يصف به ليثاً ، قال :

مُغْلَنْكِسُ الغابةِ جَأْبٌ جَفِرْ[١٦٧]

وفي الجزيرة العربية عدد من المأسد ، كانوا يَتَوَقَّون المرور بها ليلاً ونهاراً ، والمأسدة غابة لا تمتد ، تكون كثيرة الشجر تختفي فيها السباع والأسود ، ومن

المأسد المشهورة في الجزيرة العربية «لَحْظة» ، وهي بتهامة ، يقال : أُسْدُ لَحْظة كما يقال أُسْدُ بِيشة ، «ومأسدة الشرى ومأسدة خَفّان»[١٦٨] .

قال أبو الفضل الكناني :

فنهنهتُ عنه القومَ حتى كأنما حبا دونَها ليثٌ بخفان خادرُ[١٦٩]

الصحـــراء :

وجدت في أشعار الجاهلية ما يشير إلى أن الصحراء لا تكون أبداً جرداء ، بل قد تكون خصبة ينزلها الناس ، ومن ذلك قول امرىء القيس :

إذ هُمُ أهلُ قِبابٍ وقُرى ولهم صحراءُ مِحلالٌ مُرِبّ[١٧٠]

فالمحلال «مفعال من حَلّ» المنزل الذي لا يزال الناس يحلون فيه ، المرب : التي لا يزال بها ثَرى ومطر ، مُفْعِل من الرَّبّة ، وهي نداوة الأرض .

وأرى أن دلالة الصحراء تنصرف لمعنى السعة ، كذلك البحر ، ولذلك قالوا «رأيته صَحْرة بحْرة[١٧١]» على الإتباع ، ويعنى رأيته قُبُلاً ليس بينك وبينه شيء ، ولا يشترط فيها أن تكون جدباء أو رملاً استناداً إلى ما ورد من صفاتها في قول امرىء القيس السابق ، فإطلاق الصحراء على الأراضي القاحلة والمناطق الرملية الواسعة لم يأت إلا بعد ذلك ، والعلة فيه أن المناطق الرملية والأراضي القاحلة تشبه الصحراء في امتدادها واتساعها ، ويؤكد ما ذهبت إليه أن استعمال كلمة (صحراء) في الشعر الجاهلي لم يكن مألوفاً بقدر استعمال كلمات أخرى تطلق على الأراضي القاحلة والمناطق الرملية

التي نسميها صحاري ، مثل السَّبْسب والخَرْق واليَهماء ، والتِّيه والمَفازة والسَّهْب والخَبْت والدّاوية والطامسة والمُفاضة . . . إلخ .

وتبدو دلالة الصحراء على الاتساع واضحة في قول سلامة بن جندل :

فعزّتنا ليست بِشِعْبٍ بِحَـــرَّةٍ ولكنّها بحرٌ بصحراءَ فَيْهَق[١٧٢]

أي أن عزتهم ليست قليلة بحيث يستوعبها شِعْب ضيّق ، وقوله «بحرة» لأن شعاب الحِرار ضيقة وذلك لاستوائها ، فجري الماء فيها لا يكون من السرعة بحيث يقوى على توسيع مجراه ، لأن حجارتها تمسكه ، ولكن عزتهم بحرٌ واسع في صحراء منفهقة ، أي واسعة جداً .

ولا يشترط في الصحراء الاستواء ، ولا أن تكون مغطاة برمل ، ويبدو هذا الإسقاط واضحاً في قول خفاف بن ندبة يصف سيلاً :

يشقُّ الحِدابَ بالصحاري وينتحي فراخَ العِقابِ بالحقاء المُحَلِّق[١٧٣]

فالسيل يشق الحداب والصحاري ، والحداب جمع حَدَب وهو ما غَلُظ من الأرض وارتفع ، وهذا يدل على أن الصحراء فيها حداب فهي ليست مستوية ، كما أنها ليست مغطاة برمل ، لأن الغَلَظَ كالجَلَدَ يكون تراباً وحجارة .

٦ - التجمعـات البشريـة

٦ - ١ مناطـق الاستقـرار الدائـم

وقد عرف سكان بعض المناطق من جزيرة العرب حياة الاستقرار ، وذلك بسبب توافر الماء في تلك المناطق طَوال السنة ، بالإضافة إلى أسباب أخرى من شأنها أن تؤدي إلى الاستقرار ، وتنحصر التجمعات البشرية المستقرة في المناطق التالية :

أولاً : المنطقة من الطائف إلى عدن : وهي منطقة جبلية وعرة المسالك ، تتخللها مساحات لابأس بها من الأراضي التي تصلح للزراعة ، وتتعرض هذه المنطقة للأمطار الموسمية صيفاً ، كما أن أمطار الشتاء قد تنزل على أطرافها الشمالية .

ثانيــاً : الواحات ، وهي مناطق متفرقة في أنحاء شتى من الجزيرة ، يعتمد أهلها على مياه العيون والإحساء ، وقد اشتهرت بزراعة النخيل وأنواع من الحبوب معينة كالقمح والشعير ، وتزدحم هذه المناطق بالسكان في المواسم ، خاصة بعد موسم قطاف النخل ، وأشهر هذه الواحات على الإطلاق واحة خيبر . والعامل الأساسي في الاستقرار في هاتين البيئتين هو وفرة الماء .

ثالثــاً : المناطق الساحلية وأشهرها سواحل اليمن وعُمان والبحرين بمفهومها القديم ، وقد اشتهر سكان هذه المناطق بصيد السمك ، واستخراج اللؤلؤ والاتجار مع البلدان المقابلة ، والهند ، والشرق الأقصى .

رابعاً : محطات القوافل التجارية والأسواق الدائمة ، حيث كانت قوافل عرب الجاهلية تجوب الجزيرة في كل اتجاه متنقلة بين أسواقها الداخلية ، وحاملة البضائع من الأسواق الخارجية وإليها ، وكثيراً ما كانت تتعرض قوافلهم لهجمات الأعراب ونفاد الزاد ، فاحتاطوا لذلك ، وأقاموا تلك المحطات على الطرق الرئيسية حيث كانوا يتزودون منها بالماء والغذاء ، ويستبدلون المرشدين ، فتحولت تلك المحطات إلى قرى أشهرها خيبر وتيماء والعلا ، إذ تشهد النقوش الثمودية التي عثر عليها في تلك

المنطقة بأن قوافل اليمنيين كانت تمر من هناك في طريقها من الشام وإليه . وعامل الاستقرار في هاتين المنطقتين اقتصادي كما ترى .

خامساً : مكة المكرمة ، ولا يعرف تاريخ محقق يرجع تأسيسها إليه ، وهي تقع في واد غير ذي زرع ، في الطرف الشمالي من تهامة . والعامل في التجمع البشري فيها مرجعه ديني دعمه من بعدُ عاملُ التجارة ، حيث كانت تقام على مقربة منها سوقا المِجنّة وذي المَجاز ، ثم إن ماء زمزم قد ساعد في ازدهارها قبل الإسلام وبعده .

وفيما يتعلق بأنحاء الجزيرة الأخرى التي تشكل سوادها الأعظم فهي تفتقر إلى العوامل سالفة الذكر ، حيث هي فلوات يُناصي بعضها بعضا ، ورمال وحرات متداخلة قلما تقع العين فيها على عشب أو نبات ، وقد امتثل أعراب تلك الفيافي لهذا القضاء ، واصطبروا لضغط الطبيعة ، وكما ينوء الحمل الثقيل بالمرء فيلجأ إلى حركات محاولاً بها أن يحفظ اتزانه ، فقد اعتمدوا الحركة الدائبة أساساً لحفظ حياتهم تحت ذلك الضغط الطبيعي .

٧ - الجهـات

وقد فرض الترحال الدائب على العرب أن يتعرفوا الجهات ويُعَلّموا عليها ، وأن يقدروا المسافات ويرسموا الطرق خوفاً من الضلال الذي غالباً ما يؤدي إلى الهلاك . فإذا نزلوا بأرض ليس فيها ما يُستدل به ثبتوا علامات فيها ، وكانوا يستهدون بها إذا ساروا ، وأكثر فعلهم ذلك في المجاهل . قال أسماء بن خارجة :

بل رُبَّ خَرْقٍ لا أنيس بـــه		نابي الصُّوى مُتحاملٍ سَهْبِ[١٧٤]

والصُّوى أعلام من حجارة تُنصب في الفيافي والمفاوز المجهولة ، يستدل بها على الطريق ، والواحدة صُوَّة . وقد علّموا على الجهات بما يَسْهُل عليهم إدراكه ، فعلّموا على الشرق بشرق الشمس ، وعلى الغرب بغربها ، وعلى الشمال بالفرقَدَين أو الجدي ليلاً ، وعلى الجنوب بنجم سهيل ، وغيرها من النجوم التي كان لهم فيها نظر دائم ، قال أعشى باهلة :

فَظَلّتُ مرتفقاً للنجمِ أرقبُـــه		حرّانَ مُكتئباً لو يَنْفَعُ الحَـــذَرُ[١٧٥]

وقال ابن أحمر وقد ذكر فلاة :

يُهِـــلُّ بالفَرْقَدِ رُكبانُهـــا		كمـــا يُهِلُّ الراكـبُ المُعْتَمِـــرُ[١٧٦]

فكأن هؤلاء قد ضلوا ، ثم لاح لهم الفرقد فعرفوا به سَمْت وجهتهم ، فرفعوا أصواتهم بالتكبير كما يرفع المعتمر صوته بالتلبية ، وقال امرؤ القيس :

إذا ما الثّريا في السماءِ تعرَّضَتْ		تَعَرُّضَ أثناءِ الوشاح المفصل

فجئتُ وقد نَضّتْ لنومٍ ثيابَهـا		لدى السِتْرِ إلا لِبسة المتفضل[١٧٧]

حيث جعل من وقت تَعَرُّضِ الثريا في السماء موعدا لإتيانه منزل عشيقته .

وكانوا يشتقون من اسم المكان الذي يقصدونه فعلاً على وزن (أَفْعَل أو فَعَّل أو فاعل) تغني دلالته عن ذكر اسم الجهة ، ومن ذلك قولهم لمن جاء تهامة أتهم أو غوّر ، ولمن أتى نجداً أنجد أو أجلس - من جَلْس ، اسمٌ لها - وشاءم أو يَمّن للذاهب قِبَلَ الشام أو اليمن ، قال متمم بن نويرة في يوم مخطط ، وكان قبل الإسلام :

يُهِلّونَ عُمّارا إذا ما تَغَوّروا		ولاقَوا قُرَيْشاً خبّروها فَأَنْجَدوا[١٧٨]

٨ - الطُّــرُق

وقد كثر ذكر الطرق في أشعارهم ، فقدموا لنا العديد من الألفاظ الدالة على هذا المسمى بصفاته وأشكاله المختلفة ، ومن تلك الألفاظ السبيل في قول عبد الله بن عنمة :

لأُمِّ الأرض ويـلٌ ما أجَنَّـتْ غداةَ أَضَرَّ بالحَسَنِ السبيـــلُ[١٧٩]

وقال كعب بن سعد الغنوي :

ومُنْشَقٌ أعطافِ القميصِ دعوتُه وقد سَدَّ جَوْز الليلِ كلٌ سبيلِ[١٨٠]

والدّرب ، وقد جاء لمعنى المدخل إلى بلاد غير العرب ، قال امرؤ القيس :

بكى صاحبي لما رأى الدربَ دونه وأيقنَ أنّا لاحقان بقيصرا[١٨١]

حيث المعنى أنهما قد تجاوزا بلاد العرب ، وأن الدرب الذي من ورائه بلاد الروم قد بدا ، فما إن رآه صاحبه حتى جعل يبكي ، لأنه أيقن أن الرحلة ستطول ، وقال آخر :

إذا جاوَزَتْ دَرْبَ المُجيزين ناقتي[١٨٢]

إذ يشير ظاهر الكلام أن الدرب مكان يُجاز ، وليس سبيلاً يعبر ، غير أن الشائع في الدرب أنه الطريق يسلك ، وبين هذا المعنى وسابقه علاقة ظاهرة تمثل في أنهما يصلان بين طرفين ، ولقد باد المعنى الأول ، ولا يزال المعنى الثاني شائعاً في الفصحى والعامية .

ومن تلك الألفاظ السِّكّة ، وكان ورودها في أشعارهم قليلا ، وقد زاد

استعمالها في كتب الرحّالة والجغرافيين في القرن الثالث وما بعده ، ولا تزال الكلمة شائعة حتى اليوم في اللهجات العامية وبخاصة في مصر . قال امرؤ القيس :

إذا ما ازدحمنا على سِكَّـةٍ سبقتُ الفُرانقَ سبْقاً بعيدا[١٨٣]

أي : إذا ما ازدحمنا على طريق ، جرت بي مطيتي فسبقت الرسول مسافة طويلة .

واللاحب ، الطريق ، فاعل من لَحَبَ بمعنى مفعول ، لأن الحوافر لَحَبَتْهُ أي أَثَّرَتْ فيه فصارت فيه طرائقُ وآثارٌ بيّنة ، ثم استُعمل لكل طريق بيِّنٍ وخفيٍّ ، ومن ذلك قول خفاف :

رَبَأْتُ وحُرجوجٍ جَهَدْتُ رُواحَها على لاحبٍ مثلِ الحَصيرِ المُشَقَّقِ[١٨٤]

وقد يكون اللاحب طامساً متروكاً ، قال امرؤ القيس :

على لاحبٍ لا يُهتدى بمنارِه . . .[١٨٥]

أي لا علم فيه ولا منار فيهتدي به ، والطريق قد يكون في الرمل فهو الخل وقد يكون تحت الأرض فهو نفق وقد يكون في الجبل ، وقد يكون صغيراً ضيقاً أو واسعاً أو ممهداً ، فخصوا كلا منها بلفظٍ يدل عليه ، إمعاناً منهم في التدقيق فالثَّنِيَّة ، والنَّقْب ، والعَقَبة ، والكَتُود ، والقعقاع ، والمَخْرِم ، والنَّجْد أسماء لما كان وعراً من الطرق السالكة عبر الجبال ، وقد كانوا يعبّرون بسلكها عن التعرض للصعاب وتحملها ، ويفاخرون بذلك ، لأنه يتطلب جهداً كبيراً . قال سُحَيْم بن وَثيل :

أنا ابنُ جلا وطلاّعُ الثنايـــا متى أضَعِ العمامةَ تعرفونـــي[١٨٦]

فقد كنى بطلوع الثّنايا عن أنه نافذ في الأمور وذو جَلَد حين يشتد البأس . وقال عروة بن الورد في النقب :

يُناقِلْنَ بالشُّمْطِ الكِرامِ أُولي النُّهى   نِقابَ الحجازِ في السَّريح المُسَيَّر(١٨٧)

والحجازيون يطلقون على الطريق في الجبل لفظ النَّقب (حتى يومنا هذا) ، ومن ذلك نقب العسل جنوب شرق تنومة ببلاد بني شهر . وقال علباء ابن أرقم في المَخْرِم :

يُمَشّي كأَنْ لا حَيٌّ بالجِزْعِ غيْرَه   ويعلو جراثيم المخارم والأكم(١٨٨)

ففي المخارم جراثيم تُعْلى كتلك التي تكون في الإكام ، وهي التلال الصغيرة ، وقال حسان مفاخراً بقومه :

. . . والجائبين مَخارِمَ الأَطْوادِ(١٨٩)

والمُعَبّد ، هو الطريق الممهد البعيد ، وهذا بادٍ في قول خفاف :

ومعبَّدٍ بَيْضُ القَطا بجُنُوبِه   ومن النواعجِ رمّةٌ وَصَليبُ

نفرت آمِنَ طيرِهِ وسباعِهِ   ببُغام مجذام الرَّواحِ خَبوبُ(١٩٠)

فهذا الطريق ممتد في الخلاء مما جعل القطا يبيض في جانبيه ، والسباع والطير تأمن الناس ، فاتخذت فيما أحدق به مساكنها ، وهو طويل تضنى المطي به ، ويهلك بعضُها قبل بلوغ المقاصد ، فتلك رفاتها متناثرة بين يديه .

والمَحَجّ والمَحَجّة وهما الطريق الواضح المبين ، قال امرؤ القيس :

ومن الطريق جائرٌ وهدى   قَصْدُ المَحَجِّ ومنه ذو دَخَلِ(١٩١)

وقوله «قصد المحج» يعني أنه سالك بيّن لا خفاء فيه ، ويروى (قصْدُ

السبيل) وهما سواء . والمَيْثاء ، وهي الطريق الأعظم إلى الماء ، وتطلق على مسيل الوادي إذا كان عريضاً ، قال امرؤ القيس :

وتحسِب سَلمى لا تزال تَرى طَلاً   من الوَحْشِ أو بَيْضاً بمَيْثاءَ مِحلالِ[192]

والشَّرَك ، وهو الطريق الذي لا يستجمع لك ، وقد ينقطع ، لكنه لا يخفى عليك ، وبناتُ النَّيْسَبِ وهي طرق صغار تتشعب من الطريق الأعظم ، وقدو رد هذان اللفظان في قول سَوّار بن المُضَرَّب :

تموتُ بناتُ نَيْسَبِها ويغبى   على رُكبانِها شَرَكُ المِتانِ[193]

فهذه الطريق طامسة فروعها ، بل إنها لتغبى (تخفى) على الركبان ، وإضافتها للمتان – وهي الظهور الغليظة من الأرض – يجعل خفاء الطريق أكثر من خفائها فيما لو أضيفت إلى دَهَس أو أرض طينية ، وذلك لأن الأقدام والحوافر قلّما تؤثر في المتون لصلابتها ، فإذا ما هبت ريحٌ أو نزل مطر فإن الآثار فيها تمحى ، فما بالك في فروعها؟ إنها لتموت حقاً .

٩ – بدء الخلق

وقد كان لعرب الجاهلية تصور لبدء الخليقة ، سواء انتهى إليهم ذلك التصور عن طريق أهل الكتاب من النصارى واليهود أو عن طريق أتباع الديانة الحنيفية ، التي هي ملة إبراهيم عليه السلام ، وذلك أن منهم رجالاً كانوا يدينون بها كورقة بن نوفل وأمية بن أبي الصلت ، وقد حفظتْ كتب التراث قسطاً من أشعارهم التي تقفنا على ذلك التصور ، قال عدي بن زيد العبادي ، وكان نصرانياً يقرأ الكتب :

اسمعْ حديثاً لكي يوماً تجاوبَهُ   عن ظهرِ غيبٍ إذا ما سائل سألا

أن كيف أبدى إله الخلقِ نعمتَـه فينـا ، وعرّفنـا آياتـه الأُوَلا

كانت رياحاً ومـاءً ذا عُرانيـة وظُلمةً لـم يَدَعْ فَتْقاً ولا خَلَلا

فَأمَرَ الظُّلْمَةَ السوداءَ فانكشفـت وعَزَل الماءَ عمّا كان قد شغـلا

وَبَسَّط الأرضَ بَسْطاً ثم قدرهـا تحت السماء سواءً مثل ما فعـلا

وجعل الشمس مصيراً لاخفاء به بين النهار وبين الليل قد فصلا

قضى لستـة أيـام خلائقـه وكان آخر شيءٍ صوّر الرّجُلا[١٩٤]

ويتبادر للذهن عند قراءة هذه الأبيات أنها قد تكون منحولة ، وذلك لما فيها من معان إسلامية ، غير أن ذلك لا يقوم دليلاً على نحلها ، لأن مثل هذه المعاني قد وردت في الكتب السماوية الأخرى .

وقال الطِّرمّاح بن حكيم يفاخر بقبيلته طيء :

لنا المُلْكُ من عهدِ الحجارة رطبة وعهدُ الصفا باللينِ من أقدمِ العهد[١٩٥]

إذ يتضمن إشارة واضحة إلى عصر جيولوجي كانت فيه الحجارة لينة ، وهذه وإن كانت غير حقيقية فيما نعلم ، إلا أن العرب شاهدوا صهير البراكين أو ما يعرف بـ (Lava) قبل أن يبرد فيستحيل حجارة وصخوراً .

خـــاتمــــة

تتبين مما مضى وهو قليل من كثير يمكن إثباته أن أدب الجاهلية قد جاء حافلاً بإشارات مختلفة إلى معظم ظواهر البيئة الطبيعية والفلك ، وقد عبّر الشعراء عن هذه الظواهر بأساليب مختلفة فأبدعوا في ذلك ، وبلغوا حداً مرموقاً يجعل شعرهم مرجعاً أساسياً لدراسة تلك الظواهر في ذلك العصر ، وللتعرف على أثرها في حياتهم وتصورهم لها ، ولقد قدموا ذلك في لوحات أدبية دبجتها قرائحهم بألفاظ واضحة الدلالة مغطين إياها تغطية تامة ، مفرقين في ذلك بين المسميات التي تتجمع في نوع واحد ، كأنواع الغيوم والمطر ، فبرزت مجموعات من الألفاظ لا نجدها في لغة غيرها ، وقد استقل عدد كبير منها اليوم بدلالات اصطلاحية محددة .

وعلى الرغم من أن تناولهم الظواهر الطبيعية لم يكن تناولاً علمياً في معظمه ، إلا أن ما قدموه من معلومات صحيح إلى حد كبير ، ويعود الفضل في ذلك للملاحظة والتجربة اللتين كانتا أهم ما امتازوا به .

ولكن !!!!!

ما إن نزل القرآن الكريم حتى بدأ التغيير يدب إلى مختلف أوجه الحياة العربية بشكل جذري ، فنُسفت قيم ومفاهيم ، وجدّ غيرها ، ولعل أبرز ما وجه القرآن أنظار الناس إليه ، ودعاهم إلى التبصر فيه هو هذا الكون الواسع من بيئة طبيعية وفلك وما يشتملان عليه من مخلوقات وآيات . قال تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ ، وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ

مَوْتِهَا ، وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ ، وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[١٩٦] ، فقد أفرد الرازي فصلاً طويلاً لتفسير هذه الآية ، لبيان كيفية الاستدلال بالأحوال السماوية على وجود الصانع[١٩٧] ، وبهذا يكون القرآن الكريم مؤكداً لما ينبغي أن تكون عليه العلاقة بين الإنسان وبيئته في الأرض والسماء من صبغة طبيعية فطرية تقوم على التكامل والتدبر فيها وصولاً إلى وجود الخالق عز وجل .

وما إن بدأ المسلمون في الانتشار في بيئات جديدة ، وراحوا يحتكون بالشعوب الأخرى ، حتى ابتدأت مرحلة حضارية جديدة ، حيث عرفوا أشياء جديدة من ظواهر الطبيعة ومظاهرها ، وترجموا ما توصلت إليه الشعوب الأخرى ، ولاقحوا بين معارفهم الأصلية وما اكتسبوه من فيض القرآن الكريم وبين ما أخذوه من البيئات الجديدة ، فإذا بهم يضعون أساس النهضة العلمية في القرون الوسطى ليس للمسلمين وحسب ، ولكن للعالم أجمع ، حيث إن جذور التقدم الذي نشهده اليوم تمتد في تربة تلك القرون . وهذه دراسة طويلة تحتاج إلى عدة أبحاث آمل أن أستمر في إعدادها .

المصـادر والهوامـش

١ - الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ط السعادة بمصر ١٩٥٣ ، ص ٢٠٥ .

٢ - ولفنسون - إسرائيل تاريخ اللغات السامية ، ط مصر ، سنة ١٩٢٥ ص ٢٥٠ .

٣ - بروكلمان - كارل ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة منير بعلبكي ، بيروت ، ١٩٧٤م ١/١٠ .

٤ - ابن فارس - أحمد ، معجم مقاييس اللغة ، مصر عام ١٣٦١ هـ مادة (أله) (سيمت بذلك لأن قوماً كانوا يعبدونها) .

٥ - ابن منظور ، نثار الأزهار ، القسطنطينية ، عام ١٢٩٨ هـ ، ص ٥٧ . وانظر بحثنا «القمر وأسماؤه» في العدد المزدوج ٢٣ ،٢٤ من مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

٦ - الأنصاري - أبو زيد ، النوادر ، بيروت عام ١٩٦٧م ، ص ١١١ ، ١١٢ وهلال ما صح إذا نقص .

٧ - امرؤ القيس الكندي ، ديوانه ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الكويت ، ١٩٦٩ ، ص ٢٨ .

٨ - وهي زحل والمريخ والمشتري وعطارد والزهرة .

٩ - ولهاوزن ، آثار ديانات الجاهلية ، برلين ١٨٩٧ ، ص ٤٤ ، ٤٥ .

١٠ - نفس المرجع ص ٢١٠ .

١١ - نلينو - كارلو ، علم الفلك عند العرب ، القاهرة ، ص ١٠٦ .

١٢ - الطرابلسي - إبراهيم بن السيد ، فرائد اللآل في شرح مجمع الأمثال ، بيروت ، ١٣١٢ هـ ، ١/٢٥١ .

١٣ - طرفة بن العبد ، طبعة روسية ، عام ١٩٠٩ ، ص ٦٧ ، وقد ترى بعض النجوم بالعين المجردة نهاراً . وانظر بحثنا «الأجرام السماوية» العدد ٢٧ من مجلة مجمع اللغة العربية الأردني .

١٤ - ابن بنين - سليمان ، اتفاق المباني وافتراق واقتران المعاني ، تحقيق الباحث ، دار عمار ، عمان ، ١٩٨٥ ، ص ٢٢٨ .

١٥ - الأصمعي - عبد الملك ، الأصمعيات ، تحقيق عبد السلام هارون وزميله ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ٨٩ .

١٦ - العسقلاني - ابن حجر ، فتح الباري - شرح صحيح البخاري ، منشورات لجنة إحياء التراث العربي ، القاهرة ، ٤٣٤/٢ .

١٧ - ابن قتيبة - أبو محمد ، الأنواء في مواسم العرب ، حيدر أباد ، ١٩٥٦ ، ص ١١٠ .

١٨ - البيروني - أبو الريحان ، الآثار الباقية عن الأمم الخالية ، تحقيق إدوارد سخاو ، لايبزج ، ١٩٢٤ ، ص٣٢٦ ، ٣٢٧ ، وابن قتيبة - الأنواء ، ص ٨٧ لخامسة مكان لثالثة .

١٩ - المرجع نفسه وابن قتيبة ٨٧ .

٢٠ - ابن قتيبة ص٢ ، أما البيروني ٣٤١ (بنو مارية) .

٢١ -أبو حنيفة ، المسند ، الأستانة عام ١٣٠٩ ، ص ٦٩ والعسقلاني ٤٣٧/٢ .

٢٢ - الجاحظ ، البيان والتبيين ، مصر ١٣١٣ هـ ١١٩/١ والميداني - مجمع الأمثال ، مصر ١٣١٠ هـ ٧٤/١ .

٢٣ - التبريزي ، شرح التبريزي على حماسة أبي تمام ، بولاق/مصر ، ١٢٩٦ هـ ١٥٣/٣ .

٢٤ - نلينو - ملحق ٥ ، ص ٣١١ ، ٣١٢ .

٢٥ - المحرم بشكل خاص .

٢٦ - ابو معشر البلخي على سبيل المثال .

٢٧ - نلينو ٩٤،٩٣ ، وهذا في أن النسيء هو الكبس وليس التأخير .

٢٨ - الطبري ، تاريخ الطبري ، طبعة اوروبة ، ٩٣/١٠ .

٢٩ - البيروني ، ص ١٢ .

٣٠ - أحد عشر يوماً تقريباً .

٣١ - وهذا أمر مألوف في التقويم القبطي ، حيث يضيفون شهراً ثالث عشر بعد شهر «مسرى» هو «أبو غمنا» ، وانظر البيروني ص ٤٩ .

٣٢ - بعد ٣٦ سنة .

٣٣ - الرازي ، التفسير الكبير ، ط مصر عام ١٣٠٨ هـ ٤٤٦/٤ .

٣٤ - المصدر نفسه والصفحة نفسها .

٣٥ - نلينو ص ٨٣ .

٣٦ - البيروني ، ص ٦٠ .

٣٧ - ينسب هذا البيت لأكثم بن صيفي ولسعد بن مالك ين ضبيعة ، انظر شرح المفضليات (طبعة لندن) عام ١٩٢١ ، ص ٢٥٢ ، ٥٩٢ ، ٨٢٢ ونوادر أبي مسحل الأعرابي (دمشق) عام ١٩٦١م ،ص٣٠٠ .

٣٨ - أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، (ط بولاق) ، ٦/١٣ ، ١٩٦٠ .

٣٩ - الدينوري - أبو حنيفة ، الأخبار الطوال ، طبعة القاهرة ، عام ١٩٦٠م ، سلسلة تراثنا ، ص ١٦ .

٤٠ - سليمان حزين ،

Changement Historique de Climat et du Paysage de L'Arabia du Sud

مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ١٩٣٥ ، المجلد ١ ، ص ٢٣ ، وانظر تقريره عن بعثة الجامعة المصرية إلى اليمن وحضرموت عام ١٩٣٦

المنشور بالمجلة نفسها ، المجلد الرابع ، ١٩٧/٢ . وقد أعانني في فهم النصوص الفرنسية السيدة أسماء محاريق .

٤١ - جون هامرتن ، تاريخ العالم ، (الترجمة العربية) ، دار المعارف ، مصر ١٩٤٩ ، ص ٨٤ .

٤٢ - Semple, Influence of Geographic - Environment, London 1938, P 490.

٤٣ - المصدر نفسه ص ٤٨٧ ، ٤٨٨ .

٤٤ - Encyclopedia of Islam, Art Arabia, P. 375

٤٥ - الأنصاري ، أبو زيد ، كتاب المطر ، ضمن البلغة في شذور اللغة ، بيروت ، عام ١٨٩٨م . ص ١١٠ ، وابن سيده - المخصص ٤٥٩/٩ .

٤٦ - امرؤ القيس (مصدر سابق) ، ص ٢٤ .

٤٧ - عروة بن الورد ، ديوانه ، بيروت ، ١٩٦٤ ، ص ٣١ .

٤٨ - ابن قتيبة - الأنواء ، ص ١٧٧ .

٤٩ - المصدر نفسه والصفحة نفسها .

٥٠ - جون هامرتن (مصدر سابق) ، ص ٨٤ .

٥١ - Forster, Vol. 1,P. 347.

٥٢ - نوعان من السحب مطيران ، وبمن تسمى بالمزنة مصغرة قبيلة مزينة ، ومحالها قرب المدينة المنورة .

٥٣ - الأصمعي (مصدر سابق) ص ١٨٢ .

٥٤ - امرؤ القيس ٩١ ، والفنا عنب الثعلب ، شبه به الكلأ في ريه ، وحنان سحاب راعد .

٥٥ - طرفة بن العبد ، ص ٧٢ .

٥٦ - امرؤ القيس ، ١٧٠ .

٥٧ - المصدر نفسه ، ٢٥ .

٥٨ - القرشي ، أبو زيد ، جمهرة أشعار العرب ، القاهرة ، بولاق ١٣١٨ هـ ، بيروت ، ص ٢٠٨ .

٥٩ - امرؤ القيس ص ١٤٤ ،وأشحذت : أقعلت ، تشتكر : يكثر ماؤها .

٦٠ - القالي - أبو علي - الأمالي ، منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٨م ، ١٨٢/٢ .

٦١ - ابن الدمينة - عبد الله ، ديوانه ، القاهرة ١٣٣٧ هـ ، ص ٢٩ .

٦٢ - المسعودي - التنبيه والإشراف ، مطبعة بريل عام ١٩٦٧م ، ص ١٨ .

٦٣ - المرجع نفسه والصفحة نفسها .

٦٤ - الأصمعي ، ص ١٨١ .

٦٥ - القرشي ، ص ١٣٥ .

٦٦ - المصدر نفسه ، ص ٢١٥ .

٦٧ - ابن قتيبة ، ص ١٦٥ .

٦٨ - المرزوقي ، الأزمنة والأمكنة ، حيدر آباد الدكن ١٣٣٢ هـ ٣٤٣/٢ .

٦٩ - ابن الأنباري ، شرح المفضليات ، لندن ص ٧٧١ .

٧٠ - ابن قتيبة ، ص ١٦١ .

٧١ - امرؤ القيس ، ص ٢٧٤ .

٧٢ - عروة بن الورد ، ص ٥٦ .

٧٣ - الأصمعي ، ص ٢١٨ ، والنشاص : سحاب مرتفع جداً ، والسجم : الواكف .

٧٤ - Zwemer, Arabia, The Cradle of Islam, U.S.A., 1912, P. 20.

٧٥ - امرؤ القيس ، ص ٢٨٤ .

٧٦ - نفس المصدر ، ص ٢٨٥ ، وفيحان بلد بعينه ، والقادمان : الخلفان الأخران ، يعني أن وليدها لم يرضعه .

٧٧ – O'Leary, Arabia Before Mohammed, London, 1972, P. 8.

٧٨ – حسان بن ثابت ، ديوانه ، القاهرة ، ١٣٢١ هـ ، ص ١٥ .

٧٩ – طرفة بن العبد ، ص ٦٧ .

٨٠ – ابن الشجري ، الحماسة ، حيدر آباد ، عام ١٣٤٥ هـ ، رقم ٨ .

٨١ – الأصمعي ، ص ١٨٠ .

٨٢ – الأنصاري ، ص ٩١ .

٨٣ – المصدر نفسه ، ص ١٦٧ .

٨٤ – الأصمعي ، ص ١٨٧ .

٨٥ – ياقوت الحموي ، معجم البلدان (طبعة أوربة عام ١٨٦٧م) ، ٣٠٢/٦ .

٨٦ – امرؤ القيس ، ص ٢٨٥ .

٨٧ – المصدر نفسه ، ص ٥٧ .

٨٨ – القالي ، ٢٨٢/١ .

٨٩ – الأصمعي ، ص ٣٠ .

٩٠ – المصدر نفسه ، ص ١٤٣ .

٩١ – امرؤ القيس ، ص ٤٦ .

٩٢ – ابن الشجري ، رقم ٣ .

٩٣ – حسان ، ص ١٩ .

٩٤ – أوس بن حجر ، ديوانه ، بيروت ، دار صادر ، ص ١٢٢ .

٩٥ – امرؤ القيس ، ص ٢١٨ .

٩٦ – الأصمعي ، ص ١٢٢ ، والأفز القفز ، الفدر والقراهب هي الوعول المسنة .

٩٧ – حماسة البحتري ، (المطبعة التجارية بمصر) ، ص ١٣ .

٩٨ – المرزباني ، معجم الشعراء ، ص ٣٤٤ .

٩٩ - ابن دريد ، الاشتقاق ، المطبعة المحمدية ، القاهرة ١٩٥٨م ، ص ٢٠٠ ويروى «منا ومنهم مكان» « وبكل ريع» .

١٠٠ - ابن فارس ، ٤٧٠/١ ، ويروى «الحق» مكان «الخير» .

١٠١ - ياقوت ، ٧٤٨/٤ ، ٧٥٠ .

١٠٢ - انظر هـ ٦٠ في ما سبق .

١٠٣ - الهمداني ، ص ٢٠٥ .

١٠٤ - امرؤ القيس ، ص ٢١٨ .

١٠٥ - الأصمعي . ص ١٨٠ .

١٠٦ - امرؤ القيس ١٨ .

١٠٧ - القالي ٧١/٢ .

١٠٨ - امرؤ القيس ، ص ٧٥ .

١٠٩ - الأصمعي ، ص ٥٦ .

١١٠ - امرؤ القيس ، ص ٤٤ .

١١١ - المصدر نفسه ص ٢٨٤ ، والمنفضخ المتسع ، والقي : القفر الذي ليس به أحد ، والسهوب الصحاري المستوية الواسعة ، والمتون الظهور جمع ظهر ومتن .

١١٢ - الأصمعي ١٨٠ ، والقعقاع الطريق ، وغارب الأجزل : أعلى مقدم سنام بعير قطعة القتب .

١١٣ - امرؤ القيس ، ص ١٧٧ .

١١٤ - ابن منظور ، لسان العرب ، ٣٥٢/٣ . ١٨٦/٥ ، وابن سيده ٩٦/٦ ، والجبار : السيد العظيم ، والبيض الغدران ، للونها ، والصوحان : جانبا الوادي والجبل .

١١٥ - الأنصاري ، ص ٣٨ .

١١٦ - الهمداني ، ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

١١٧ - امرؤ القيس ، ص ٧٩ .

١١٨ - الأصمعي ، ص ٢٨ ، واللهوب جمع لهب وهو الموضع السحيق بين الجبال .

١١٩ - المصدر نفسه والصفحة نفسها .

١٢٠ - المصدر نفسه ، ص ١٩٠ ، والصوار القطيع من بقر الوحش .

١٢١ - الدينوري (مصدر سابق) ، ص ٦١ .

١٢٢ - المسعودي ، ص ٢٠٢ .

١٢٣ - ياقوت ، ٦/٢٦١ .

١٢٤ - الطبري ، ١/٢٩٨ .

١٢٥ - ياقوت ، ٣/٢٥٩ .

١٢٦ - المصدر نفسه ، ٣/٢٦٠ .

١٢٧ - الطبري ، ٣/٢٢١ ، ٢/٩٥٩ ، والهمداني ٢٠٥ .

١٢٨ - ابن الأنباري ، ص ٢٤٥ ، ٤١٥ .

١٢٩ - طرفة ، ص ٦٢ .

١٣٠ - O'Leary, P. 6.

١٣١ - Herodotus, Vol. , 1. P. 214 Bertram Thomas, The Arabs P. 350

١٣٢ - Brockelmaan, Precis de Linguistique Semitique, P. 10.

وانظر أيضاً Sylces, A History of Exploration, London, 1949. P. 48.

١٣٣ - Moritz, P. 21.

١٣٤ - عرام بن الأصبغ السلمي ، أسماء جبال تهامة وسكانها ،القاهرة ، عام ١٣٧٣ هـ ص ٣٣ .

١٣٥ - ابن دريد ، جمهرة اللغة ، حيدر آباد الدكن عام ١٣٤٥ هـ ٢/١٧٣ ، ١٧٤ .

١٣٦ - المصدر نفسه ٣/٢٣٤ .

١٣٧ - الجاحظ - الحيوان ، تحقيق د. يحيى الشامي ، منشورات دار الهلال ومكتبتها ، بيروت ١٩٨٦ . ج٤ ص ١٢٨ .

١٣٨ - ابن الأنباري ، المفضلية ، ١١٧ البيت ٧ .

١٣٩ - أبو الفرج الأصفهاني ، ١٥٩/٩ ، ١٥٤/١٨ .

١٤٠ - ابن دريد ٢٠١/٢ .

١٤١ - الأصمعي ، ٦٣ .

١٤٢ - الأنصاري ٥٧ .

١٤٣ - البحتري ، الحماسة ، ص ٦٢ .

١٤٤ - الهمداني ١٥٥ .

١٤٥ - ابن منظور ، اللسان (غلفق) .

١٤٦ - سورة سبأ ، الآية ١٥ .

١٤٧ - Zwemer, Arabia, The Cradle of Islam, P. 45

١٤٨ - سورة إبراهيم ، الآية ٣٧ .

١٤٩ - ابن منظور ، اللسان (ركب ، ثمل) .

١٥٠ - عروة بن الورد ، ص ٨٤ .

١٥١ - الآمدي ، المؤتلف والمختلف ، تحقيق عبد الستار فراج ، القاهرة ١٩٦١ ، ص ١١٠ .

١٥٢ - الأصمعي ، ص ١٠٤ .

١٥٣ - المصدر نفسه ، ص ١٩٠ ، ومنتهى الطلب ٢٠٤/٢ .

١٥٤ - الأصمعي ص ٦٣ .

١٥٥ - سورة الرحمن ، الآية ٦٤ .

١٥٦ - ياقوت ١٥٤/٣ .

١٥٧ - امرؤ القيس ٤٣ .

١٥٨ - ابن الأنباري ، المفضلية ١١٥ ، البيت ٤ .

١٥٩ - ابن دريد ، الجمهرة ، ٢/١٨٦ .

١٦٠ - الهمداني ١٥٦ .

١٦١ - طرفة ، ص ٣١ .

١٦٢ - الأصمعي ، ص ٧٨ .

١٦٣ - المصدر نفسه ١٨٧ .

١٦٤ - مادة غيل .

١٦٥ - المادة نفسها .

١٦٦ - الأصمعي ، ص ١٧٩ ، ١٨٠ .

١٦٧ - امرؤ القيس ، ص ٣١٥ ، والمعلنكس : المظلم ، والجأب والجفر هو الضخم الغليظ .

١٦٨ - ياقوت وعنه صاحب المراصد (مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع) ، طبعة لايدن ٣ / ٩ .

١٦٩ - الأصمعي ، ص ٧٧ ، والنهنهة : الكف والردع .

١٧٠ - امرؤ القيس ٢٩٣ .

١٧١ - الأنصاري ، ص ٩٩ .

١٧٢ - الأصمعي ٨٢ .

١٧٣ - المصدر نفسه ٢٦ .

١٧٤ - الأصمعي ٤٩ .

١٧٥ - القرشي القصيدة رقم ٣١ .

١٧٦ - ابن قتيبة ، ص ٢ .

١٧٧ - امرؤ القيس ، ص ١٤ .

١٧٨ - الأصمعي ، ص ١٩٢ .

١٧٩ - ابن دريد ، الاشتقاق ، ص ١٢٣ والقرشي ص ١٢٣ وياقوت ٢٧٨/٣ .

١٨٠ - ابن الشجري ، ٢١٢ .

١٨١ - امرؤ القيس ٦٥ .

١٨٢ - الأنصاري ، ص ٤٥ .

١٨٣ - امرؤ القيس ، ص ٢٥٢ .

١٨٤ - الأصمعي ، ص ١١٨ .

١٨٥ - امرؤ القيس ، ص ٦٦ .

١٨٦ - الأصمعي ، ص٥ ، والبكري سمط اللآل ، القاهرة ١٩٣٦ ، ص ٥٥٨ .

١٨٧ - عروة بن الورد ، ص ٩٣ .

١٨٨ - الأصمعي ، ١٥٨ ، والجراثيم ، الأماكن الناتئة بجانب الجبل والوادي .

١٨٩ - حسان ، ص ٣٣ .

١٩٠ - الأصمعي ، ٢٧ .

١٩١ - امرؤ القيس ٢٣٨ .

١٩٢ - المصدر نفسه ٢٨ .

١٩٣ - الغالي ٢٨١/١ .

١٩٤ - المقدسي ، البدء والتاريخ ، طبعة باريس بعناية Huart ١٥١/١ .

١٩٥ - الطرماح بن حكيم ، ديوانه ، تحقيق عزة حسن ، دمشق ، عام ١٩٦٨م ص ٣٦٤ .

١٩٦ - سورة البقرة الآية ١٦٤ .

١٩٧ - الرازي ، ٦٣/٢ .

مفهوم «العربية المولّدة»
عند يوهان فك في كتابه «العربية» *

الدكتور أحمد محمد قدّور

جامعة حلب

١ - تمهيد

يحتل كتاب «العربية» للمستشرق الألماني «يوهان فك» (J. Fuck) مكانة مرموقة في الدراسات اللغوية التي أنشأها المستشرقون في العصر الحديث . فالكتاب يعرض بكلّ اقتدار لمسائل بالغة التعقيد تتصل بتاريخ العربية وتطوّرها ولهجاتها مّما تنوء به جهود العصبة من أولي العزم وأهل الذكر . وهو بحقّ رائد الدراسات التطوّرية عند الدارسين من عرب ومستشرقين على حدّ سواء . إنّه - كما يقول «شبيتالر» (A. Spitaler) - نوع من تأريخ التطوّر للعربية ، أو على وجه الدقّة للعربية المولّدة[١] .

لقد أتيح لهذا الكتاب من المادة الغنية والتحليل العميق والمنهج العلمي الصارم ، ما جعله ينأى عن أن يكون مؤلفا وقتياً يطفو على سطح الحياة العلمية ثمّ يتوارى عنه بعد سنوات قليلة . ومن هنا تأتي أهمية هذا الكتاب الذي غدا واحداً من المراجع «التقليدية» في الدراسات اللغوية الحديثة . وكان من حسن

* الدراسة تتجه نحو ترجمة الكتاب التي ذاعت بين الدارسين العرب ، والتي تتحمل الكثير من تبعات المسؤولية العلمية ، ولا سيما على صعيد المصطلحات التي وردت دونما شروح كافية ، تبيّن اختلاف المفاهيم التي عبّر عنها المؤلف ، عن مثيلاتها في الدراسة العربية .

حظّ الكتاب أن قُيِّض له أن يترجم إلى العربية ؛ اللغة التي درسها وأراد خدمتها[٢] .

ومع ذلك فإنّ هذا الكتاب شأنه شأن أيّ جهد إنساني معرّض للنقد ، وإعادة النظر في أكثر الجوانب التي تعرّض لها ، ولا سيّما بعد أن مضى على ظهوره في لغته الأصلية ما يقرب من نصف قرن من الزمان . فالحاجة غدت ماسة - كما أرى - لوضع مشكلة التطوّر التي عالجها الكتاب موضع البحث المدقّق . ومن اللافت للنظر حقا أن يجد الدارس معظم الباحثين العرب المحدثين يقبلون على الإفادة من هذا الكتاب دون أن يحظى بدراسة معمّقة تتناول النظرية التي بُني عليها ، أو تعالج قضية التطوّر التي تناولها فك تحت مصطلح «العربية المولّدة» وهي القضية الرئيسة في الكتاب[٣] .

وتثار حول مشكلة «التطوّر» في العربية غالبا ، شكوك تتعلق بالمرامي الخفية التي قد تكون الدافع والمحرّك لإعادة الاعتبار للّهجات العامية والاعتناء بدرسها ، ومحاولة ترسيخها على حساب «الفصحى» . إنّ هذا البحث ينتصر منذ البداية ودون تردّد لوجهة النظر القائلة باستمرار «العربية الفصحى» واقعاً لغوياً يمكن أن نصفه - مع الدكتور عبد الصبور شاهين - بأنه خالد[٤] . إذ لم ينقطع استعمالها - وإن ضاقت مجالاته أحيانا - في الألسن الناطقة بها . ولا يصحّ بحال من الأحوال تشبيه العربية الفصحى باللغات التاريخية المندثرة ، لأنها مع ما اعتراها من ضيق التداول ، بقيت لغة مسموعة ومقروءة حتى في أحلك الظروف التي مرّت بها .

وليس في هذا التمهيد تلميح لاتّهام «فك» بشيء من الانحياز ضدّ الفصحى ، أو انتصار للعاميات ، لأنّ الدارس المنصف يقرّ له بصدق النظرة والتزام الحيدة وتفهّم الكثير من مشكلات العربية دون أن يظهر عنده ذلك الروح الاستشراقي المنطلق من العداء أو الاستعلاء . وسيظهر لنا أن الوجهة الأجنبية التي لا تقرّ باستقلال الفصحى عن اللهجات - قياساً على اللغات الأجنبية - كانت المسؤولة عن البداية التي انطلق منها «فك» والتي لم تضع في مقاصدها التفرقة الضرورية بين ما اعترى الفصحى من تغيّر دلالي وأسلوبي من جهة ، وما تعرّضت له العربية على ألسنة الناطقين بها بعد الفتح من ضروب اللحن والتوليد العامي ومزاحمة الأعجمي ، مما أدى إلى نشأة اللهجات فيما بعد من جهة أخرى .

٢ - كتاب «العربية» : المبادىء والجوانب العامة

يبدأ المؤلف كتابه بتمهيد يشير فيه إلى أهمية الإسلام في حياة العربية ولا سيّما بعد الفتح الذي جعلها لغة عالمية تجري على ألسنة الشعوب الداخلة في الإسلام عصرئذ . كما يشير إلى الطابع المعياري الذي استمسك به اللغويون والذي أخذ به أهل الدين وأولو الأمر ، ممّا جعل العربية الفصحى نموذجاً مفروضاً ومثلاً أعلى . وهذا ما جعل قضية التطوّر تُنَحّى عن ميدان الاعتراف والقبول . هذه العقيدة - كما يقول «فك» - جعلت من العسير بمكان أن نحصل على صورة واضحة للنموّ والتطوّر الذي أصاب العربية ، ككلّ لغة حية ، في مدّة تربو على ثلاثمئة وألف عام . (فك : ١٤) .

ويشير «فك» أيضا إلى دور الأدب وقواعد اللغة التي يلاحظ بإعجاب

نضجها واكتمالها في ترسيخ واقع الفصحى لغةً للعلم والأدب والتأليف حتى العصر الحديث . ويحدّد «فك» بداية لما دعاه بالعربية المولدة حين انتقلت العربية بعد وفاة الرسول صلّى الله عليه وسلم مباشرة ، عن طريق الفتوحات الكبرى في العهد الإسلامي إلى خارج حدودها القديمة(فك : ١٧) .

أما جوانب الكتاب الأخرى فتضمّ ثلاثة عشر جانباً ، إضافة إلى ملحق درس فيه المؤلف مادة «اللحن» ومشتقاتها دراسة دلالية . وهذا عرض موجز لمضمون هذه الجوانب مع بعض التعليقات الضرورية .

١ - في العلاقات اللغوية في عهد الدولة العربية الأموية : يجعل المؤلف تاريخ هجرة القبائل العربية عقب وفاة الرسول صلّى الله عليه وسلّم سنة (١١هـ ، ٦٣٢م) إيذاناً بشروق عصر جديد للغة العربية ، هو عصر العربية المولّدة ، ثم يتجه نحو تحليل المستوى اللغوي الذي نشأ بين العرب والأعاجم زمن الفتح . ويستخلص أهم العوامل التي أثّرت في العربية الفصحى في العهد الإسلامي . وأهمّها عنده دخول العناصر الأجنبية إلى ميادين الحياة العربية أسرى حرب ، أو عبيداً وجواري ، أو جنوداً من جنود المسلمين . وكان من نتيجة هذا الاختلاط ظهور جيل من أبناء الإماء في النصف الثاني من القرن الأول أطلق عليهم مصطلح «المولّدين» . ويرى فك - مع معظم اللغويين العرب القدامى والمحدثين - أن ظهور «اللحن» كان نتيجة لهذا الاختلاط الواسع ولا سيّما على صعيد الزواج والتسرّي . وحين ينصرم القرن الهجري الأول يفشو اللحن حتى لدى ذوي المناصب الرفيعة في الدولة الأموية ، إذ لم تعد سلامة التعبير من اللحن أمراً طبيعياً . (فك : ٤٠) .

٢ - عربية الدولة ولغة الشعب في أوائل العصر العباسي : يرى المؤلف أن مرحلة جديدة في تاريخ العربية بدأت مع خلافة العباسيين ببغداد سنة (١٣٢هـ) . فالعناصر الفارسية التي أسهمت في إيصال العباسيين إلى الحكم لم تشعر بالصلة الوثقى بينها وبين حياة العرب البدوية . ولأن هذه العناصر لم تنشأ بين البدو ولم تستطع أن تجاري هؤلاء في فصاحتهم . وظهر نتيجة لدخول العناصر الفارسية الميدان الأدبي أسلوب تعبيري جديد تجلّى عند ابن المقفع وبشار بن برد . في جانب آخر بدأ اللحن ينتشر في لغة المثقفين والأدباء والأمراء ، وظهرت أحاديث مصنوعة تحثّ الناس على الإعراب وتجنّب اللحن . ويلاحظ «فك» الازدواج اللغوي الناشىء من مزاحمة الفارسية للعربية في البصرة والكوفة ، مّما أدّى إلى كثرة الدخيل . (فك : ٩ - ٩٢) .

٣ - اللغة العربية في عصر هارون الرشيد(١٧٠ - ١٩٣هـ) : بقيت لغة البدو - كما يقول المؤلف - القدوة والنموذج الرفيع لدى اللغويين الذين كانوا في خلاف شديد مع اللهجة الدارجة بين سواد الشعب العريض . (فك : ٩٣) . من جانب آخر ظهرت أول الكتب ضمن ما سمّاه «فك» بحركة تنقية اللغة ، أي مواجهة اللحن . فقد ألّف الكسائي (ت ١٨٩هـ) رسالة فيما تلحن فيه العوام . وعمل اللحن وكثرة الخطأ واستعمال الدخيل على تغيير صورة التعبير الشعري عمّا سبق أن كانت عليه . وظهرت بعض الطوابع العامية في التعبير الأدبي . (فك : ١٠٤) .

٤ - العربية المولدة : يتناول المؤلف هنا السمات العامة للعربية المولدة ، وسنعرض لها تفصيلا في الجزء الثالث من هذا البحث .

٥ – العلاقات اللغوية في عصر المأمون وعقيدة الاعتزال الرسمية : يستشهد المؤلف بملاحظات الجاحظ حول اللهجات الدارجة في البصرة وغيرها . ويلاحظ أنّ الإعراب ما زال حيّاً على ألسنة البدو الخلّص ، فالمحادثة السليمة من اللحن كانت تُنتظر من هؤلاء . أما اللغة الدارجة على ألسنة المثقفين في القرن الثالث فقد ابتعدت بصورة مطّردة عن النموذج الفصيح . (فك : ١٣٤) . وعلى صعيد الأدب كان الشعر في نظر النحاة إبّان القرن الثالث أكثر التصاقاً بالفصحى . في حين بدأت تظهر في أشعار الفرص والمناسبات آثار اللهجات الدارجة التي أوغلت في الانحراف عن الفصحى .

٦ – العربية تصير لغة الأدب الفصحى في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري : يلاحظ المؤلف أن انحطاطاً عاماً أصاب الثقافة اللغوية ممّا دفع بابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) إلى تأليف كتابه «أدب الكاتب» لتحديد العناصر اللغوية والمعرفية العامة الواجب توافرها في الكاتب والإداري الذي يتصدّى للخدمة العامة . من علامات ذلك الانحطاط أنّ الشعر الرفيع لم يفِ بكلّ مطالب تنقية اللغة ، إذ ظهرت أخطاء كثيرة لدى البحتري وابن الرومي وبعض كبار الرجال والوزراء الذين أصبح بعضهم يتكلم اللغة الدارجة دون حرج . كما أن الكثير من النحاة لم يكونوا يستعملون اللغة الفصحى في مسامراتهم ومحاوراتهم . (فك : ١٤٨) وبذلك توطد الحدّ الفاصل بين العربية الفصحى التي صارت منذ ذلك العهد لغة العلم والأدب ، والعربية المولّدة الدارجة حتى في الأوساط المثقفة . (فك : ١٤٩) .

٧ – عربية الأدب في القرن الرابع الهجري : أخذ النموّ والانتشار اللغوي الذي بدأ في القرن الثالث يتزايد في هذا القرن ليطارد العربية

الفصحى ، ويمعن في عزلها باطّراد عن جميع مناطق اللغة الدارجة . فلم يعد يسمع رنينها في الخطاب الحيّ ، بيد أنها ظلت في الأدب الملكة المتوّجة . (فك : ١٥٠) .

٨ - العربية ولهجات البدو في القرن الرابع الهجري : صارت العربية الفصحى في أوائل هذا القرن لغة للكتابة بعد أن قطعت جميع أشواط نموّها وتكوينها . وأدت عوامل متعدّدة إلى تغيّر النظرة إلى البدو . فالغلط شاع فيهم ، كما عملت حروب القرامطة وأشياعهم البدو على تغيير نظرة الرأي العام إلى البدو عامة من المناحي الأخلاقية والحضرية . أضف إلى ذلك وجود تغيّر في قيم الذوق الجمالية ، ممّا أسهم في إبعاد نموذج البدوي الفصيح عن قمة الأدب . (فك : ١٧٠) .

٩ - العربية واللغة المولّدة في القرن الرابع الهجري : يذهب فك إلى أن مجموعات من اللهجات بدأت تمتاز كلّ منها من الأخرى امتيازاً يختلف قوة وضعفاً باشتراكها في كيفية خاصة من الأصوات والصيغ وقواعد التركيب والثروة اللفظية . (فك : ١٧٤) . من ناحية أخرى بقي مقام العربية الفصحى من حيث هي لغة الأدب الوحيدة ثابتاً غير منازع ، نظراً لبقاء وحدة الثقافة في الدولة كاملة غير منقوصة .

ويرى المؤلف أنه صار على المرء عصرئذ أن يتعلم الفصحى كما يتعلم لغة ميتة داثرة (فك : ١٧٥) ، والدليل على ذلك (؟) أنّ أسمى درجات العربية كان في فارس ، لأن الناس يبذلون اجتهاداً عظيماً في دراستها .

١٠ - ظهور اللغة الدارجة في أشعار القرن الرابع الهجري : بدأ شعر

الفرص والمناسبات يحمل طابع العربية المولّدة بصورة مطردة . من ذلك إكثار ابن الحجّاج (ت٣٩١هـ) من استعمال العامي والأعجمي ومخالفته لقواعد النحو والصرف عن قصد . ومن ذلك أيضا ظهور الموشحات في الأندلس واقتباس مفردات عامية ولا سيّما في الخرجة (فك : ١٩٦) .

١١ – وصف المقدسي للعلاقات اللغوية في المحيط الإسلامي إبّان القرن الرابع الهجري : يتابع المؤلف المقدسي في كتابه «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» ليقف على وصف لهجات الأقاليم التي درسها . ويرى «فك» أن مراد المقدسي من لغة الإقليم أو المدينة لغة المثقفين لا لغة الشعب . كما يرى أن كتب وصف البلدان استعملت العربية المولّدة إلى جانب الكثير من الفارسي الدخيل . (فك : ٢١١) .

١٢ – اللغة العربية في عهد السلجوقيين : يرى «فك» أن استيلاء السلجوقيين على الحكم (٤٤٧هـ) قوّى منزلة الفارسية على حساب العربية ، فقد صارت الفارسية لغة للبلاط والأدب والشعر . ولم تعد عربية الأدب التي رأيناها في القرنين الثالث والرابع لساناً طبيعياً لطائفة من الشعوب ، بل تحولت إلى لغة أقامت قواعد النحو ومبادئها أسس تكوينها الحقيقي (فك : ٢٣٦) . ولأغراض دينية أُسِّست المدرسة النظامية ببغداد سنة (٤٥٩هـ) . وغلب على أساتذتها تكرار المؤلفات السابقة وعدم الإبداع . ونشطت حركة تنقية اللغة ، فأُلّفت كتب متعدّدة لمواجهة اللحن الذي تفشّى كثيرا حتى لدى الفقهاء والعلماء والمحدّثين . (فك : ٢٣٧)

١٣ – نظرة خاطفة : يتتبّع فك من خلال نظرة خاطفة تاريخ العربية

منذ سقوط بغداد بأيدي المغول سنة (٦٥٦هـ) حتى عصر المؤلف . ويمرّ بأثر النهضة الحديثة بعد حملة نابليون على مصر، وبعث العربية الفصحى من جديد . (فك : ٢٤٢) .

ويبقى بعد ذلك الملحق الذي درس فك فيه مادة «لحن» وحاول في أثناء ذلك تتبّع نشأة اللحن وارتباطه بمبدأ تنقية اللغة .

ويلاحظ من خلال ما قدّمنا من جوانب الكتاب أن المؤلف اتبع طريقة العرض التاريخي للتطور الذي تعرّضت له العربية الفصحى ، من خلال مجموعة من المحطات الزمنية بكلّ ما فيها من علاقات ثقافية وحضارية ولغوية متعددة . وهذا المنهج هو الذي أظهر لنا الكتاب على صورة «تأريخ» للغة العربية ، على نحو ما هو معروف من «تأريخ» للآداب العربية . ولا شك في أن الجديد في هذا التأريخ هو وقوف «فك» عند عناصر محدّدة تصبّ في المآل والنتيجة في مسار التطور الذي سلكته الفصحى عبر الزمن (Diachronique) ، والذي كان وما زال صعباً تحديده ووصفه بَلْهَ تقعيده وضبطه .

٣ - مفهوم «العربية المولّدة»

يبدأ «فك» تاريخ «العربية المولّدة» حين انتقلت العربية بعد وفاة الرسول صلّى الله عليه وسلم مباشرة عن طريق الفتوحات في العهد الإسلامي الأول إلى خارج حدودها القديمة في مواطن لغوية أجنبية . (فك : ١٧) . ويلاحظ أن هذا التحديد يخالف ما أجمع عليه علماء العربية القدامى الذين جعلوا «المولّد» مرتبطاً بالدلالة اللغوية الناشئة من ظهور أجيال محدثة غلب عليها

اختلاط الأعراق . وقد حدّدوا بداية لهذا المولد تتأخر عن التاريخ الذي افترضه «فك» بنحو قرن ونصف ، إذ جعلوا سنة (١٥٠هـ) حداً فاصلاً بين الفصيح والمولّد على صعيد المدن التي كثر فيها الاختلاط والتزاوج ، على حين أنهم تأخروا بهذا التاريخ حتى أواسط القرن الرابع الهجري على صعيد البوادي التي يُعرف أن أهلها باقون على فصاحتهم . فهذا الذي ارتآه فك يخالف دلالة «المولّد» لغة لأن هذه الدلالة لم تكن قد دلّت على الأجيال الجديدة حين خرج العرب بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم من الجزيرة مباشرة ، ولأن شيوع الظواهر المولّدة في القرن الأول لم يكن بشهادة اللغويين المتشددين يتجاوز أمثلة من اللحن أو الخطأ الذي لم يتعدّ كونه ظواهر فردية . على حين أن القرن الثاني هو الذي شهد توسّع اللحن وانحراف الألسنة ولا سيما لدى هؤلاء المولّدين ممّن لم ينشأوا في البادية ، فبدأ عصرئذ - فيما نظنّ - عهد العربية المولّدة ، أو الكلام المولّد الذي لا يعتدّ به .

وليس في هذا التحليل انحياز إلى مفهوم اللغويين القدامى ، لأن الوقائع التاريخية لا تسمح بحال من الأحوال بالزعم أن خروج العرب بغتة من جزيرتهم أدّى إلى نشأة «العربية المولّدة» . فالتغيّر التاريخي بطيء ومتدرّج ، ولن تكون سنوات قليلة كافية لهذه البداية .

وللمرء أن يتساءل حول مفهوم «المولّد» عند يوهان فك ، على الرغم ممّا قدّم من إيضاح وشرح امتدّا من أول الكتاب إلى آخره . وللمرء أن يتساءل أيضاً عن جدوى إلحاق ما ألحقه بكتابه من دراسة لمادة «اللحن» وتطوّرها الاصطلاحي ، مع أن الكتاب هو في حقيقته دراسة للعربية المولّدة وليس دراسة لظاهرة اللحن .

إن الأجدى والأقرب إلى مضمون الكتاب - وليس في هذا مطالبة مفروضة من الخارج - أن تكون جهود فك قد اتجهت في «التمهيد» لدراسة مادة «المولّد» وبيان معناها الاصطلاحي ، والمرور بآراء العلماء العرب حولها ، ثم يكون بعدئذ اختياره الذي يميل إليه .

ولن يستقيم المفهوم الذي بُني عليه الكتاب عندي ما لم يتمّ التخلّي عن كلمة «العربية» في مصطلحه «العربية المولدة» لما سنذكر لاحقاً ، والاكتفاء بكلمة «مولّد» وبالمعنى الذي قصده «فك» . والدليل على ذلك أن «فك» بدأ منذ الصفحة الأولى وحتى الأخيرة من كتابه يسجّل كلّ تغيّر طرأ على العربية الفصحى وليس على العربية المولدة منذ عصر الفتوحات وحتى العصر الحديث دون أن يميز بين المصطلحات المتعدّدة التي تدلّ على ظاهرة التغيّر هذه ، أو يميز بين هذا المجال من المجالات التي شهدت هذا التغيّر أو غيره ، أو يميز بين العربية الفصحى التي بقيت فصحى ، واللهجات الدارجة التي بدأت تتوالد بوضوح نسبي - كما نظن - بعد انصرام القرن الأول .

إن الدراسة المتأنية لما أورده فك تشير إلى أن مفهوم العربية المولّدة أو المولّد عنده يماثل مصطلح (change) الأجنبي الذي يدلّ على التغيّر دون أيّ نظر معياري ، على خلاف مصطلحات أخرى قد تنبىء بهذا النظر كالاصطلاحين المعروفين بالدلالة على التطور (Evolution) و (Development) . فالمولّد إذن كما يدلّ عليه عمل فك يعني أن هناك شيئاً ما حدث للغة ، أو أن هناك تغيّرات أو ظواهر جديدة لحقت بها في فترات زمنية متعاقبة ، وعلى هذا المستوى أو ذاك من مستويات اللغة . ويشير هذا المفهوم إلى التغيّر الذي لا يكون مقصوداً من الفرد أو الجماعة . كلّ هذا حقيقة جاء من المنطلق الذي

انطلق منه «فك» وهو منطلق مستمّد من المناهج الأجنبية التي تميل إلى رصد كلّ ما يعتري اللغة على أن ذلك وقائع تسجّل دون إصدار أحكام الخطأ والصواب(٥) .

وإذا لم يركن الدارس إلى هذا الاستنتاج ، فإن الخلط الواضح بين العامي والأعجمي والمولّد واللحن والعربي القديم ، والإسلامي يبقى دون تفسير مقنع .

أما مطالبتنا المؤلف بضرورة الاقتصار على كلمة «المولّد» وترك كلمة «العربية» ضمن مصطلحه المفضّل ، فتقوم على أننا ننكر وجود هذه «العربية المولدة» خلافاً لحلمي خليل الذي عدّها المرحلة الثالثة من مراحل العربية ، إذ تسبقها المرحلة السامية والعربية القديمة من جهة ، وتليها العربية الحديثة من جهة أخرى(٦) .

إننا نرى بداية أن وجود العربية المولّدة كما ذهب «فك» سابق لأوانه ، هذا إن كان تمّ فعلاً ، إذ لا يمكن الانسلاخ عن العربية الفصحى بمجرد خروج العرب مع الفتوحات الإسلامية من الجزيرة . وإذا أردنا أن نسير وراء «فك» في هذا المفهوم وجب أن نضع آخر القرن الثالث وبداية الرابع حدّاً ، أو بداية لظهور «العربية المولّدة» ، إذ بدأت «الفصحى» تنسحب من مجالات المحادثة والاستعمال الحي كما بيّن فك مع أن في هذا ما يدعو إلى المناقشة . أما الزعم أن الفصحى بدأت تتطوّر باتجاه العربية المولدة منذ ذلك التاريخ – زمن الفتوحات – الذي افترضه «فك» فلا دليل عليه ، كما نرى .

ويحسن بنا أن نتابع «فك» في حديثه عن خصائص «العربية المولدة» لنتبين من بعد أن ما ذكره لا ينطبق إلا على العاميات . فهو يقول : «إن اللغة

الدارجة التي كانت تتفاهم بها الطبقات الوسطى والدنيا من سكان المدن منذ نشوئها في عصر الفتوحات الإسلامية الأولى تعدّ عربية مولّدة في نظر التاريخ اللغوي» . إذن فالمقصود هو اللغة الدارجة التي تركت الإعراب وتميّزت من العربية الفصحى في المادة الصوتية وصوغ القوالب وتركيب الجمل والقواعد النحوية والثروة اللفظية . ثم يرى أن ترك الإعراب دعا – على صعيد هذه اللغة الدارجة أو المولّدة – إلى التجديد في علاقات مواقع الكلمات . (فك : ١٠٩ – ١١٤) .

ويبرّر إنكارنا للعربية المولّدة أننا نرى أن التمييز بين الفصحى وغيرها من المستويات أمر ضروري في جميع الدراسات اللغوية . فإن أقررنا بذلك صار تتبّع المراحل التاريخية للعربية مفيداً وواضحاً . فالعربية الفصحى فيها عناصر جاهلية نضجت قبل الإسلام حين اتُّخِذت لساناً أدبياً ولغة مشتركة بين القبائل العربية في الجزيرة وعلى أطرافها من الأقاليم العربية المجاورة . ثمّ جاء الإسلام فأدخل في عناصرها أشياء درسها العلماء تحت مصطلح «الألفاظ الإسلامية» التي يندرج تحتها ظواهر لفظية ودلالية وأسلوبية(٧) .

وحين واجهت العربية الفصحى حالة جديدة بعد الفتوحات بدأت تتخلّلها عناصر جديدة ، أهمّها التغيّر الملحوظ في استعمال الأعاجم لها ، ثمّ في الانحراف الإعرابي وسواه مّما دُرس تحت مصطلح «اللحن» . هذا التغيّر الذي يمكن أن نجعل رأس المئة الثانية بداية واضحة له ، أخذ ينشعب في اتجاهين ما زالت السنون تزيد المسافة بينهما :

الأول : تغيّر على صعيد «الفصحى» التي بقي الإعراب وسائر الأنظمة

الصوتية والصرفية والتركيبية علامات لا يخطئها النظر في دلالتها على المستوى الفصيح . ويمكن أن تحدّد معالم هذا التغيّر في مجالات ثلاثة هي :

أ) الثروة اللفظية ، وذلك عن طريق الاشتقاق القياسي الذي تولّد منه الجمّ الغفير من المفردات الجديدة والمصطلحات الأدبية والعلمية والدينية وسوى ذلك مّا هو معروف على صعيد الاصطلاحات . وعن طريق الدخيل الذي استوعبت منه العربية الفصحى الكثير أيضاً ، ولا سيما في الاصطلاحات نفسها .

ب) التغيّر الدلالي ، وذلك بالتغيير الطارىء على العديد من الدلالات توسيعاً وتضييقاً ونقلاً عبر المجاز وغيره مّا دعت إليه حاجات المجتمع الجديد .

ج) التجديد الأسلوبي ، وذلك باستخدام إمكانات تركيبية كامنة في عمق الجملة العربية ، مّا أظهر أشكالاً من التعبير ضمن إطار الفصحى ، تلويناً فنياً ، أو تحكّماً في طول الجمل وقصرها ، أو شيوع نمط من التراكيب على حساب غيره .

الثاني : تغيّر على صعيد «العاميات» التي تخلّت بداية عن الإعراب الذي يعدّ خصيصة بارزة وعلامة مميّزة للفصيح من العامي ، وهذا ما ذهب إليه «فك» حقاً . «إن التحرّر من الإعراب قرينة أكيدة على العربية المولّدة ، لا العكس ، أي أنه ليست العربية المولّدة منحصرة في التحرر من الإعراب» (فك : ١٥) . ويمكن أن يشير المرء إلى معالم هذا

التغيّر إضافة إلى التخلي عن الإعراب حين يلاحظ التحريف الذي اعترى الأصوات والتغيّر الذي طرأ على الأبنية الصرفية ، والتصرّف بالدلالة تصرّفاً واسعاً ، مع إفساح للمجال أمام الأعجمي دون حدود أو ضوابط .

وبالنظر إلى ما سبق من التفرقة بين هذين الاتجاهين ، نرى أن «العربية المولّدة» أمر لا وجود له ، لأن الموجود حقاً هو العربيةالفصحى التي اعترتها مظاهر التغيّر التي حدّدناها سابقاً ، والتي يمكن أن تشير إليها كلمة «المولّد» . فهذه الفصحى إذن - كما نرى - تعرّضت بعد القرن الأول لضروب من «المولّد» على صعيد زيادة الثروة اللفظية والتغيّر الدلالي والتجديد الأسلوبي مع بقاء الأنظمة الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية المعجمية مستمرة لتشكل الملامح المميزة للاستعمال الفصيح أدباً وحديثاً ، مشافهة ومكاتبة . وعندما نقول : إنها فصحى تعرّضت للمولّد ، نُخرج سائر المستويات الأخرى كاللهجات العامية والرطانات الأعجمية التي بدأت زمن الفتوحات ثم توسّعت بعدئذ .

ويُحمد لحلمي خليل أنه فرّق بين مظاهر التغيّر التي جمعها فك تحت عنوان «المولّد» ، إذ عدّ المولّد تطوّراً يتصل بالدلالة عموماً وهو تطوّر مقبول ، على حين أن مظاهر التغيّر الأخرى تُرفض لأنها تهدّد كيان العربية[٨] . كما يُحمد له تفريقه بين ما طرأ على العربية الفصحى من تغيّر ، وما شهدته العاميات من انحراف واسع .

غير أن حلمي خليل لم يدقّق في الاستعمال حين قبل مصطلح «العربية المولّدة» ، على أنه مرحلة من مراحل العربية كما مرّ بنا ؛ إذ وقع في تناقض

واضح ، لأنه ذكــر فــي نهايــة تحليله لمفهوم فك للمولـد أن العـربيـة المولّدة (New - classical Arabic) هي اللغة الي نشأت بعد استقرار الفتح الإسلامي في الأمصار المفتوحة نتيجة لاختلاط العرب بغيرهم من الأمم والشعوب الأخرى ثقافياً وجنسياً ، وامتازت عن العربية القديمة بتلك الخصائص التي ذكرناها . ثم عدّ العربية الحديثة (Modern Arabic) المرحلة الرابعة من حياة العربية[٩] .

وبغضّ النظر عن الزعم أن العربية المولّدة «لغة» نشأت بعد استقرار . . . إلخ ، نرى أن حلمي خليل سبق أن ذكر أن العربية القديمة لم ينته أمرها ولم تغلبها تلك العربية المولدة بأسلوبها المتميز ، وإنما كان لكلّ منهما في الحقيقة تيار يسير فيه ومناطق نفوذ خاضعة لهذه اللغة أو تلك ، فكانت العربية القديمة توجد بصورة أو بأخرى في بيئات العلماء من أصحاب اللغة والقرآن والحديث ، بينما كانت العربية المولدة تسري خارج بيئات هؤلاء العلماء بين عامة المثقفين وبعض الكتاب[١٠] . . . .

فكيف يوفّق الباحث بين استمرار العربية القديمة ويقصد «الفصحى» في التداول إلى جانب ما دعاه بالعربية المولّدة ، وبين ما زعمه من أن العربية المولّدة لغة نشأت بعد الفتح وهي تمثل مرحلة تلي العربية القديمة مع أنهما كانتا على قوله الآخر متعاصرتين؟

ليس هناك منفذ من هذا التناقض إلا بالإقرار بوجود العربية الفصحى واقعاً لغوياً مستمراً حتى العصر الحديث ، ثم يمكن للدارس بعد ذلك أن يلاحظ أن هناك «مستوى» (Niveau) لغوياً «مولّداً» شاع لدى عامة المثقفين

في ذلك العصر إلى جانب « المستوى» المحافظ الذي استمسك به فريق من الأدباء والشعراء .

كذلك الشأن حين الحديث عن العربية الفصحى في العصر الحديث . فالفصحى القديمة لها قوانين وتقاليد راسخة تحكم الفصحى الحديثة مع تأثر ملحوظ بالأساليب والمفردات الجديدة . لكن ذلك ليس بمضعف من العلاقة الوثيقة بين كلتيهما . معنى ذلك - كما يقول الدكتور عبد الصبور شاهين - أن العربية الفصحى ذات واقع لغوي حديث هو استمرار لواقع لغوي فصيح سبقه مع وجود اختلاف بين كلا الواقعين شأن الكائن الحي المتطور[11] .

وهكذا يتبين للدارس أن مصطلح «العربية المولدة» مصطلح غير واضح المعالم ، وليس أدلّ على ذلك من أنّ ما قصده فك بالعربية المولّدة ينطبق على اللهجات الدارجة ، على حين أن ما استنتجه حلمي خليل جعل العربية المولّدة طوراً من أطوار العربية ، يلحق بالفصيح دون العامي ، والفرق بينهما كبير .

وليس في الدعوة إلى التخلي عن مصطلح «العربية المولّدة» إنكار لوجود العاميات بوصفها طاقة لغوية تختلف عن الفصحى بكلّ مستوياتها ؛ إنما هو تسمية للأشياء بأسمائها ، واحتراز من الخلط بين الفصحى والعاميات .

٤ - التغيّر اللغوي بين المولّد واللحن

سبقت الإشارة إلى أن «يوهان فك» ألحق بكتابه دراسة لمادة «اللحن» ، كما سبقت الإشارة إلى أنه تتبّع شيئاً من تاريخ مشكلة اللحن ، وهو ما دعاه

بمبدأ تنقية اللغة . ويلاحظ أن «فك» ضمّ مظاهر اللحن إلى ما أسماه «العربية المولّدة» .

فهو يرى على سبيل المثال أن حملة الحريري (ت ٥١٦ هـ) - صاحب درّة الغواص في أوهام الخواص - على اللحن لم تحتدم تجاه أخطاء متفرقة من الحماقات اللغوية ، أو الاستعمالات الشعبية ، بل هي موجهة إلى روح العربية المولّدة على الإطلاق . (فك : ٢٢٥) .

وفي الحق أن «فك» يخالف في هذه الملاحظة ما تداوله اللغويون التالون من الزعم أن كتاب الحريري هو في لحن الخاصة دون العامة ، بل إنه ليذهب مذهباً أبعد حين يرى أن ما جاء لدى الحريري يمثّل روح العربية المولّدة . وإن أمثلة كثيرة أوردها فك من هذا النحو منذ حديثه عن الكسائي (ت ١٨٩هـ) صاحب أول مصنف في اللحن تُظهر أنّه جعل اللحن جزءاً من مظاهر العربية المولدة .

ومع أن في تراثنا اللغوي ما يشير إلى تداخل ملحوظ بين مصطلحي : المولّد والعامي ضمن كتب اللحن ، فإننا لا نستطيع تفسير ما ذهب إليه «فك» آنفا على أنه متابعة غير مدقّقة لآراء العلماء العرب القدامى . إنما نظنّ أن مفهوم فك للعربية المولّدة بما حشد له من مظاهر هو المسؤول عن جعل اللحن جزءاً من المولّد .

والسبب فيما نذهب إليه هو اختلاف الاعتبارات المنهجية ، فاللغويون العرب القدامى انطلقوا في تعريفهم للمولّد من قواعد الاحتجاج التي جعلت منتصف القرن الثاني الهجري حدّاً فاصلاً بين مرحلتين : ضمّت الأولى ما

صحّ بحسب معاييرهم من كلام الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين المتقدّمين حتى سنة (١٥٠هـ) . على حين أن الثانية بُدئت بمن سُمّوا بالمولّدين الذين لا يحتجّ بكلامهم تغليباً لعنصر الزمن على ما سواه . واستناداً إلى هذا جُعل «المولّد» صفة للكلام الذي استعمله الناس قديماً بعد عصر الرواية والاحتجاج[١٢] .

ومع ذلك نرى أن عناصر هذا المولّد بقيت ضمن إطار العربية الفصحى كما ذكرنا آنفاً . فالمولّد اتجه إلى الوفاء بمتطلبات التطوّر اللغوي مُلاحظاً أو غير ملاحظ ، لأنه يجري مجرى كلام العرب ، ولمبلغ الحاجة إليه ولا سيما في التطور العلمي والثقافي . ولو أنّ الدارس قبل بآراء اللغويين التي ترفض هذا المولّد نظرياً لما استطاع أن يقف على مصطلح واحد دون أن يلاحظ أنه مولّد فعلاً . لذلك نفترض أن «المولّد» استمر يجري في الفصحى زمناً ، لأنه ظاهرة تطوريّة تجعل اللغة مواكبة للزمن والمجتمع والثقافة .

أما «اللحن» فهو ظاهرة انبثقت أصلاً في الطبقات الدنيا ، ثم تسرّبت إلى ما فوقها من الطبقات الاجتماعية حتى شملت صنوفاً من الناس مختلفة . ويبدو أن إهمال الإعراب وتجاوز القواعد الصرفية ، وكثرة الإبدالات الصوتية جعل العلماء يتنبهون على مخالفة اللحن للعربية الفصحى مخالفة تهدّد كيانها في الصميم . ويلاحظ أن بدايات اللحن كانت أمثلة مّما يتخاطب به الناس في حياتهم . وقد تضافرت عوامل كثيرة على الاتساع في اللحن لدى هؤلاء إلى أن ظهرت اللهجات العامية الدارجة .

نخلص من هذا إلى أن مفهوم «اللحن» أكثر تحديداً من «المولّد» ، وأقرب

منه إلى لغة العامة ، وأوسع منه مجالاً . فاللحن كما دلّت الأمثلة المدروسة منه يشمل الجوانب اللغوية كافة في مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية . وهو أيضاً ميدان للتأليف الواسع والواضح المقاصد ، على خلاف المولّد كما رأينا .

إننا نرى أن مفهوم التغيّر الذي أخذ به «فك» للدلالة على «العربية المولّدة» كما استنتجنا في موضع سابق ، هو المسؤول عن الخلط بين الظواهر التي انبثقت عند العوام ممّا يندرج تحت «اللحن» والظواهر التي لوحظت في لغة الشعر والأدب والاستعمال الرفيع ممّا يندرج تحت «المولّد» .

ثم إننا نلاحظ أن هذا المفهوم المنطلق من المنهج الأوربي الوصفي جعل فك يعمّ في تقصيه جميع الجوانب اللغوية على صعيد واحد . إذ جمع أمثلة تتصل بالأصوات والصرف والنحو والدلالة . وهذا ما قرّب عمله من محتوى مصنفات اللحن .

إن دراسة «العربية المولّدة» - كما فهمها «فك» - يمكن أن تكون ذات جدوى لو أنها عنيت بتاريخ نشوء الظواهر العامية أو اللهجية بعد الإسلام دون أن تتطرق إلى الفصحى . ولا شك في أن مصنفات اللحن بحكم طبيعة تأليفها ، إذ سجلت الكثير من الاستعمالات العامية والأمثلة اللهجية ، هي من أكثر المصنفات اللغوية عندنا قرباً من ظاهرة التطوّر بغضّ النظر عن الوجهة المعيارية .

ولقد تبين لي أن في العديد من مصنفات اللحن درساً تطوّرياً ناضجاً من الوجهة اللغوية ولا سيّما ما اتصل بالدلالة . ولن يعيق الدارس ههنا أنّ ما

أورده المصنفون حُكم عليه بالخطأ أو الصواب ، إذ ليس هناك ما يمنع الإفادة من المعطيات دون التقيّد بالمقاييس ، فلا بدّ من أن تختلف مقاييسنا عن مقاييس القدماء .

ويكفي المرء أن يشير إلى أن الأقسام التي دُرست فيها أنواع الدلالة ضمن مصنفات اللحن ، هي نفسها لدى علماء الدلالة المحدثين ، من تعميم وتخصيص وانتقال من مجال إلى آخر . إضافة إلى معطيات أخرى كثيرة يمكن للدارس أن يتقرّاها ، كأسباب التطوّر ، وصلته بصنوف الناس ومهنهم وما إلى ذلك .

ومع ذلك ، ينبغي على الدارس أن يحترز من بعض الآراء المسبقة التي تزعم أن مصنفات اللحن تسجّل لهجات عربية ذات طوابع محلية ، كأن تكون لهجة لمدينة أو لقطر من الأقطار «لهجة صقلية ، ولهجة بغداد ، ولهجة الأندلس . . .» . لقد بيّنتْ دراستي لنحو عشرين كتاباً من كتب اللحن والتثقيف اللغوي ، أن من المبالغة توقّع العثور على لهجات متباينة لها خصائص محلية واضحة . فقد دلّ تحليل المئات من الأمثلة على أن الأمور التي تربط بين ما عدّ في العامي الملحون على اختلاف الأقطار التي جرى فيها والعربية الفصحى ، هي أوثق مما كان يُظنّ بكثير .

وفي الختام نقول : إن «فك» استطاع بمهارة وعمق نادرين أن يجمع أشتاتاً غير مؤتلفات من النصوص والآراء والمعلومات المتنوّعة لينشىء منها تاريخاً لتطور العربية ونشأة لهجاتها . غير أن عمله بقي دون ما يؤمّل له من النجاح . إذ ظل - كما أرى - في دائرة «التاريخ» العام للغة العربية ، مع ما تتصف به مثل هذه الدراسات التاريخية من تعميم واتساع زمني وتبسيط

للكثير من المشكلات وعدم تدقيق في المصطلحات ، ولا سيّما في هذا المعترك الصعب ، وهو «تاريخ» تطوّر العربية ، فقد سلك فيه «فك» طريقاً غير ممهّدة ، بل لعلّه من أوائل السالكين فيها .

ومعلوم أن دراسة التطوّر اللغوي عندنا هي من أصعب الدراسات منهجاً وأكثرها تشعباً . ولذلك يجد المرء عذراً ليوهان فك حين اضطرب عمله في بعض جوانب الكتاب . ولا شك في أن عمل «فك» كان أقرب الأعمال إلى عمل عالم الآثار الذي يجهد وهو يزيل التراب عن اللقى الدفينة لإعادة تشكيل التاريخ الذي تدلّ عليه هذه اللقى ، وإن كانت أجزاء محطمة . إن دراسة وافية لمعالم التطور في العربية عامة ما تزال - مع الافتقار إلى نضج المنهج وجمع المواد الدالّة على التطوّر باتساعها وتعدّد جوانبها - ضرباً من الظفر بعنقاء مغرب .

الحواشــي

(١) انظر : فك ، العربية ، ترجمة د . رمضان عبد التواب ، الخانجي بمصر ، ١٩٨٠م ، ص٥ (من تعليقات شبيتالر على الكتاب) .

(٢) ترجمه الدكتور عبد الحليم النجار رحمه الله ، وصدر عام ١٩٥١م ، كما ترجمه الدكتور رمضان عبد التواب ، وصدر عام ١٩٨٠ ، وعلى الترجمة الثانية اعتمدنا في هذا البحث .

(٣) حتى تعليقات شبيتالر لم تعالج القضية الرئيسة في كتاب فك ، مع أنها تعرّضت لمسائل مهمة كنشأة الفصحى وصلتها باللهجات ووجود الإعراب وسوى ذلك . وتجدر الإشارة إلى أن الدكتور حلمي خليل تعرّض لدراسة مفهوم «المولّد» عند يوهان فك في سياق الحديث عن قضية المولّد التي جعلها عنواناً لكتابه : المولّد : دراسة في نمو وتطور اللغة العربية بعد الإسلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - فرع الإسكندرية ، ١٩٧٨ ، وسنشير إلى أهم آراء الدكتور خليل في تضاعيف بحثنا هذا .

(٤) انظر كلمة الدكتور شاهين في مقدمته لكتاب فليش ، العربية الفصحى ، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص٩ .

(٥) يميل حلمي خليل إلى أن فك كأنه تمثّل تعريف ثعلب للمولّد عندما سئل عن التغيّر فقال : هو كلّ شيء مولد وهذا غير صحيح لاختلاف الاعتبارات ، فثعلب وغيره من قدامى اللغويين يجعلون مظاهر التغيّر التي طرأت على العربية بعد عصر الاحتجاج من المولّد المرفوض أياً كان ،

على حين أن «فك» ينطلق من مفهوم وصفي غير معياري ، ولذلك يرى جميع المظاهر الطارئة من المولد بمعنى التغيّر كما ذكرنا .

(٦) انظر : خليل ، د .حلمي ، المولّد ، ص ٥٤١ - ٥٤٢ .

(٧) انظر : السيوطي ، المزهر ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، د .ت ، ٢٩٤/١ وما يليها .

(٨) انظر : خليل ، والمولّد ، ص ٥٤١ .

(٩) انظر : المصدر السابق ، ص ٥٤٢ .

(١٠) انظر : المصدر نفسه ، ص ٥٢٧ .

(١١) انظر : فليش ، العربية ، من مقدمة المعرّب ، ص ١٠ .

(١٢) انظر : المعجم الوسيط ، إصدار مجمع القاهرة ، ١٦/١ .

ثانياً : مع الكتب

كتابُ لُغات الْقُرْآن

لِعَبْدِاللّه بن عَبّاس «رضي الله عنه»

الْمُتَوَفَّى سنة ٦٨هـ / ٦٨٧م

حَلّل نُسَخَه مَخْطُوطَها ومَطْبُوعَهَا

محمد خير البقاعي

لقد أتاح لي التقديم للمقالة[1] التي نَقَلْتُها إلى العربية ونشرتها مجلة مجمع اللغة العربية الأردني الموقر أنْ أشير إلى بَعْض ما يَعْتَور كتاب «لُغَات القرآن» من اضطراب يعود إلى تَعَدّد طرق روايته عن ابن عباس .

وسنحاول في الصفحات المقبلة معالجة هذا الاضطراب أَمَلاً في استجلاء حقيقة الأمر بعد أن وصلني نَصّا[2] مكتبة أسعد أفندي ٩١/٣ ، وعاطف أفندي ٢٨١٥/٨ ومعتمداً على الله أقول :

في عام ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م نشر الدكتور صلاح الدين المُنَجّد كتاباً بعنوان «اللغات في القرآن»[3] وكتب في صفحة العنوان «أخبر به إسماعيل ابن عمرو المقرىء عن عبد الله بن الحسين بن حسنون المقرىء بإسناده إلى ابن عباس» .

ولم يتنبه إلى أَنّ نَصّ هذا الكتاب مطبوع منذ عام ١٣١٠هـ في حاشية «التيسير الكافل بحَلّ المشكل من ألفاظ القرآن الكريم» للإمام عبد العزيز بن

---

(١) عنوانها «كُتَيِّب مخطوط للسلفي» حَلّله بالفرنسية جورج فاجدا ، نقله إلى العربية وعَقّب عليه محمد خير البقاعي ، وقد نشرت في العدد ١٤١١/٣٩هـ/١٩٩٠م ص٢٨١ - ٣١٨ . وقد ظهر الكُتَيِّب موضوع المقالة «الوجيز في ذكر المجاز والمجيز» بتحقيقي عن دار الغرب الإسلامي ١٤١١هـ/١٩٩١م .
وسقط من المقالة التي نشرتها مجلة المجمع سطر من الصفحة ٢٨١ أَغْتَنِمُ الفرصة هنا لتصحيحه «السطر الأخير من الصفحة ٢٨١» وجه القراءة «ويُشير العلامة فؤاد سزكين أنّ من الكتاب نسخة أخرى في مكتبة أسعد أفندي ٣/٩١ ، ونجده في (ص٦٨) . . . .» فَلْيُصَحّح .

(٢) وقد نشرهما في مقالة واحدة الدكتور Ismail CERRHOǦLU في مجلة كلية الإلهيات بأنقرة ، العدد ٢٢ ، ١٩٧٨م ص ١٧ - ١٠٤
(Tefsirde Atâ b. Ebi Rabâh Ve Ibn Abbâs'dan, Rivâyet Ettiği Garibu' L - Kur'ani)
وأشكر للأخ الدكتور داود غربل مساعدته في الحصول على مقالة مجلة كلية الإلهيات .

(٣) بين يَدَيّ الطبعة الثانية الصادرة في بيروت ١٣٩٢هـ /١٩٧٢م عن دار الكتاب الجديد .

أحمد الشهير بالديريني (٦٩٤هـ) وفي حاشية «تفسير الجلالين» المطبوع في القاهرة عام ١٣٤٢هـ.

وإنْ كان ثمَّة اختلاف بين نَصّه والنصين الآخرين فهو اختلافٌ في طرق الرواية فقد نُسِبَ الكتاب في حاشية «التيسير» و«الجلالين» إلى أبي القاسم ابن سَلاّم[1] وشاء الله أنْ أقع في إحدى مراجعاتي كتاب بروكلمان[2] على كتاب لا زال مخطوطاً وعنوانه «شرح بعض العبارات الغريبة في القرآن» وهو

(١) جاء في التقديم للنص المنشور في حاشية «التيسير»:
«هذه رسالة جليلة لبعض الأفاضل، تتضمَّن ما ورد في القرآن من لغات القبائل وأظُنّها للإمام أبي القاسم بن سلام، حسبما نقل عنه صاحب الإتقان».
وفي حاشية تفسير الجلالين «رسالة فيما ورد في القرآن من لغات القبائل، لأبي القاسم بن سَلاّم» وقد أوضح الدكتور رمضان عبد التواب في تقديمه للجزء الأوّل من كتاب أبي عُبَيْد القاسم بن سلام «الغريب المُصَنّف» ص٥٩ مصدر الخطأ فقال:
«والمقصود بالإتقان «كتاب الإتقان في علوم القرآن» للحافظ السيوطي في طبعته التي صدرت عام ١٢٧٩هـ وطبعت بالمطبعة الكاستليه بتصحيح الشيخ نصر الهوريني وقد جاء في أول كتاب الإتقان في تعداد مصادر مؤلّفه عبارة «اللُّغات التي نزل بها القرآن لأبي القاسم محمد بن عبد الله» فَنَبّه الشيخ على ما ظَنّه خطأً هنا وزعم أنَّ الكتاب للقاسم بن سَلاّم وتابعه على هذا المرحوم محمد أبو الفضل إبراهيم في نشرته للإتقان سنة ١٩٧٦ فقال في هامش ١٩/١: «في الأصول: لأبي القاسم محمد بن عبد الله، وهو خطأ نَبّه عليه مصحح ط (يقصد: طبعة الشيخ نصر الهوريني). وقال سركيس في معجم المطبوعات ١٢١/١ «يُظَنُّ أنها لأبي عبيد القاسم بن سلام» وحاول بروكلمان ١٥٩/٢ أنْ يُرْجع هذه الرسالة إلى كتاب «غريب القرآن» المفقود لأبي عبيد. وانظر مقدمة كتاب «الخطب والمواعظ» تح د. رمضان عبد التواب، القاهرة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

(٢) تاريخ الأدب العربي «بالألمانية» ٤٥٠/١ ط٢، ٣٦٥/١ ط١ والملحق ٦٢٤/١ وانظر الترجمة العربية ٢٤٨/٦ - ٢٥٠.
والمخطوط في مكتبة برلين الدولية برقم ٦٩٨، وقد نَقَلَه محمد بن عراق (٩٣٣هـ/١٥٢٦م) في كتابه المخطوط برقم ٤٢٧ في المكتبة نفسها وعنوانه «جوهرة الغَوّاص وتحفة أهل الاختصاص».

مَنْسوب لأحد أعلام الإسلام وحُفَّاظه أبي طاهر أحمد بن محمد السِّلفي الأصبهاني مولداً والإسكندري دار إقامة وموتاً[1] (٤٧٤ - ٥٧٦هـ/١٠٨٣م - ١١٨٠م)

ولمَّا حَصَلْتُ على مُصَوَّرة من الكتاب المذكور تَكَشَّف لي أنَّه نُسْخة

---

(١) انظر ترجمته في مقدمتي لطبعة كتابه «الوجيز في ذكر المجاز والمجيز» ، دار الغرب الإسلامي ١٤١١هـ/١٩٩١م ، ص ٤٤ - ٤٥ . يُضَاف إلى المصادر المذكورة هناك : رسالة مخطوطة في المكتبة العامة بالرباط برقم ١٠٤٦/د وفيها ترجمة للسلفي كما ذكر العلامة المرحوم الزركلي في الأعوام ٢٠٩/١ . وفاتني أنْ أذكر أنَّ كتاب «مُقَدِّمة معالم السنن» المذكور في مؤلفات السلفي (ص ٣٩ من مقدمة الوجيز) مطبوع في ذيل «مختصر سنن أبي داود للمنذري ومعالم السنن للخطَّابي وتهذيب ابن قيم الجوزيَّة» تح . أحمد محمد شاكر ومحمد حامد الفقي . ط .مصر ١٩٤٨م وبين يدي طبعة مصورة عنها في بيروت - دار المعرفة - بلا تاريخ - ١٣٧/٨ - ١٦٣ وهي منقولة عن الطبعة الأولى لمعالم السنن للخطَّابي بعناية محمد راغب الطباخ ، حلب ١٩٢٠ - ١٩٢٤و ١٩٣٢ - ١٩٣٤ انظر :
Claude - France Adebert, AL - Haṭṭābī Et L Inimitabilité Du
coran, Traduction et Introduction Au Bayān
I'ǧāz al - Qur'an, Institut Francais de Damas, 1982, P.P. 40 - 41
وَوَجَدْت السلفي في مقدمته هذه يشير إلى شرحه لمقدمة كتاب الاستذكار لابن عبد البر وذلك في الصفحة (١٤٠ - ١٤١) انظر مقدمة الوجيز ص ٣٨ .
وما يذكره بروكلمان في الملحق ٦٢٤/١ من أنَّ للسلفي كتاباً في مكتبة كمبردج بعنوان «فضائل مصر ، فضائل البيت المقدّس الشامي» ورقمه هناك ٧٣٦/١ ، ونقلت ذلك عنه في مقدمة الوجيز (ص ٣٦) والآن أقول : إنّ المخطوطة فيها كتابان «فضائل مصر» للكندي وهو مشهور معروف مطبوع وفي إسناده نجد السِّلفي قد تَصَحَّف إلى السُّلمي وهو يروي الكتاب وليس مؤلفه أمَّا الكتاب الثاني «فضائل البيت المقدّس الشامي» فهو لمؤلف مجهول وأشكر لصديقي الدكتور كلود جيليو Caude Gilliot أستاذ الفكر الإسلامي في جامعة Aix en Provence مساعدته في الحصول على هذه المخطوطة وأرجو أنْ تتاح لي فرصة العودة إليها وقد رأيت عَرْضاً لكتاب «معجم السفر» طبعة شير محمد زمان المشار إليها في مقدمة الوجيز (٣٢) وذلك في مجلة «العرب» عدد (؟) ص ٤٣٠ - ٤٣١ .
وقد ذكر الدكتور بشار عواد معروف في مصادره المخطوطة التي اعتمد عليها في تحقيقه لكتاب المنذري «التكملة لوفيات النقلة» أنّ للسلفي كتاباً مخطوطاً في مكتبة الأوقاف ببغداد رقم ٢٨٤١ مجموع ، وهو الجزء الثاني من انتخاباته على الشيوخ والموجود هناك هو انتخابه من مسموعات جعفر السراج ، والكتاب برواية أبي الفضل جعفر بن علي الهمذاني المقرىء عن السلفي . فليعلم .

أخرى من النص المنشور في حاشيتي «التيسير» و«الجلالين» وفي كتاب الدكتور المَنجّد .

وقدْ تَيَسَّر لي عدا نسخة برلين نُسْختان من هذا الكتاب هما :

- مخطوطة مكتبة شستر[1]بتي في إيرلنده وهي هناك برقم ٤٢٦٣ ، في (٩) أوراق منسوبة لمحمد بن علي بن المُظَفّر الوزّان ، نسخها محمد بن عبد الرحمن الصفدي في عام ٨٨٥هـ/ ١٤٧١م

- ومخطوطة مكتبة جامعة برنستون[2] / يهودا في الولايات المتحدة الأمريكية وهي من مجموعة روبير غاريت ورقمها هناك ٣١٦٧ وقد نُسِبَتْ أيضاً لمحمد بن علي بن المظفر المعروف بالوزان الحنفي .

ولم أجد لِلوَزّان هذا ترجمة إلاّ ما يذكره فؤاد سزكين في كتابه «تاريخ التراث العربي» من أنّه عاش في أواخر القرن الرابع الهجري وأوائل الخامس[3] ويذكر أنّ من كتابه هذا نسخة في مكتبة أسعد[4] في تركيا برقم ٣/٩١ (١٠٤أ - ١١٣ب) وهي التي طبعها الدكتور I.Cerrahoĝlu كما أشرنا إلى ذلك .

ويذكر سزكين أنّ الكتاب الذي طبعه الدكتور المنجد هو الموجود في مكتبة أسعد . ونجده[5] يذكر أنّ لابن عباس كتاباً بعنوان «غريب القرآن»

---

(١) انظر: Arberry A.j., The Chester Beatty Library : a hanist of the Arabic manuscripts, Dublin, 1962, V, 82.

(٢) انظر : Rudolf Mach, Catalogue of arabic manuscripts (yahuda section) in the Garrett collection, Princeton university Library, princeton, 1977,15.

وأشكر لصديقي الدكتور كلود جيليو Claude Gilliot مساعدته في الحصول على صورة من هذه المخطوطة بوساطة صديقه الدكتور A. Rippin فلهما خالص شكري .

(٣) تاريخ التراث العربي (الترجمة العربية) مج١ ج١ ص١١١ .

(٤) المصدر السابق مج١ ج١ ص٦٨ .

(٥) المصدر السابق مج١ ج١ ص٦٧ .

بتهذيب عطاء بن أبي رباح (١١٤هـ/ ٧٣٢م) ويوجد مخطوطاً في مكتبة عاطف أفندي برقم ٨/٢٨١٥ (١٠٢أ - ١٠٧أ) ويَنْسِبُ الكتاب نفسه في مكان آخر من كتابه[1] لأبي جعفر المقرىء .

وجاءت نسبة الكتاب لمحمد بن علي بن المظفر الوزّان في آخر الكتاب والنص كالتالي : «كتاب لغات القرآن المروية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما تأليف محمد بن علي بن المظفر المعروف بالوزان الحنفي رحمه الله تعالى . . . .» .

أمّا سند النسخة البرلينية المنسوبة للسّلفي فهو كالتالي :

[١٢٥ب] بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ،

أخبرنا الشيخ الفقيه الإمام العالم أبو الطاهر أحمد بن محمد بن أحمد ابن محمد السّلفي الأصفهاني رضي الله عنه قراءة وأنا أسمع في منزله بثغر الإسكندرية - حماه اللّه تعالى - مرتين إحداهما في شهر رمضان ، والأخرى في شهر شوال سنة أربع وسبعين وخمسمائة .

أخبرنا الشيخ أبو بكر يحيى بن إبراهيم بن شبل المالكي بالإسكندرية في صفر سنة اثنتي عشرة وخمسمائة .

---

(١) مج١ ج١ ص٩٠ وهو الكتاب الذي نشره الدكتور I. Cerrahoğlu في مجلة كلية الإلهيات بأنقرة انظر الحاشية رقم (٢) ص ١٣٣ من بحثنا هذا . ويذكر الدكتور رمضان عبد التواب في مقدمتة لكتاب «الغريب المصنّف» ص ٦٢ - ٦٣ أنّ في دار الكتب المصرية (تيمور) رسالة مجهولة المؤلف عنوانها «رسالة في لغات القرآن الكريم» وهي برقم (١٤٠ حديث/ تيمور) في مجموع كُتِبَ سنة ١٣٠٩هـ (٨٦ - ١٠٦) يتشابه نَصُّها وإسنادها مع المطبوعة في هامش التيسير .

حَدّثنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم الخَطّاب[1] ، أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن عمرو بن إسماعيل المقرىء بمصر ، حَدّثنا أبو أحمد عبد الله بن الحسين بن [2] حسنون المقرىء ، أخبرنا أبو العباس أحمد بن عبيد ، حَدّثنا [الحسين][3] بن محمد ، حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد بن أبان القرشي ، حَدّثنا أبو جعفر محمد بن أيوب المقرىء عن عبد الملك بن جريج عن عطاء عن ابن عباس . . . .

وخلاصة القول إنّ ما ذكرناه من نسخ مخطوطة أو مطبوعة إنّما هي كتاب واحد تَعَدّدت طرق روايته عن ابن عباس وإنّ الفروق بين النسخ هي الفروق التي نجدها بين مخطوطتي كتاب واحد .

وإنّه لَمِنَ المفيد أن أنشر أسانيد النسخ[4] كلّها ليَتّضح وجه الاتفاق

---

(١) كُلّ ما سبق سقط من (م) .

(٢) ابن سقطت من (ب) وهي في (م) وبقية النسخ

(٣) ما بين معقوفتين سقط من (ب) وأثبتناه من (م) .

والرقم المذكور قبل البسملة من سند النسخة البرلينية هو رقم الورقة أين يبدأ كتاب «لغات القرآن» ضمن كتاب جوهرة الغواص لابن عراق كما ذكرنا ذلك ويشغل الكتاب ست ورقات [١٢٥ب/١٣١أ] وفي حاشية الورقة الأولى من هذه النسخة جاء ما يمكن أن يكون عنواناً للكتاب أحاله عبث النّسّاخ مُهَلْهَل النسج ركيك التركيب وهو ما صورته .

[ما جاء في النظم المعجز للأولين والآخرين والإنس والجن كلام رب العالمين من لغات طوائف وقبائل العرب ولغاتها]

ولَعَلّ الصواب [ما جاء في القرآن الكريم من لغات طوائف العرب وقبائلها]

(٤) سنرمز من الآن فصاعداً إلى نسخة شستربتي بالحرف (ش) وإلى نسخة مكتبة أسعد بتركيا بالحرف (ت) وإلى المخطوطة برنستون/ يهودا بالحرف (ي) وإلى المخطوطة برلين بالحرف (ب) وإلى نسخة مكتبة عاطف أفندي بتركيا بالحرف (ع) وإلى النص المنشور في هامش التيسير للديريني بالحرف (د) وإلى هامش تفسير الجلالين بالحرف (ج) وإلى طبعة الدكتور المنجد عن نسخة الظاهرية بالحرف (م) .

والاختلاف في ذلك كله . ومما تجدر الإشارة إليه أنّ نسخ «شستربتي وأسعد ويهودا» تتفق في إسنادها عدا بعض الاختلافات الطفيفة التي سنشير إليها .

بيان لغات القرآن المروية عن ابن عباس رضي الله عنه[٩١/٣أسعد أفندي]

[ب ١٠٤] بسم اللّه الرحمن الرحيم[١]

الحمد للّه رب العالمين وصلّى اللّه على نبيه محمد وآله وصحبه أجمعين[٢]

أخبرنا أبو بكر القَبّاب عبد اللّه بن محمد ، قال : حَدّثنا أبو عمرو عثمان بن موسى بن محمد[٣] ، قال : حَدّثني محمد بن يحيى بن عيسى ابن عبدلي بقزوين[٤] ، قال : حَدّثنا أبو الحسن علي بن أبي علي المقرىء القرشي الهمداني ، قال : حَدّثنا أحمد بن محمد بن سعيد بن أَبان القرشي مولى عثمان بن عفان[٥] المقرىء مؤدب جعفر بن سلمة عن عبد الملك بن جريج عن عطاء عن ابن عباس . . .

---

(١) المثبت هو نص (ت) وسنثبت في الحاشية الفروق بينه وبين (ش) و(ي) بعد البسملة في (ي) وبه الإعانة .

(٢) في (ش) و(ي) وصحبه وسلم .

(٣) ابن ، سقطت من (ت) .

(٤) في (ت) محمد بن يحيى بن عيسى بن عبيد بقراوين ، وهو تصحيف صَحَّحْناه من (ش) و(ي) .

(٥) في سند (ت ش ،ي) سقط لأنّ أحمد بن محمد بن سعيد بن أبان القرشي مولى عثمان بن عفان توفي سنة (٢٦٧هـ) كما في سير أعلام النبلاء (سير) ٦١٢/١٢ بينما توفي عبد الملك بن جريج عام (١٤٩هـ) فكيف يروي ابن أبان عنه ، ولا شك أنّ بينهما رجلاً هو أبو جعفر محمد بن أيوب المقرىء مؤدب جعفر بن سلمة كما في سند (ب) و(د)و (م)و (ع) و(ج) ، وورد اسم أبي جعفر (محمد بن أيوب) في (ب) و(د) و(م) ولم تثبته بقية النسخ وليس في (ب) و(م) و(د) أنّه مؤدب جعفر بن سلمة . ولم يذكر سزكين في الموضع المشار إليه من كتابه في الحاشية (١) ص ١٣٧من بحثنا هذا اسمه بل ذكره كالتالي أبو جعفر المقرىء .

وسأحاول الترجمة لمن عرفتهم من رجال الأسانيد بعد أنْ أثبت الرسم البياني لها مُصَحّحاً ما جاء في الرسم البياني الذي صنعه الدكتور Andrew Rippin للنسخ التي عرفها من الكتاب[1] مضيفاً إليه ما لم يعرفه منها .

(١) وهي نسخ (م) (د) (ج) (ش) (ي)

وذلك في مقالته بعنوان

A. Rippin, Ibn ʿAbbâs's al - lughat fî - Qur'ân, in BSOAS, XLIV, 1,1981, P. 15 - 25.

وله مقالة أخرى في المجلة نفسها بعنوان

Ibn ʿAbbâs's Gharib al - Qur'ân, BSOAS, XLVI, 1983 P. 332 - 333.

وتَفَضّل صديقي الدكتور كلود جيلو C.Gilliot بتزويدي بصورة عن المقالتين .

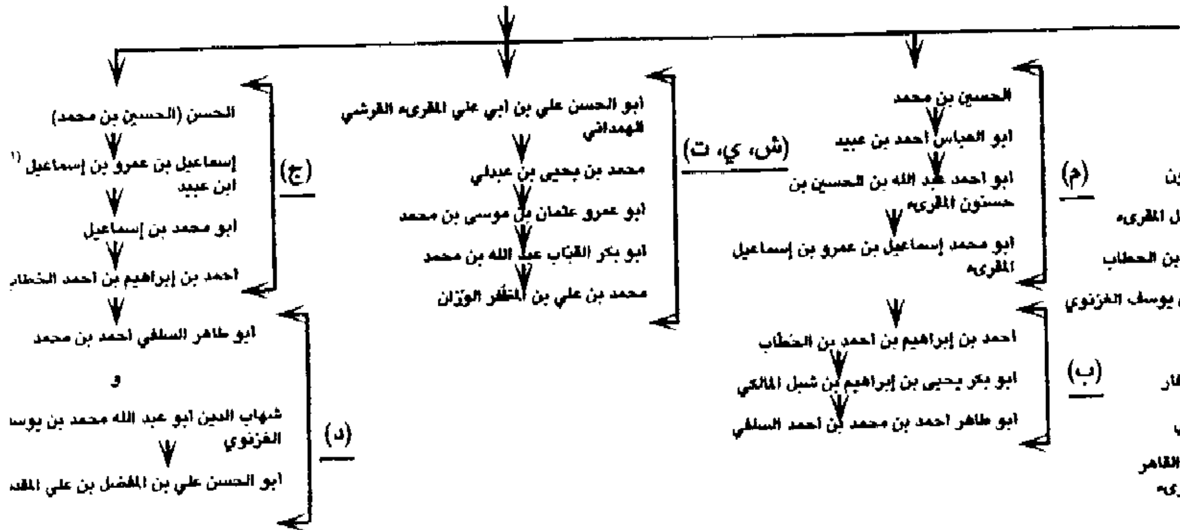
عبد الله بن عباس (٦٨هـ / ٦٨٧م)

عطاء بن أبي رباح (١١٤هـ - ٧٣٢م)

عبد الملك بن جريج (١٥٠هـ - ٧٦٧م)

ابو جعفر محمد بن ايوب (حوالي ١٩٠هـ - ٨٠٥م)

احمد بن محمد بن سعيد بن ابان القرشي (٢٦٧هـ / ٨٨٢هـ)



هو خلط قارن بسند (ع) و (م) و (ب)

صواب (الحطّاب) بالحاء المهملة كما سنذكر في تراجم رجال السند وتَصحّف ايضاً في مقالة R.Rippin، ص ١٩

وسأحاول فيما يلي إثبات تراجم من عرفتهم من رجال هذه الأسانيد المختلفة معرضاً عن ذكر مشهوريهم الأقدمين :

١ - أبو جعفر محمد بن أيوب المقرىء : (ش ،ي ،ت ،م ،ب ،ع ،ج ،د)

ذكر A.Rippin في مقالته المشار إليها في الحاشية (١) ص (١٤٠) أنّ سنة وفاته هي على التقريب سنة (١٩٠هـ/٨٠٥م) ولست أدري ما مصدره؟

ويذكر فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي (الترجمة العربية) مج١ ج١ ص٩٠ أنّه تلميذ لعبد الملك بن جريج ، ومن ثَمّة فقد عاش في النصف الثاني من القرن الثاني .

٢ - أحمد بن محمد بن سعيد بن أبان القرشي : (النسخ كلها)

ترجم له الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٢/٥

وفيه «ويُعرف بالتُّبَّعيّ ، من أهل همذان ، قدم بغداد وحَدّث بها . . وكان ثقة ويُدْعى أبا عبد الله» وذكر الخطيب أنّه مات سنة ٢٦٧هـ

انظر : سير ٦١٢/١٢ ، الجرح والتعديل ٧٢/٢ ، الأنساب ١٦٧/٢ ، اللباب ٢٠٧/١

٣ - الحسين (الحسن) بن محمد : (م ،ب ،ع ،ج ،د)

لم أجد له ترجمة

٤ - أبو العباس أحمد بن عبيد : (ج ،د ،م ،ب ،ع)

لم أجد له ترجمة

٥ - **أبو أحمد عبد الله بن الحسين بن حسنون المقرىء : (م ،ب ،ع ،د ،ج)**

قال الداني : «مشهور ضابط ، ثقة ، غير أنّ أيامه طالت فاختلّ حفظه ولحقه الوهم» توفي سنة ٣٨٦هـ

طبقات القرّاء ٤١٥/١ ، تاريخ بغداد ٤٤٢/٩ - ٤٤٣ شذرات الذهب ١١٩/٣ - ١٢٠ ومقدمة الدكتور المنجد : ص١١

٦ - **أبو محمد إسماعيل بن عمرو بن إسماعيل المقرىء : (ج ،د ،م ،ب ،ع)**

مصري الأصل ، توفي سنة ٤٣٩هـ ، كان مقرئاً ضابطاً شديد الأخذ ، واسع الرواية . طبقات القرّاء ١٦٧/١ ، مقدمة الدكتور المنجد ، ص١١

٧ - **أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن الحَطّاب : (ج ،د ،ب ،ع)**

الرازي الشافعي ، نزيل مصر ، حَجّ سنة ٤١٤هـ ، ودخل اليمن ، قال السلفي : كان من الثقات ، خيِّراً كثير المعروف ، مات سنة ٤٩١هـ

سير ١٩٠/١٩ - ١٩١ (١١١) وانظر تذكرة الحفاظ ١٢٢٨/٤

وقد تَصَحّف في (ج ،د ،ع) الخَطّاب .

٨ - **أبو بكر يحيى بن إبراهيم بن شبل المالكي : (ب)**

كتب عن أبي بكر الخطيب الحافظ وكان ثقةً ديّناً ، توفي سنة ٥١٤هـ وكانت ولادته سنة ٤٣٣هـ

ترجمته في معجم السفر (نسخة شستربتي) وانظر نفح الطيب (ط . عباس) ٥١١/٢ والوجيز ص ٦٨ .

٩ - أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي : (٤٧٤هـ - ٥٧٦هـ) (ب ،ع ،ج ،د)

انظر ترجمته في مقدمة الوجيز بتحقيقي .

١٠ - أبو الحسن علي بن أبي علي المقرىء القرشي الهمداني : (ش ،ي ،ت)

لم أجد له ترجمة

١١ - محمد بن يحيى بن عبدلي : (ش ،ي ،ت)

لم أجد له ترجمة .

١٢ - أبو عمرو عثمان بن موسى بن محمد : (ش ،ي ،ت)

لم أجد له ترجمة .

١٣ - أبو بكر القَبّاب عبد الله بن محمد : (ش ،ت ،ي)

الإمام الكبير المقرىء ، مسند أصبهان ، ونسبته إلى من يَعمل القُبّة التي هي كالهودج ويُعْرَف بابن فَوْرَك ، عاش نحواً من مئة عام ومات سنة ٣٧٠هـ

سير ٢٥٧/١٦ - ٢٥٨ ، الأنساب (ط . بيروت) ٤٣٨/٤ اللباب ١٠/٣ ، غاية النهاية ٤٥٤/١ .

١٤ - محمد بن علي بن المُظَفّر الوزّان : (ش ،ت ،ي)

يذكر سزكين في تاريخ التراث العربي مج١ ج١ ص١١١ أنّه عاش في أواخر القرن الرابع الهجري وأوائل الخامس .

١٥ - **شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف الغَزْنَويّ** : (ع ، د ،ج)

المتوفى سنة ٥٩٩هـ وولد سنة ٥٢٢هـ ، سمع بالإسكندرية من السلفي

انظر : التكملة لوفيات النقلة ٤٤٨/١ (٧١٣) النجوم الزاهرة ١٨٤/٦ ، حسن المحاضرة ٢١٩/١ - ٢٣٦ - ١٣٧ ، سير ٣٩٣/٢١ شذرات الذهب ٣٤٣/٤

١٦ - **أبو عبد الله محمد بن عبد الغفار بن أبي نصر بن أحمد المقدسي** : (ع)

لم أجد له ترجمة

١٧ - **رشيد الدين أبو محمد بن عبد الطاهر بن نشوان بن عبد الطاهر المقري** : (ع)

لم أجد له ترجمة

١٨ - **أبو الحسن علي بن المفضل بن علي المقدسي** : (ج ،د)

الإسكندري المالكي القاضي ، كان إماماً محدثاً ،له تصانيف مفيدة في الحديث وغيره توفي سنة ٦١١هـ

الوافي بالوفيات ٢١٧/٢٢ ، التكملة لوفيات النقلة ٣٠٦/٢ ، تذكرة الحفاظ ١٣٩٠ ، البداية والنهاية ٦٨/١٣ .

ونخلص مّما سبق إلى القول إن الكتاب في نسخه الثمانية مطبوعها ومخطوطها مرفوع إلى ابن عباس وأنّ هذه النسخ تسمح بطباعة نَصٍّ

جديد من الكتاب يُضيف إلى مطبوعة الدكتور المنجد ويُصحّح كثيراً من أخطائها وأخطاء النسختين المطبوعتين في تركيا . وأَنّ الكتاب لا علاقة له بأبي عبيد القاسم بن سلام وبانتظار أَنْ تتاح لي فرصة إظهار الكتاب عن نسخه التي ذكرتها أرجو أَنْ يكون ما ذكرته في الصفحات السابقة سبيلاً لدفع الاضطراب الذي يعتور هذا الكتاب .

محمد خير البقاعي

مرسيليا ١٥ محرم ١٤١٢هـ

مُشْكِل إعــراب الأشعــار
الستة الجاهلية

القسم الثاني

ديوان علقمة الفحل

(ت ٦٠٣م)

شرحه محمد بن إبراهيم بن محمد الحضرمي (ت ٦٠٩ هـ)

حققه الدكتور علي الهروط

مقدمة التحقيق :

عني العلماء منذ مطلع القرن الثاني بدواوين الشعراء الستة : امرىء القيس والنابغة وعلقمة وزهير وطرفة وعنترة ، وكانت قصائدهم من المصادر الأولى التي استقى منها العلماء أحكامهم النقدية ، وآراءهم الفنية ، وقواعدهم النحوية والصرفية والعروضية ، وبحوثهم اللغوية ، واتخذوها وسيلة للاستشهاد والتمثيل والاحتجاج ، ويعود الاهتمام بهؤلاء الشعراء لأنهم في المرتبة الأولى في التفوق والشُهرة ، وهم من أقدم الشعراء وأطولهم قصائد ، قال الأَعلم الشنتمري في مقدمته[1] : «رأيت أن أجمع من أشعار العرب ديواناً يُعين على التصرُّف في جملة المنظوم والمنثور ، وأن أقتصر منها على القليل ، إذ كان شعر العرب كله متشابه الأغراض ، متجانس المعاني والأَلفاظ ، وأن أوثر بذلك من

١ - انظر : ديوان طرفة بن العبد ، ص ١ ،٢ وهو قسم من شرح دواوين الشعراء الجاهليين للأعلم الشنتمري .

الشعر ما أجمع الرواة على تفضيلة ، وإيثار الناس استعماله على غيره . . .» .

وقال أهلوارد في مقدمة العقد الثمين :[1] «إنَّ هؤلاء الستة يعود اختيارهم إلى ثلاثة أمور : قيمة شعرهم الفنية ، وكثرة قصائدهم وطولها . . . وعنايتهم بالحوادث ذات الذكريات الجيدة وبالأشخاص ذوي المكانة التاريخية السامية . . .» .

وقد جمع دواوين الشعراء الستة في مجموعة واحدة ثلاثة من العلماء :

١ - الوزير أبو بكر ، عاصم بن أيوب البطليوسي البلوي النحوي (ت ٤٦٤ هـ)

٢ - العالم اللغوي يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري ، أبو الحجاج الأعلم (ت ٤٧٦ هـ) .

٣ - محمد بن إبراهيم بن محمد الحضرمي (ت ٦٠٩ هـ) صاحب الشرح المسمَّى «مُشْكل إعراب الأشعار الستة الجاهلية» ويضم دواوين : امرىء القيس وعلقمة والنابغة وزهير وطرفة وعنترة . ومنه نسخة خطية ، الرباط أول (٣١٤) وهي التي اعتمدناها في تحقيقنا هنا . وقد استند في شرحه على نسخة الأعلم الشنتمري استناداً تاماً ، ولم يخالفه في ترتيب القصائد وعددها ، وتضم مجموعته من ديوان امرىء القيس (٢٨) قصيدة ومقطعة برواية الأصمعي ، و (٦) قصائد برواية أبي عمرو الشيباني والطوسي . ويتفرد الحضرمي بشرحه عن شروح العلماء السابقين له بأن شرح دواوين الشعراء شرحاً نحوياً محضاً ، وقلَّما يشرح معنى أو يفسر بيتاً أو يشير إلى استعارة أو مجاز ، لأنه أراد أن يتحوَّل بشرحه إلى ما

١ - العقد الثمين في شرح دواوين الشعراء الستة الجاهليين ، المقدمة ، ص ٢ - ٣ .

يُسَمَّى اليوم بالنحو الوظيفي، أو النحو التطبيقي، فاختار أعلى نماذج الشعر القديم قيمة تاريخية وفنية، وأول عصور الاحتجاج النحوي واللغوي، وهو العصر الجاهلي، وجعلها نماذج تطبيقية للقواعد النحوية التي استنبطها النحاة وكانت غايته الأَساسية تعليمية، وقد أشار إلى هذه الغاية في مقدمة شرحه، قال: «سألني أحد الطلبة أن أجمع تأليفاً يحتوي على مشكل إعراب الأشعار الستة الجاهلية، ليكون لمن شدا تذكرة، ولكل مبتدىء تبصرة..».

واختار من القصائد نماذج خاصة، أو قل: تلك النماذج التي تحتوي على مشكلات في إعرابها، ومبدأ انتخاب الأبيات جعله يتجاوز أحياناً عن كثير من الأبيات التي شرحها الأعلم الشنتمري في نسخته ومن هنا وجدنا صعوبة كبيرة في البحث عن السَّند الذي اتَّكأ عليه الحضرمي في شرحه لأنه كان يُغْفل أبياتاً لم يجد فيها مشكلات تحتاج إلى بحث.

والبحث في الأبيات المشكلة الإعراب لم يكن موضوعاً جديداً ابتكره الحضرمي، فقد أَلَّف في هذا الفن عدد من العلماء وسمَّوا مجموع الأشعار من هذا النوع: أبيات المعاني، أو معاني الشعر[1] وألف الفارقي، أبو نصر الحسن ابن أسد (ت ٤٨٧ هـ) كتاب: الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب[2] ولابن الأنباري رسالة «الإغراب في جدل الإعراب»[3].

---

١ - عرض البغدادي في مقدمة الخزانة إلى الكتب التي اعتمد عليها في تفسير أبيات المعاني المشكلة، فذكر أبيات المعاني للأخفش المجاشعي، وابن قتيبة، وابن السيد البطليوسي وغيرهم. خزانة الأدب، ج١ ص٣١.

٢ - بتحقيق: سعيد الأفغاني، جامعة بنغازي ١٩٧٤م.

٣ - رسالتان لابن الأنباري مطبعة الجامعة السورية ١٣٧٧ هـ.

غير أن الحضرمي يتميّز عمّن سبقه في أنه تناول دواوين ستة شعراء ، شرح مشكلاتها ، ولم يتناول أبياتاً مفردة كما فعل غيره .

توثيق نسبة الكتاب :

نسب بروكلمان[1] هذا الكتاب إلى ابن خروف النحوي ، أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحضرمي الإشبيلي الأندلسي[2] (ت ٦٠٩ هـ) وهو إمام معروف في علم العربية ، كان محققاً مدققاً مشاركاً في علم الأصول ، حافظاً للقراءات ، عارفاً بعلم الكلام ، كثير العناية بالردّ على الناس ، ومن شيوخه ابن طاهر وابن ملكون . وقد خلط بعض المؤرخين بين ابن خروف النحوي وبين ابن خروف الشاعر ، علي بن محمد القرطبي (ت ٦٠٤ هـ) ونبه إلى هذا الخلط ابن خلكان[3] .

ويهمّنا هنا الخَلْط الذي نشأ في هذا المخطوط بالذات ، فقد جاء في غلافه ما يخالف متنهُ ، فوهم بروكلمان ومفهرسو المخطوطات ، استناداً إلى صفحة الغلاف ، فنَسبوا هذا الكتاب إلى ابن خروف الحضرمي ، ولعلّ من أسباب هذا الوهم :

---

١ - تاريخ الأدب العربي ج ١ ص ٨٨ .
٢ - انظر ترجمته في : معجم الأدباء ج ١٥ ص ٧٥ ، وفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٣٥ ، الذيل والتكملة ج٥ ص ٣١٩ . فوات الوفيات ج ٣ ص ٨٥ ، الوفيات لابن قنفذ ص ٣٠٤ البداية والنهاية ج ١٣ ص ٥٣ الإحاطة في أخبار غرناطة ج ٤ ص ١٠٨ ، نفح الطيب ج ٣ ص ١٨٤ ، كشف الظنون ص ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ١٤٢٧ ، هدية العارفين ج ١ ص ٧٠٤ .
٣ - وفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٣٥ .

١ - أن غلاف المخطوط مكتوب عليه : شرح ابن خروف على ديوان الشعراء الست ، وهم امرؤ القيس . . . إلخ .

٢ - مادة الكتاب نحوية صرفة ، وابن خروف من أشهر المغاربة في هذا العلم ، فقد شرح كتاب سيبويه وشرح جمل الزجاجي ، وشرح جمل الجرجاني[1] .

٣ - الصفحة الأولى تنص صراحة أن مؤلف الكتاب : محمد بن إبراهيم بن محمد الحضرمي . وقام بروكلمان بالتوفيق بين الغلاف ونص المقدمة فنسبه إلى «محمد بن إبراهيم بن محمد بن خروف الحضرمي» (ت ٦٠٩هـ / ١٢١٢م) [2] مع أن ابن خروف الحضرمي اسمه علي بن محمد ابن علي .

٤ - أن المؤلف الحقيقي حضرمي ، وكذلك ابن خروف .

٥ - كلا الرجلين مات في (صفر) سنة ٦٠٩ هـ

٦ - كلا الرجلين يُعنى بآراء سيبويه عناية بالغة ، فقد شرح ابن خروف كتاب سيبويه وكان يعتد بآرائه ويرفض ما يخالفها ، والحضرمي لا يكاد يخرج عن آراء سيبويه أيضاً .

٧ - أن مؤلف هذا الكتاب مغمور ولم يترجم له من العلماء سوى ابن الأبار في تكملة الصلة[3] قال : محمد بن إبراهيم بن محمد الحضرمي ، فاضل ،

---

١ - وفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٣٥ ، فوات الوفيات ج ٣ ص ٨٤ ، الوفيات لابن قنفذ ص ٣٠٤ .

٢ - تاريخ الأدب العربي ج١ ص ٨٨ .

٣ - تكملة الصلة ، ص ٣٠٠ - ٣٠١ .

عارف بالرجال ، مشارك بالعربية واللغة ، من أهل «اليسانة» من عمل «قرطبة» . روى عن أبي القاسم ابن بشكوال ، وصحب أبا محمد القرطبي وأخذ عنه ، وولي القضاء ، واستشهد في وقيعة «العقاب» في منتصف صفر سنة ٦٠٩ هـ من آثاره : الدرة الوسطى في السلك المنظوم في رجال الموطأ .

ويُفهم من مقدمة كتابه هذا أنه كان يشتغل بالتدريس أيضاً .

٨ - أن صفحة الغلاف مكتوبة بخط مشابه لخط المتن ، مع أن الفرق بين الخطين واضح عند المتخصصين في علم الخطوط ، وفي صفحة الغلاف سقط بيِّن قال : شرح ابن خروف على ديوان الشعراء الست ، وهم : امرؤ القيس . . والنابغة . . وعلقمة . . . وطرفة . . . وعنترة . . . وأسقط اسم : «زهير بن أبي سلمى» مع أن شرح ديوانه من أكبر الشروح .

٩ - عنوان الكتاب في صفحة الغلاف ، مختلف عنه في مقدمة الكتاب ، ففي الغلاف : «شرح ابن خروف على ديوان الشعراء الست» وعنوانه في مقدمة الشارح : «مشكل إعراب الأشعار الستة الجاهلية» ولم يلحظ هذا الاختلاف بروكلمان أو غيره .

١٠ - لم يذكر المترجمون جميعاً أن لابن خروف كتاباً في مشكل إعراب الأشعار الستة أو شرحاً لها .

ورأيت قطعاً للشكّ ، وزيادة في الاطمئنان أن أعود إلى آراء ابن خروف النحوي لمقارنتها بآراء الحضرمي ، فثبت لدي بما لا يدع مجالاً للشك أن

الكتاب لا يَمُتُّ إلى ابن خروف بأي صلة . وزيادة في إيضاح ذلك أورد هنا الخلافات بين ابن خروف وبين الحضرمي :

١ - يرى ابن خروف أن «ماذا» اسم موصول بمعنى الذي[1] ، ويرى الحضرمي أن «ما» في موضع رفع بالابتداء و«ذا» خبره .

٢ - ابن خروف لا يُقَدِّر متعلقاً للظرف الواقع خبراً[2] ، والحضرمي يقدر دائماً متعلقاً في الظرف يقول : إن كل حرف جر أو ظرفاً وقع خبراً أو صفة أو صلة أو حالاً فإنه يتعلق أبداً بمحذوف .

٣ - يرى ابن خروف أن جملة الأمر مضمَّنة معنى الشرط[3] بينما يرى الحضرمي أن قوله : (قفانبك) ، نبك : مجزوم على جواب الأمر ، أو جواب شرط محذوف دل عليه الأمر .

٤ - يرى ابن خروف أن (ما) حرف باتفاق[4] ، بينما يرى الحضرمي أن (ما) في «فاصدع بما تُؤْمر» مصدرية .

٥ - يرى ابن خروف أن المخصوص بالمدح والذم مبتدأ ، خبره ما قبله[5] ، في حين لم يشر الحضرمي إلى هذا عندما شرح (نعم) و (بئس) .

٦ - يرى ابن خروف أن عامل النصب في الظرف الواقع خبراً ، هو المبتدأ[6] ، ولم يشر الحضرمي إلى ذلك .

---

١ - المغني ج ١ ص ٣٠١ .
٢ - همع الهوامع ج ٢ ص ١٠٨ .
٣ - مغني اللبيب ص ٨٤٧ ، والبحر المحيط ج ٢ ص ١٧٥ .
٤ - التأويل النحوي في القران الكريم ، ص ١٩٨ .
٥ - المغني ، ص ٦٦٧ ، وشرح الكافية ج٢ ص ٣١٨ .
٦ - المغني ص ٤٣٣ .

٧ - يعد ابن خروف الحديث النبوي مصدراً مهماً من مصادر استنباط القواعد النحوية إلى الحد الذي أصبح محل نقد «ابن الضائع» في شرح الجمل، يقـول[1]. «وابن خروف يستشهد بالحديث كثيراً، فإن كان على معنى الاستظهار والتبرّك بما رُوي عنه صلى الله عليه وسلم، فحسن وإن كان يرى أن مَنْ قبله أغفل شيئاً يجب استدراكه فليس كما رأى». في حين يغفل الحضرمي الحديث النبوي إغفالاً تاماً ويكاد لايعتد به.

منهج الحضرمي

١ - حدَّد الحضرمي غايته من تأليف هذا الكتاب، قال في المقدمة: سألني أحد الطلبة أن أجمع تأليفاً يحتوي على «مشكل إعراب الأشعار الستة الجاهلية» ليكون لمن شدا تذكرة، ولكل مبتدىء تبصرة...».

فالهدف تعليمي مَحْض؛ لذلك كان منهجه يتلمَّس المشكلات في ديوان الشاعر ويحاول حلّها معتمداً على آراء النحاة السابقين له، ثم يتلوها برأيه الخاص.

٢ - يحاول الحضرمي أن يقف عند الظاهرة النحوية أو اللغوية ذاكراً ما قيل فيها من آراء.

٣ - يذكر الوجوه الإعرابية للكلمة التي يراها مشكلة في سياقها، معتمداً في ذلك على المعنى معللاً رأيه تعليلاً ينم عن عقلية نحوية ولغوية بصيرة.

٤ - يهتم الحضرمي اهتماماً بالغاً بإعراب الجمل، وموقعها من السياق.

---

١ - الاقتراح في أصول النحو، ص ١٨، والخزانة ج ١ ص ٥.

٥ - يعنى الحضرمي بنظرية العامل ، ولا غرو في ذلك ، فالمغاربة عموماً قد اهتموا بهذه النظرية وأولوها عنايتهم .

٦ - يعتدّ الحضرمي بآراء سيبويه ، ولا يخرج عن رأيه ويتشدد في تأييده .

٧ - يعنى الحضرمي بالقضايا الصرفية ويحلّلها تحليلاً منطقياً ، معتمداً على آراء من سبقه .

٨ - يهتم الحضرمي بروايات الأشعار المختلفة ، وقد اعتمد أصلاً على رواية الأصمعي لديوان امرىء القيس ، ومع ذلك نراه يذكر أحياناً رواية الطوسي ، أو رواية أبي حاتم ، أو رواية أبي عمرو الشيباني ، ويحاول إعراب الكلمة في رواياتها المتعددة .

٩ - يرجح الحضرمي رأياً على رأي ، وقد ينفرد برأي مغايرٍ ، فمثلاً يقول : (ما) مع ما بعدها بتأويل المصدر ، أي بعد نوم أهلها ، ومنهم من يجعلها زائدة والأول أحسن .

أو يقول : والأول أقوى ، وفي موضع آخر يقول وما قدمت ذكره أحسن أو يقول : وهذا ليس بشيء أو : وذلك غلط أو : وهو الجيد ، أو : والنصب أوجه أو : وفي هذا ضعف أو : إلاّ أنّ الرفع أحسن .

١٠ - يعتمد في إعرابه على التقدير كثيراً .

١١ - لا نستطيع أن نجزم بأن مذهب الحضرمي بصري ، على الرغم من أنه يؤيد مذهب البصريين ، بخاصة سيبويه ، ففي أحيان كثيرة يخالف آراءهم ، وهو في هذا كغيره من الأندلسيين الذين تأثروا بالمذهب الكوفي ثم مالوا إلى المذهب البصري ، وجمعوا غالباً بين المدرستين .

١٢ - لم يكن الحضرمي دقيقاً دائماً في عزو الأقوال إلى أصحابها ، فمثلاً يقول : «والثريا في (إذا ما الثريا) عند البصريين مرتفعة بفعل مضمر دل عليه الظاهر ، وعند الكوفيين رفع بالابتداء» وحقيقة الأمر أن البصريين يرون أن «الثريا» ترتفع بالفعل المضمر وجوباً ، وعند الكوفيين هي فاعل بالفعل الموجود الذي تقدم عليه ، وعند الأخفش من البصريين هي مرفوعة بالابتداء[١] .

النسخة الخطية وتحقيق النص :

رأينا أن نُصَّدر كتاب الحضرمي «مشكل إعراب الأشعار الستة الجاهلية» في ستة أجزاء منفصلة ، الجزء الأول يحتوي ديوان امرىء القيس بن حجر ، والثاني ديوان علقمة الفحل . . .وهكذا واعتمدنا النسخة الخطية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط (أول ٣١٤) ، وعنها نسخة مصورة في مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية ، وهي نسخة فريدة أشار اليها بروكلمان برقم مختلف هو الرباط (أول) رقم ٤١٣ ، ولم يسفر تنقيبنا عن نسخة أخرى عن نتيجة ، لذلك اضطررنا للاعتماد عليها واتخذناها أصلاً للتحقيق وهي نسخة واضحة الخط جميلة ، مكتوبة بخط مغربي متأخِّر في نحو واحد وعشرين سطراً في الصفحة الواحدة ، ويحتوي السطر على نحو من خمس عشرة كلمة ، في نحو خمس صفحات ومائة صفحة مزدوجة .

وفي نهاية المخطوط ذكر اسم الناسخ وتاريخ النسخ ،قال : انتهى على يد كاتبه عبد السلام بن العلامة سيدي العربي الذرهوني رحمه الله . . .

وكان الفراغ من تعليق هذا الكتاب صبيحة يوم الجمعة أواخر جمادى

١ - انظر : معاني القرآن للأخفش ج٢ ص ٥٣٤ ، وهمع الهوامع ج١ ص ١٥٩ .

الأولى عام ١٢٧٣ . وهي نسخة جميلة قليلة السقط واضحة ، تخلو من البياض والسّهو ، ولم تصل إليها الرطوبة أو الأرضة .

هذا عن النسخة الخطية التي بين أيدينا ، أمّا تحقيق النص فقد حُقِّق الجزءُ الأولُ منه ، وهو تحت الطبع ، أمّا الجزءُ الثاني فهو الذي بين أيدينا ، وقد سلكت في تحقيقه على نحو مشابه للقسم الأول على النحو التالي :

١ - أسقط الشارح نص ديوان الشاعر ، وأثبت أوائل الأبيات المشكلة التي يريد إعرابها ، لذلك اضطررت إلى كتابة النص الشعري كاملاً ، حتى تتضح صورة ما يتحدث عنه . وقد اعتمدت في ذلك على ديوان علقمة بتحقيق لطفي الصقال ودرّية الخطيب .

٢ - قابلت الرواية التي اعتمدها الشارح بروايات العلماء الآخرين كابن النحاس وابن الأنباري والطوسي .

٣ - قابلت آراءه بآراء النحاة وعلماء العربية موضحاً أوجه الاتفاق والاختلاف .

٤ - وثقت المصادر التي رجع إليها الحضرمي وعزوت الأقوال إلى أصحابها .

٥ - خرّجت الآيات الكريمة والشواهد الشعرية والشروح ، وعزوت مالم ينسب إلى قائله .

٦ - حاولت قراءة النص قراءة قويمة ، وضبطته ضبطاً تاماً ، وصحّحت ما وقع فيه الناسخ من سهو أو وهم .

٧ - ألحقت بهذا الشرح ملحقاً بشواهد شعر علقمة الفحل في كتب النحو واللغة .

٨ - وضعت لهذا القسم كشافاً يحتوي على :

الآيات الكريمة والحديث ، والشواهد الشعرية ، والأعلام ، وقصائد الديوان ، ومصادر التحقيق ومراجعه .

الحمد لله وحده

شرح ابن خروف على ديوان الشعراء الستة

وهم امرؤ القيس بن حجر وأبو أمامة النابغة الذبياني

وعلقمة بن عبدة بن النعمان وطرفة بن العبد وعنترة

صورة طبق الأصل عن صفحة الغلاف

(ي)

صورة طبق الاصل عن الصفحة الاخيرة من المخطوط

بحمد الله رب العالمين والصلاة [illegible] خاتم النبيين
ورضي عن صحابته أجمعين وعن [illegible] والتابعين
لهم بإحسان إلى يوم الدين. قال [illegible] الرحيم [illegible] الله
تعالى عنه سألني أمر الخليفة أن أجمع [illegible] إعراب أشعار
الستة الجاهلية ليكون [illegible] فعلت الله
تعالى لوجهه وعصم من الخطأ [illegible] فالمولى [illegible]
[illegible]
اسم [illegible] والخنع في اللغة الرملة
المنصبة [illegible] الوابل ويقال [illegible] والقيس
في اللغة الشدة [illegible] والقيس اسم
صنم وكنيته أبو وهب وقيل أبو الحارث ويقال [illegible] وبرأت
[illegible] ربيعة بن الحارث بن [illegible] أخت
كليب ومهلهل [illegible] أن يكون خاطب اثنين [illegible]
وأن يكون خاطب واحدا وثنى لأنه أراد تكرير الفعل [illegible] التأكيد
[illegible] ليدل على تكرير الفعل والعرب تفعل [illegible] العرب

صورة طبق الأصل عن الصفحة الأولى من المخطوطة

الظالمون، ان اعتداك جملة من صفة شيء وهو في هذا المال من اراك ولكن متعلق
بخبر محذوف اي منزل الشرك، ان لكن بمعنى لكن والنون من لكن للكلاب

شعر علقمة

هو علقمة بن عبدة بن النعمان بن قيس وعبدة بفتح الباء والعبدة طلاية الطيب
وليس في العرب عبدة بسكون الباء الا عبدة بن الطيب فقوله طحا بك قلب في
الحسان اراد في حب الحسان اي في طلب الحسان فحذف والعامل في المجرورين
والظرفين طحا وتكلفني ليلى ان تكلفني الرنة منها او تبعد الى القرب منها
والرنة والمفعول محذوف وقال عاصم ثم يكلفني قلبي او حبها فليلى مفعولة
ثانية وقد شط وليها جملة في موضع الحال وقد تعسر خبر مبتدا مضمر اي هي متعسرة
وقد فيه مبتدا وبيننا في موضع الخبر وعلى متعلقة بمحذوف او رفع كائن على
بابها ما نمر ان تزار وفلا تعتري الا قمرون فاعلى ان ان شغلتك بالهاو [illegible]
في معنى فاعل كعليم في معنى عالم وشهيد بمعنى شاهد [illegible] جملة يجوز ان
تكون في موضع الصفة لعارض وان تكون حالا وفي موضع الصفة او الحال على غير
[illegible] منصوب على الظرف وتضم جيمه وتكسر [illegible]
[illegible] ما استفهام في موضع رفع بالابتداء وان خبره ويجوز ان تكون ان مبتدا
وما الخبر وفي الكلام معنى الانكار والمعاتبة والتوبيخ وام ما ذكر [illegible] منها
منقطعة بمعنى بل وام على ضربين متصلة ومنقطعة فالمتصلة هي التي ما قبلها
مع ما بعدها كلام واحد وما قبلها معتمد على همزة الاستفهام وهي المعادلة
التي يعم عنها باي ويجاب باحد الشيئين المعادل بينهما فان سقطت احد الشيئين
فهي المنقطعة التي بمعنى بل وهمزة الاستفهام وجوابها كجواب ازيد عندك
ام عمرو وهو نعم او لا وما ذكر مبتدا وخبر بمنزلة ما انت ويجوز ان يكون ما الخبر

صورة طبق الاصل عن الصفحة الاولى من ديوان علقمه الفحـــــل

هو إلا ولا يجوز أن يعمل فيه معلق بنحو الظلام لتعريه بحرف الجر ولا تتعدى بحرف الجر
لا يجوز إضمار ما تقدم إليه من إضمار حرف الجر وهذا من معناه كالكافية في قوله تعالى
والظالمين أعد لهم عذابا أليما أن تقديره ويعذب الظالمين ودل على جواب الشرط
ما قبله وقد يجوز أن يقع هو إلا ابتداء وما بعده خبر وتلك أن القسم لهيئة الأسماء
مجازا واتساعا وفي القرآن وإن أحد من المشركين استجارك وإن طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا وفي الكلام إن الله أمكنني من فلان فقتلته وقد أتى جملة في موضع الحال من الشرط
وكذب الشرط موضع الكلام نصب أو رفع [illegible] موضع مصدر محذوف أي إلا فناء
كاملا [illegible] الضب [illegible] جملة موضعها نصب على الحال على تقدير قد المعرفة
للماضي من الحال أي مبنيا فقوله [illegible] أي [illegible]
[illegible] بفعل مضمر أو مبتدأ وخبر في سافته المغاربي ودل على جواب إذا
ما قبله أي ثبتت به أو [illegible] الحال من الضمير [illegible]
جملة موضعها نصب على الحال وأمسى تامة ويجوز أن تكون ناقصة والجملة خبر
ورجع إلا خبار [illegible] الحال من الضمير المخفوض بحرف [illegible] مبتدأ وخبر قبله
في المجرور متعلقة بمحذوف وهو الذي يعمل فيه والجملة مستأنفة [illegible]
[illegible] جملة في موضع الحال [illegible] معمولة بأصبح أي أبدا كلاوية بحرف
الموصوف [illegible] مع الفعل [illegible] الصدر [illegible] الباء
متعلقة بتبادر

تتمة [illegible]

قوله [illegible] أراد [illegible] معوض من [illegible] وقيل أراد
[illegible] بحذف [illegible] من للتبعيض والزمنة لا تكون
بعض [illegible] وإنما تكون الزمنة [illegible] ليس باستعمال ومثله

صورة طبق الأصل عن الصفحة الأخيرة من المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

شعر علقمة

هو عَلْقَمَةُ بن عبدة بن النعمان بن قيس[1] وعَبَدَة بفتح الباء . والعبدة : صلاية الطيب[2] . وليس في العرب عَبْدَة بسكون الباء إلاّ عَبْدَة بن الطبيب .

- ١ -

قال علقمة :

«طَحَا بِكَ قَلْبٌ في الحسان طَرُوب   بُعَيْد الشَّباب عَصْرَ حَانَ مَشيبُ»

قوله «طَحَا بك قلب في الحسان» أراد في حُبِّ الحِسَان ، أي في طلب الحسان ، بحذف[3] . والعامل في المجرورين والظرفين (طحا) .

١ - علقمة بن عبدة شاعر جاهلي من الطبقة الأولى معاصر لامرىء القيس يُلَقَّبُ بالفحل . انظر ترجمته : الشعر والشعراء - ٢١٨/١ . طبقات فحول الشعراء ١١٥ ، الأغاني - ١٢٢/١٥ العمدة ٨٤/١ ، ديوانه ص٥ .

٢ - قال ابن منظور في اللسان : والعبدة صلاءة الطيب / مادة (عبد) جـ ٣ ص ٢٧٦ طبعة صادر .

٣ - قال ابن جني في الخصائص : وقد حذف المضاف وذلك كثير واسع ، وكان أبو الحسن لا يرى القياس عليه نحو قول الله سبحانه (ولكنَّ البِرَّ مَنْ اتقَّى) أي بِرُّمَنْ اتقى . وإن شئت كان تقديره «ولكن ذا البر من اتقى» . والأول أجود . لأن حذف المضاف ضرب من الاتساع . والخبر أولى بذلك من المبتدأ . . ومن قوله عز اسمه : (واسأل القريةَ) أي أهلها . وقد حذف المضاف مكرراً نحو قوله تعالى : (فقبضتُ قَبْضَةً من أثر الرسول) . أي من تراب أثر حافر فرس الرسول ومثله مسألة الكتاب : أنت مني فرسخان . أي ذو مسافة فرسخين الخصائص ٣٦٢/٢ الكتاب ٢٠٦/١ .

«تُكَلِّفني لَيْلَى وقَدْ شَطَّ وليها وعَادت عَوَادٍ بيننا وخُطُوبُ»

وتكلفني ليلى : أي تكلفني الدنو منها . أي تدعوني إلى القرب منها والدنو . فالمفعول محذوف[1] . وقال عاصم[2] : تقديره : تكلفني قلبي أي حبها . فليلى مفعولة ثانية .

«وقد شَطَّ وليها «جملة في موضع الحال» .

«مُنَعَّمَةٌ لا يُسْتَطَاعُ كلامُها علـى بابها مِـنْ أنْ تُزَار رَقيبُ»

و«منعمة» خبر مبتدأ مضمر ، أي هي منعمة . ورقيب مبتدأ و «على بابها» في موضع الخبر ، فعلى متعلقة بمحذوف ، أي رقيب كائن على بابها مانع من أنْ تُزَار .[3]

«فلا تَعدلي بيني وبين مُغَمَّرٍ سَقَتْكِ روايا المُزن حيثُ تَصوبُ»

و «فلا تعدلي» لا : نهي .

١ – وقد حذف المفعول به نحو قوله تعالى : وأُوتيت من كل شيء . أي أُوتيت منه شيئاً .
وعليه قوله تعالى : (فَغشاها ما غشى) أي غشاها إياه . فحذف المفعولين جميعاً وقال الحطيئة :
منعمة تصون إليك منها كصونك من رداء شرعبي .
أي تصون الحديث منها . وله نظائر . وهذا كثير في كلام العرب انظر الخصائص ابن جنى ٣٧٢/٢ .

٢ – انظر قول عاصم في ص ٥٣٤ من شرح الأشعار الستة لأبي بكر عاصم البطليوسي ، حققه ناصيف عواد ، وزارة الإعلام ، العراق ، ١٩٧٩ .

٣ – يكون خبر المبتدأ ظرفاً مكانياً وزمانياً . وحكم حرف الجر ذلك الحكم . تقول (زيد وراءك . والقتال أمامك والرحيل غداً . وزيد بالباب . والصلح بالبصرة . واعلم أن هذا فرع .وأصله أن يكون اسم الفاعل خبر المبتدأ ، لأن المفرد إذا كان خبر المبتدأ لزم أن يكون هو المبتدأ . والوراء والجهة ليستا زيداً . فعلمت أن الأصل غير المذكور فالأصل زيد ثابت أو مستقر . أو حاصل . وما أشبه ذلك) .
شرح اللمع جـ ١ ص ٣٧ تحقيق د . فائز فارس ط١ الكويت ١٩٨٤ وانظر همع الهوامع ٩٨/١ .

«سَقاكَ يمانٍ ذو حَبيٍّ وعــارِضٍ تروحُ بــه جُنْحَ العَشِيِّ جَنوبُ»

و«سقاك يمان» أي سحاب يمان . و«حبي» في معنى فاعل ، كعليم في معنى عالم ، وشهيد بمعنى شاهد[1] .

و«تروح به» جملة يجوز أنْ تكون في موضع الصفة لعارض . وأنْ تكون حالاً . وقد جرت الصفة والحال على غير من هي له . و«به» منصوب على الظرف . وتُضَمُّ جيْمُ (جُنْح) وتُكْسَرُ[2] .

«وما أنت أم ما ذِكرُهَا رَبَعيَّةً يُخَطُّ لها من ثَرْمَدَاء قَليبُ»

«وما أنتَ أم ما ذِكرها ربعية» : ما : استفهام في موضع رفع بالابتداء ، وأنت خبره . ويجوز أنْ تكون أنت مبتدأ ، وما : الخبر . وفي الكلام معنى الإنكار والمعاتبة والتوبيخ . و«أم ما ذكرها» أم : هنا منقطعة ، بمعنى بَلْ[3] . وأَم

---

١ - فَعيل : إحدى صيغ المبالغة المحوّلة من اسم الفاعل . وهي فعال ، ومفعال وفعول وفَعيل وفعل . . . انظر شذور الذهب - ابن هشام ص ٣١٢ و ٤٦٨ مطبعة محمد علي صبيح القاهرة ١٩٦٦ وقال الزركشي : أمّا الفَعيْل : فعند النحاة أنه من صيغ المبالغة والتكرار وذلك نحو عليم . قدير . . ./ البرهان ٢/٥١٠ وانظر كذلك : الزوائد في الصيغ في اللغة العربية (في الأسماء) د . زين الخويسكي دار المعرفة الجامعية - الاسكندرية ١٩٨٥ وانظر ديوان علقمة ص ٣٥ .

٢ - وجُنح الليل وجنحه : جانبه . وقيل أوله . وقيل قطعة منه نحو النصف . وجُنْح الظلام وجِنْحُهُ . لغتان . اللسان / مادة جَنَحَ ١/٤٢٨ .

٣ - وتكون أم قطعاً يقدر ببل مع الهمزة وذلك نحو قولك أزيد عندك أم عمرو؟ والمعنى بل أعندك عمرو ومنه قوله تعالى : (أم يقولون افتراه) (يونس ٣٨) والتقدير بل يقولون افتراه . وقد يأتي في الخبر (أي أم) وذلك نحو قول العرب : إنّها لأبل أم شاء . وذلك أنّهُ رأى أشباحاً فقال : إنّها لأبل متيقناً . ثم بان لَهُ أنّها ليست بإبلٍ . فَأَضْرَبَ عن ذلك فقال : (أم شاءٌ) على معنى (بل) هي شاء .

انظر : معاني الحروف - ابو الحسن الرماني - ت د . عبد الفتاح شلبي دار نهضة مصر . القاهرة . ص ٧٠ وذكر هذا المعنى نفسه الهروي في كتابه الأزهية في علم الحروف ت عبد المعين الملوحي دمشق ١٩٧١ ص ١٣٥ .

على ضربين[1] : متصلة ومنقطعة . فالمتصلة هي التي ما قبلها مع ما بعدها كلام واحد . وما قبلها معتمد على همزة الاستفهام . وهي المعادلة التي يعبر عنها بأي ، ويجاب بأحد الشيئين المعادل بينهما . فإن سَقَطَ أَحَدُ الشيئين فهي المنقطعة التي بمعنى بل . وهمزة الاستفهام وجوابها كجواب : أزيد عندك أم عمرو؟ وهو نعم أو لا .

و«ماذكرها» مبتدأ وخبر بمنزلة ما أنت؟ ويجوز أنْ يكون «ما»الخبر مقدماً . وربعية تمييز . ويجوز أنْ يكون بدلاً من ضمير ما على الموضع .

«إذا شَابَ رأسُ المَرءِ أو قَلَّ مَالُهُ   فليس له من وُدِّهِنَّ نَصِيْبُ»

و«إذا شاب» العامل في إذا : ليس في من زاد الفاء[2] وقد يعمل ما بعد

١ - انظر مغني اللبيب / لابن هشام ٤١/١ - ٤٨ . وانظر كذلك الأشباه والنظائر للسيوطي . ج٢ ص ٢٥٨ حيث يقول : الفرق بين أم المتصلة والمنقطعة من سبعة أوجه فالمتصلة تقدر بأي . . الخ .
وذكر الهروي أنّ لأم ستة مواضع أحدها : أن تكون عطفاً بعد ألف الاستفهام كقولك أقام زيد أم عمرو والثاني بعد ألف التسوية كقولك : سواء عَلَيَّ أزيدٌ في الدار أم عمرو والثالث : تكون بمعنى بل وتسمى المنقطعة بما قبلها وما بعدها قائم بنفسه غير متعلق بما قبله وذلك قولك : هل زيد عندك أم عمرو؟ فأم هنا إضراب عن الأول بمعنى بل . والرابع أن تكون بمعنى ألف الاستفهام كقولك أم تريد أن تخرج؟ والخامس : أن تكون زائدة كما قال ساعدة بن جؤية :
يا ليت شعري ولا منجى من الهرم   أم هل على العيش بعد الشيب من ندم
والسادس : تكون بدلاً من الألف واللام في بعض اللغات : تقول أهل اليمن : رأيتُ أم رجل . الأزهية : ص ١٣١ - ١٤٢ .

٢ - وأما زيادة الفاء فنحو قوله تعالى :
(قل إنَّ الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم) (الجمعة : ٨)
والمعني : أن الموت الذي تفرون منه إنه ملاقيكم . لأن الكلام لا وجه للجزاء فيه . لأن الموت فروا منه أو لم يفروا يلاقيهم . هذا هو الظاهر . . . ومما جاءت فيه زائدة قول النمر ابن تولب :
لا تجزعي إن منفساً أهلكته   وإذا هلكت فعند ذلك فاجزعي
لا بد أنْ تكون إحدى الفاءين زائدة لأن إذا إنَّما تقتضي جواباً واحداً . معاني الحروف : الرماني ص ٤٦

الـــفاء فيما قبـــلها[1] ، أو «شـــاب» إذا جَعَلْتَهَا شرطيـــةً .

«فَدَعْهَا وَسلِّ الهَمَّ عَنْكَ بجسرةٍ كَهَمِّكَ فيها بالرّداف خبيبُ»

و«كـهمك» كـما تريد أو كإرادتك . فـموضع الكاف جر على الصـفـة «لجسرة» ، ويمكن أنْ يكون موضـعه رفعاً على خبر مبتدأ محذوف . أي هي كهمك أي مثل ما تريده وتهتم به . و«خبيب» مبتدأ وخبره في المجرور قبله . وموضع هذه الجملة يحتمل أنْ يكون جراً على الصفة لجسرة ، وأن يكون نصباً على الحال . لأنَّ الناقة قد وصفت وقد بقي من المعرفة . و«الرِّداف» مصدر رادفت .

«وناجيةٍ أفنى رَكِيْبَ ضُلوعِها وحـــارِكَها تَهَجُّرٌ فَدَؤُوبُ»

و «ناجيةٍ» مردود على جسرة[2]

«تَعَفَّقَ بالأَرْطَى لها ، وأرادَهَا رجَالٌ فَبَذّتْ نَبْلَهُمْ وكليبُ»

و«تعـفق بالأرطى» يُرْوَى بِضَمِّ القـاف وفَتْحِهـا . فـالضَّمُّ على قـامت الرجال . والفتح على قام الرجال . وهو الوجه لقوله و «أرادها» و «رجال» يرتفع بـ «أرادها» وفي تعفق ضمير الرجال ، كما تقول ضربني وضربت الزيدين . ولو أعمل الأول لقال : أرادوها أو أرادتها . لأن من شرط إعمال الأول الإضمار في الثاني ، ومن شرط إعمال الثاني الإضمار في الأول والحذف[3] . ويجـوز أن

١ - لا يجوز تقديم شيء من معمولات فعل الشرط ولا فعل الجواب عليها (أي أدوات الشرط) . لأنها عندهم كأداة الاستفهام .
انظر هذه المسألة : همع الهوامع ٦١/٢ .

٢ - يقصد بالمردود هنا المعطوف وهو من المصطلحات التي يكثر المؤلف استعمالها للدلالة على المعطوف .

٣ - هذا النوع من الكلام يسميه النحاة باب التنازع : انظر تفصيل هذه المسالةفي الكتاب لسيبويه . ٧٣/١ - ٧٩ وكذلك همع الهوامع : ١٠٨/٢ - ١١٠ وشذور الذهب ٣٣٦ والمقتضب ٧٢/٤

يكون في «تعفق» ضمير الناقة . ذكره الفارسي[1] . و «كليب» مردود على رجال أي : أرادها رجال رماة ورجال ذو[2] كليب .

وفي البيت نظر من عطف الفعل على الفعل . وقد قيل الكليب[3] : جماعة الكلاب . وفي بَذّتْ ضمير البقرة .

«إلى الحارث الوهّاب أعملتُ نَاقَتِي ... لِكَلْكَلِهَا والقُصْرَيَيْن وَجِيْبُ»

و«إلى الحارث» إلى متعلقة «بأعملت» و «وجيب» مبتدأ .واللام من «لكلكلها» متعلقة بالخبر المحذوف . وموضع الجملة نصب على الحال .

«لِتُبْلغني دار امرىءٍ كان نَائِياً ... فَقَدْ قَرَّبَتْنِي مــن نداكَ قَروبُ»

ولتبلغني : تعلقت اللام بأعملت . أي أعملتها لكي تبلغني و «من نداك» خَاطَبَهُ بَعْدَ أنْ أخْبَرَ عنه بكان . ومثل هذا في الكلام كثير[4] .

---

١ - ذهب أبو علي الفارسي مذهباً إذا قال في نحو أكرمني وأكرمت عبد الله . وأكرمت وأكرمني عبد الله فتحمل الاسم المذكور بعد الفعلين على الفعل الآخر ولا تحمله على الأول لأن الثاني من الفعلين أقرب إليه . الإيضاح العضدي١/٦٥

٢ - وردت في المخطوط ذوو بواوين والصحيح بواو واحد .

٣ - يقول ابن منظور : والكليب والكالب : جماعة الكلاب . فالكليب كالعبيد وهو جمع عزيز وقال يصف مفازة :

كأنّ تجاوب أصدائها ... مكاء المكلب يدعو الكليبا

انظر اللسان . مادة كلب : ٧٢٢/١ .

٤ - العرب تخاطب الشاهد ثم تحول الخطاب إلى الغائب وذلك كقول النابغة :

يا دار مية بالعلياء فالسند ... أقوت وطال عليها سالف الأبد

فخاطب ثم قال : أقوت : وفي كتاب الله - جل ثناؤه - (حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم) (يونس : ٢٢) وقد يجعلون خطاب الغائب للشاهد : قال الهذلي :

يا ويح نفسي كان جِدَّةُ خالد ... وبياض وجهك للتراب الأعفر

فَخَبَّرَ عن خالد ثم واجه فقال : وبياض وجهك .

انظر الصاحبي في فقه اللغة : أبو الحسن أحمد بن فارس : ت مصطفى الشويمي مؤسسة بدران . بيروت ١٩٦٣ ص ٢١٥ .

«إليكَ - أَبَيْتَ اللَّعْنَ - كَانَ وجيفُها بَمُشْتبِهات هولُهُنَّ مَهيبُ»

«إليك متعلقة بخبر كان المحذوف . ويحتمل أنْ يتعلق بالوجيف . ويكون الخبر في «بمشتبهات»

«تَتَبَّعُ أَفياءَ الظِّلال عَشيَّةً على طـــــرقٍ كَأَنَّهُنَّ سُبُوبُ»

وكأنَّهن : في موضع جر على الصفة ل «طرق» أي مشبهة السيوف .

«هَدَاني إليكَ الفَرْقَدان ولاَحِبٌ لَهُ فوق أصـــــواءِ المتان عُلوبُ»

و«عُلوب» مبتدأ وخبره في «له» قبله . فاللام متعلقة بمحذوف ، وهو العامل في فوق . و الجملة في موضع الصفة لـ «لاحب» ، ويجوز أن يرتفع «علوب» على مذهب الأخفش وسيبويه ،وغيرهما بالاستقرار المحذوف التي تعلقت اللام به أي كائنة فيها علوب ومثله[1] .

١ - يقول ابن عقيل في شرح البيت التالي من الألفية :

وأخبروا بظرف أو بحرف جر ناوين معنى «كائن» أو «استقر»

تقدم أن الخبر يكون مفردا ويكون جملة . وذكر المصنف في هذا البيت أنه يكون ظرفا أو جاراً ومجروراً نحو : (زيد عندك) و (زيد في الدار) فكل منهما متعلق بمحذوف واجب الحذف . وأجاز قوم فيهم المصنف - أن يكون ذلك المحذوف اسماً أو فعلاً . نحو (كائن) أو (استقر) فإن قدرت (كائناً) كان من قبيل الخبر بالمفرد . وإن قدرت (استقر) كان من قبيل الخبر بالجملة واختلف النحويون في هذا . فذهب الأخفش إلى أنه من قبيل الخبر بالمفرد وأن كلاً منهما متعلق بمحذوف ، وذلك المحذوف اسم الفاعل . التقدير (زيد كائن عندك . أو مستقر عندك أو في الدار) وقد نسب هذا لسيبويه . وقيل : إنهما من قبيل الجملة وإن كلاً منهما متعلق بمحذوف هو (فعل) والتقدير : (زيد استقر أو يستقر عندك أو في الدار) ونسب هذا إلى جمهور البصريين وإلى سيبويه أيضا وذهب أبو بكر بن السراج أن كلاً من الظرف والمجرور قسم برأسه وليس من قبيل المفرد ولا من قبيل الجملة . نقل عنه هذا المذهب تلميذه أبو علي الفارسي في الشيرازيات .انظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك . المكتبة التجارية الكبرى بمصر - القاهرة - ١٩٦٧ تحقيق محيي الدين عبد الحميد . ص ٢١٠ وما بعدها .

«بِهَا جِيَفُ الحسرى فأمَّا عِظَامُها فَبِيضٌ وأمَّا جِلْدُها فَصلِيْبُ»

«أمــا» تفصيل ومجازاة[1] . وإنْ شِئْتَ قُلْتَ : حرف إخبار معناه الشرط .والفاء من «بيض» جوابها . «وعظامها بيض» مبتدأ وخبر . وكل ما يرتفع بعد إمَّا التي للمجازاة ، فإنَّما يرتفع بالابتداء والخبر[2] وقال : جلدها وهو يريد جلودها ، اكتفاء بعلم السامع كما قال :[3]

فِي حَلْقِكُم عَظْمٌ وقَدْ شَجِيْنَا

وقال :[4]

لم يَعْفُ رَسْمُهَا .

---

١ و ٢ - وأمَّا (أما) المفتوحة فهي حرف واحد . وهي إخبار ولا يليها إلاّ الاسم وتدخل على الابتداء وهي متضمنة معنى الجزاء ولا بدّ لها من جواب بالفاء . لأن فيها معنى الجزاء . ويرتفع ما بعدها بالابتداء . إذا لم يقع عليه فعلٌ كقولك : (أما زيد فمنطلق) زيد ابتداء ومنطلق خبره فأدخلت الفاء لجواب أما . لأن فيها معنى الجزاء .
انظر الأزهية في علم الحروف ص ١٥٢ .
ويقول الرُّماني في كتاب «معاني الحروف» أما من الحروف الهوامل ولها موضعان : أحدهما : أنْ تكون لتفصيل الجمل وذلك نحو قولك : جاءني إخوتك : فأما زيدٌ فأكرمته وأما عمروٌ فأهنته وأما جعفر فأعرضت عنه .
والثاني : أن تكون قطعاً وأخذاً في كلام مُسْتَأنف . معاني الحروف ص ١٢٩ .

٣ - هو عجز بيت للمسيب بن زيد مناة صدره :
(لا تنكروا القتل وقد سبينا) . يقول ابن منظور : أراد في حلوقكم . اللسان / مادة شجا ٤٢٣/١٤

٤ - هو بعض بيت لامرىء القيس وهو ثاني بيت في معلقته المشهورة تمامه :
فتوضحَ فالمقراة لم يَعْفُ رسْمُها لما نسجتها من جنوب وشمأل
انظر : شرح ديوان امرىء القيس : ص ١٤٣ تاليف حسن السندوبي / المكتبة الثقافية ، بيروت ١٩٨٢

فاكتفى بالواحد[1]

«فأوردتُهَا ماءً كأنَّ جِمَامَهُ   مِنَ الأَجْنِ حِنَّاءٌ مَعَاً وصبيبُ»

و«معاً» حال من «حِنَّاء» و «صبيب» وربوب «في البيت التالي» :

«وأنت امرؤٌ أفْضَتْ إليك أمَانَتِي   وَقَبْلَكَ رَبَّتْنِي ، فَضِعْتُ رُبُوبُ»

فاعل بربتني .

«فو الله لولا فارسُ الجونِ منهُمُ   لآبوا خزايا والإيابُ حبيبُ»

و«لآبوا خزايا «اللام جواب لولا» . و«خزايا» حال من الضمير في «آبوا»

«تُقَدِّمُهُ حَتَّى تَغيبَ حُجُولُهُ   وأنْتَ لبَيض الدَّارعين ضروبُ»

و«تقدمه» الهاء عائدة إلى الجون .

«مُظَاهِرِ سِربالي حَديد عليهما   عَقيلا سُيوف مِخْذَمٌ وَرَسُوبُ»

و «عقيلا سيوف» عقيلا مبتدأ والخبر في عليهما[2] «ومخذم ورسوب» بدل من «عقيلا» .

---

١ – يقول ابن فارس :

من سنن العرب مخاطبة الواحد بلفظ الجمع . فيقال للرجل العظيم : انظروا في امرىء وكان بعض أصحابنا يقول : إنّما يقال هذا للرجل العظيم يقول : نحن فعلنا .ومن سنن العرب أيضاً ذكر الواحد والمراد الجميع (كما في هذا الشاهد) كقولك للجماعة (ضيف وعدد) . قال جل ثناؤه : هؤلاء ضيفي (الحجر ٦٨) ثم يُخْرِجُكُم طفلاً (غافر ٦٧) وقال (لا نفرق بين أحد منكم) البقرة ١٣٦ ، والتفريق لا يكون إلاّ بين اثنين ويقولون : كثر الدرهم والدينار ويقولون :

فقلنا اسلموا إنا أخوكم .

ويقولون :

كُلُوا في بعض بَطْنِكُم تَعيشوا . انظر . الصاحبي في فقه اللغة ٢١١ - ٢١٣ .

٢ – أي أن الخبر محذوف متعلق بالجار والمجرور «عليهما» وهذا مذهب سيبويه والأخفش كما أسلفنا في الهامش رقم (١) ص ١٦٤ .

«فَجَالَدْتَهمْ حَتَّى اتَّقوكَ بكبشِهِم   وقد حان من شَمْسِ النَّهار غُروبُ»

«وقد حان» جملة في موضع الحال من أحد الضمائر قبلها يعمل فيها : جالد واتقى .

«تَخَشْخَشُ أبدانُ الحديدِ عليهِمُ   كَمَا خَشْخَشَتْ يَبْسَ الحصادِ جنوبُ»

«وكما خشخشت» موضع «كما» نصب على النعت لمصدر محذوف ؛ أي خشخشة مثل خشخشة . فما مع الفعل بتأويل المصدر أوكافة[1] .

و«يبس» يجوز أن يكون بمعنى يابس كما قال الآخر :[2] (ويشربن برد الماء) أي بارد .

وفي القرآن العزيز[3] : (قُلْ أرَأيتُمْ إنْ أَصْبَحَ ماؤكم غَوْراً) أي غائراً . أو أنْ

---

١ – تكون ما مع الفعل بتأويل المصدر كقولك بلغني ما صَنَعَ زيد أي بلغني صنع زيد . وما أظنها كافة في هذا الموضع : لأن المتعارف عليه أن ما مع الفعل بمعنى المصدر أو بمعنى الذي لأنها إذا كانت بمعنى المصدر لم تحتج إلى عائد يعود عليها من صلتها . وإنما هي بمنزلة أن مع الفعل في قولك بلغني أن خرج زيد ونحوه . لأنها لا تحتاج إلى عائد يعود عليها من صلتها لأنها مع الفعل بتأويل المصدر . وتكون ما كافة للعامل عن عمله وذلك في إنما وكأنما ولعلما وربما وما أشبه ذلك . وتدخل على الأسماء ولا تدخل على الأفعال . واعلم أن ما إذا كانت كافة لم يجز إلغاؤها . لأن إلغاءها يخل بالمعنى

انظر الأزهية في الحروف ص ٨١ وما بعدها .

وانظر معاني الحروف . للرماني ص ٨٩ .

٢ – هو جزء من بيت تمامه :

ويأكلن بهمى جعدة حبشية   ويشربن برد الماء في السبرات

لكنني لم أعثر له على قائل والشاهد فيه (برد) حيث استخدمه بمعنى بارد .

انظر الجزء الأول من هذا التحقيق ص ١٩٨

٣ – الملك (٣٠)

يكون جمعاً كراكب وركب وتاجر وتجر قاله الفراء[1] وهذا عند سيبويه اسم جمع[2] . وليس بجمع . وحكى الزجاج[3] : إن «يبساً» مصدر . يقال : يبس الشيء يَبْساً ويُبْساً ويبساً

«كأنَّ رجالَ الأوس تحت لَبانِه وما جَمَعَتْ جَلٌ ، معاً ، وعتيبُ»

و«جل» خبر «كأنّ» و «ما جمعت» أي جمعته بحذف الضمير الراجع . وما مردودة على اسم كأنّ . والعامل في «تحت» حال محذوفة . وقال الأعلم[4] : يقول كأن رجال الأوس عن ما جمعه من الأحياء والأتباع تحت حكمه وطاعته جل وعتيب . وجائز أن يعمل في الظرف ما في كان من معنى الفعل . وقال عاصم[5] :جَلٌ : فاعل بجمعت وخبر كأنّ محذوف تقديره : الأُسْدُ الحامية أشبالها .

«رَغَا فَوْقَهم سَقْبُ السّماءِ فداحصٌ بِشكَّتِه لم يُسْتَلبْ وسليبُ»

---

١ - قال الفرّاء : العرب تقول : مَاءٌ غَوْرٌ ، ومَاءَانِ غَوْرٌ ومياهٌ غَوْرٌ . بالتوحيد في كل شيء .
انظر : مَعَاني القرآن - لأبي زكريّا الفرّاء ، عالم الكتب ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨٠ . جـ٢ ص ١٤٥ .

٢ - انظر الكتاب جـ١ ص ٢٠٣ طبعة بولاق ١٣١٧ هـ فيرى سيبويه أنّ هذا من باب اسم الجمع .

٣ - ذكر ابن منظور هذا البيت قائلاً : وقال ابن السكيت : هو جمع يابس مثل راكب وركب . قال ابن سيده : واليَبْس واليَبْس اسمان للجميع اللسان / مادة (يبس) ، ٢٦١/٦

٤ - انظر قول الأعلم في شرح ديوان علقمة ص ٤٦ .

٥ - انظر قول عاصم في صفحة ٥٤٧ من شرح الأشعار الستة لابي بكر عاصم البطليوسي .

و(بشكّته) في موضع الحال . كما تقول : خرج زيد بثيابه . أي ومعه ثيابه . أي وثيابه عليه . أي لا بساً . ومنه قوله تعالى :[1] (تَنْبُتُ بالدُّهْنِ) في قول . ومنه قوله تعالى[2] (وَقَدْ دَخَلُوا بالكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ) أي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين . ومنه قوله تعالى :[3] (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) أي وزينته عليه . فَفِيْهَا ضميرٌ و «فَداحصٌ» [4] أي منهم داحصٌ بحذف الخبر . ولم «يُسْتَلب» جملة في موضع الصفة لداحصَ . وسليب : مردود على المعنى أي غير مسلوب و «سليب» .

«كأنَّهُمُ صَابَتْ عليهمْ سحابةٌ صَواعِقُهَا لِطَيْرِهنَّ دبيبُ»

و«صواعقها» يجوز أنْ تكون بدلاً من سحابة . بدل اشتمال . و«لطيرهن دبيب» مبتدأ وخبر في موضع نصب على الحال من صواعقها . ويجوز أن يرتفع بـ «استقر» محذوف . أي مستقراً لهن دبيب ، لأنه معتمد فقوى عمله . ويجوز أن يكون صواعقها مبتدأ . و«لطيرهن دبيب» مبتدأ وخبر في موضع رفع على خبر المبتدأ الأوّل . والجملة كلُّها في موضع الصفة لـ «سحابة» .

«فَلَمْ تَنْجُ إلاّ شَطْبَةٌ بِلجامِهَا وإلاّ طِمِرٌّ كالقناة نجيب

وإلاّ كميٌّ ذو حِفاظٍ ، كأنَّهُ بما ابتَلَّ من حدّ الظُّبات خَضِيْبُ»

---

١ - المؤمنون / ٢٠ .

٢ - المائدة / ٦١ .

٣ - القصص / ٧٩

٤ - تروى في المخطوطة بالضاد والديوان بالصاد .

و«إلا كـمـيٌّ» مـردود على «شطبـة» و «بما ابتل» «مـا» مع الفـعـل بتـأويل المصدر أي كأنَّه خصيب بابتلاله[1] .

«وفي كُلِّ حَيٍّ قَدْخَبَطْتَ بِنعمةٍ   فَحُقَّ لِشأْسٍ من نَداكَ ذَنُوبُ»

و«في كلِّ حَيٍّ» في متعلقة بـ «خبطت» .

«وما مِثْلُهُ في النَّاسِ الاّ قَبِيْلُهُ   مُسَاوٍ ، ولا دانٍ لِذاكَ قَرِيْبُ»

و«إلاّ قَبيلُهُ» يروى برفع «قبيلُهُ» ونَصْبِهِ . فالرفعُ على البدل من «مِثْل» . «على اطراح»[2] الصفة . وهو مذهب سيبويه[3] . والنصب على الاستثناء لتقدمه على صفة المستثنى فكأنَّه قَدَّم عليه نفسه . لأن النعت من تمام المنعوت ومثله : «ما جاءني أحد إلاّ أبوه خير من زيد» . وما مررت بأحد إلاّ بزيد خير من عمرو» ويجوز إلاّ أباً وإلاّ عمراً .وكذا قال الأعلم[4] . يجـوز النصب لأنَّه مستثنى قبل النعت . فكأنَّه استثنى قبل المنعوت والرفع جائز على البدل من «مثل» على اطراح النعت والاعتماد على المنعوت لأنه المخبر عنه دون النعت وخبر المبتدأ في الناس . وقال عاصم[5] : يقول : ما له في الناس مِثْلٌ يساويه في الشرف والفضل إلاّ قبيله ، فاستثنى قبيله وما مُدِحَ مَنْ ذَمَّ قبيله .

---

١ – مرّ ذكر ما المصدرية التي تؤول مع فعلها بالمصدر .

٢ – هكذا رسمها في المخطوط : (ولم دمال)

٣ – انظر كتاب سيبويه ج١ ص ٣٦٠ طبعة بولاق – ١٣١٧ هـ . يقول : هذا باب ما يكون المستثني فيه بدلاً نحو : ما أتاني أحد إلاّ زيد وما مررت بأحد إلا عمرو وما رأيت أحداً الاّ عمراً .

٤ – انظر قول الأعلم في : ديوان علقمة الفحل ، تحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب دار الكتاب العر بي – حلب ١٩٦٩ ص ٤٩ .

٥ – انظر قول عاصم ص ٥٤٩ من شرح الأشعار الستة لأبي بكر البطليوسي .

«فَلا تَحْرِمَنِّي نائلاً عن جَنَابَةٍ　　فإنّي امـــرؤٌ وَسْطَ القِبـــابِ غَرِيْبُ»

وعن جنابة : عن بمعنى «بعـــد» [1] ويحـتـمل أن يعـمل في «وسط» «غريب» أو صفة محذوفة[2]

- ٢ -

«وقال علقمة أيضاً» :

«هَلْ ما علمتَ وما استُودِعتَ مَكْتُومُ　　أم حبلُها إذْ نَأتْكَ اليوم مصرومُ»

قوله : «هل ما علمت» ما مبتدأة ومكتوم خبرها . وما : بمعنى الذي . والفعل الذي بعدها هو صلتها . أي هل الذي علمته والذي استودعته . فحذف الراجع إلى مـا[3] و«حبلها» مبتدأ . و«مصروم» خبره . وهو العامل في إذ . وأَمْ هنا للإضراب . وهي المنقطعة ، بمعنى بل ، لا المتصلة . ولا تقع إلاّ في الخبر . وقد سلبت معنى الاستفهام لأنَّ حرفين بمعنى واحد لا يجتمعانِ . فهي عاطفة جملة على جملة إلاّ أنَّ ما بعد بل مُحَقَّقٌ وما بعد أم مَشْكُوكٌ فيه .

«أمْ هَلْ كبيْرٌ بَكَى لم يَقْضِ عَبْرَتَهُ　　إثْرَ الأحِبَّة يَوْمَ البَيْنِ مَشْكُوْمُ»

و«كبير» «مبتدأ» و «مشكوم» خبره .

«لَمْ أدرِ بالبين حَتَّى أزمعوا ظَعَنَاً　　كُلُّ الجِمَالِ قُبَيْلَ الصُّبْحِ مزمومُ

رَدَّ الإمـاء جِمَالَ الحَيِّ فاحتملوا　　فكلُّها بالتَّزيدِيّاتِ مَعْكـــومُ»

١ - تكون «عن» مكان «بعد» قال العجاج : «ومنهل وردته عن منهل» أراد «بعد» منهل . ومثله قول الحارث بن عباد :

قَرِّبَا مَربط النعامة مني　　لقمت حرب وائل عن حيال

أراد بعد حيال . أراد أنّها هاجت بعد سكون . انظر الأزهية في علم الحروف - ص ٢٩٠

٢ - أيّ مُقدّرة .

٣- فصلنا القول في حذف العائد على ما في هامش (١) ص ١٦٦

و«مزموم» جملة على لفظ كل . فأفرده . وكذلك معكوم .

«عَقْلاً ورقماً تَظَلُّ الطَيْرُ تَتْبَعُهُ   كأنَّه مــن دمِ الأجوافِ مدمومُ»

«عقلاً» منصوب على التمييز أي معكوم عقلاً . كما تقول الأناء معلوماً .

و«كأنَّه من دم» جملة من صفة العقل . .

«يحملن أُترجَّة ، نَضْخُ العبيرِ بها   كأنَّ تَطْيابَها في الأنف مَشْمُومُ»

و«نَضْخُ العبير» و «كأنَّ تطيابها» جملتان من صفة «أُترجَّة» وتصغر «أُترجة» أُتريجحة . وإنْ شِئْتَ «أتريجة»[1]

«كأنَّ فَأْرَةَ مِسْكٍ فــي مَفارِقِها   للباسط المُتَعاطِيْ وهو مزكوم»

وفي «مَفَارِقِهَا» في متعلقة بخبر كأنَّ المحذوفة . أي موجودة أو كائنة و «هو مزكوم» مبتدأ وخبر في موضوع الحال من «الباسط» .

«فالعين مني كَأَن غربٌ تُحَطُّ بِهِ   دهماء حَاْرِكُهَا بالقِتْبِ مَخْزُومُ»

«وكأن غرب» من رفع غرباً فعلى خبر كأنَّ وحذف الاسم . أراد كأنَّها

---

١ - قال ابن منظور : الأترج معروف واحدته ترنجة أو أترجة قال علقمة : يحملن . . الخ البيت ، وحكى أبو زيد : ترنجة وترنج . ويقال في المثال : هو أجرأ من الماشي بِتَرْج ، لأنها مأسدة . انظر اللسان : مادة : ترج
وانظر الصحاح للجوهري مادة (ترج) .
وعلى هذا فمن لم يشدد الجيم يُصغِّرها على أُتريجَة . ومن يشدد يصغرها على أُتريجحة . .

غرب فخففها وحذَف اسمها[1] . ومن خفض فعلى زيادة «أن» أراد كغرب . ومن نصب فعلى حذف الخبر . أي كأنَّ غرباً هذه صفة عيني وأَعْمَلَهَا مُخَفَّفةً كَعَملِهَا مُثَقَّلة . وموضع الكاف رفع على خبر المبتدأ ؛ أي فالعين مِنِّي مثل غرب .

«وتُحَطُّ بِهِ» جملة في موضع الصفة «للدهماء» .

«قد عُرِّيَتْ حِقْبَةً حَتَّى اسْتَطَفَّ لَها كِترٌ كحافة كِير القَيْنِ مَلْمُومُ»

و«ملموم» من صفة كِتْر .

«كـأنَّ غِسْلَةَ خِطْمِيٍّ بِمِشْفَرِها في الخَدِّ مِنْهَا وفي اللَّحْيَيْنِ تَلْغِيْمُ»

و«تلغيم» مبتدأ أي : وعلى خدها ولحييها لَغَائمُ .

و«بمشفرها» خبر كأنَّ . فالباء متعلقة بمحذوف .

---

١ – ويجوز في أنَّ وإنَّ ولكنَّ وكأنَّ التخفيف بحذف أحد المثلين . فأمَّا (لكنّ) إذا خففت فيبطل عملها ؛ لزوال الاختصاص نحو قولك : فاقام زيد لكن عمرو قائم . وأما إنّ وكأنَّ فلا يجوز فيهما إلاّ الإعمال ؛ لبقائهما على اختصاصهما بالأسماء . إلاّ أنَّ اسمهما لا يكون الاّ ضميرَ شأنٍ محذوفاً نحو قولك : علمت أنْ زيدٌ قائمٌ . وكأنْ زيدٌ قائمٌ . . انظر المُقرب لابن عصفور جـ١ ص ١١٠ . ويقول ابن عقيل : إذا خُفِّفَتْ إنْ فالأكثر في لسان العرب إهمالها فتقول إنْ زيدٌ لقائمٌ . . . ويقل إعمالها فنقول إنْ زيداً قائم . وحكى الإعمال سيبويه والأخفش رحمهما الله . وإذا خففت المفتوحة بقيت على ما كان لها من العمل . لكن لا يكون اسمها إلاّ ضميرَ الشأن محذوفاً . وخبرها لا يكون إلاَّ جملة وإذا خففت كأنَّ نُوِيَ اسمها وأُخْبِرَ عنها بجملة اسمية نحو : كأنْ زيدٌ قائمٌ . أو جملة فعلية مُصَدَّرَة بلم . كقوله تعالى :
كأنْ لَمْ تَغْنَ بالأمس . أو مُصَدَّرَة (بقد) كقول الشاعر :
أفـــد الترحل غير أنَّ ركابنا لـمّـا تزل برحالنا وكأنْ قَدِ
شرح ابن عقيل : ٣٧٨/١ وما بعدها .
وانظر سيبويه ٢٨٢/١

«قَدْ أَدْبرَ العُرُّ عَنْهَا وَهْيَ شَامِلُها مِنْ نَاْصع القَطِران الصِّرف تَدْسِيْمُ»

«وهي شاملها» يجوز في شاملها أن يكون خبر «عُرّ» هي [1] «وتدسيم» فاعل به ؛ لأنَّ اسم الفاعل قد اعتمد بكونه خبر المبتدأ . والجملة خبر المبتدأ الأول ، والقول الأول أَجْوَدُ .

«تَسْقِيْ مَذانِبَ قَدْ زَاْلَتْ عَصِيْفَتُهَا حدورُها من أَتِـيِّ المَــاء مَطْمُومُ»

و«حدورها» مبتدأ و «مطموم» ويروى جدورها بالجيم مضمومة جمع جُدر* . منها «مطموم محمول» على واحد الجدور وتقديره : جدورها كل جدر منها مطموم .

«من ذكر سلمى وما ذكرى الأوان لها إلاّ السَّفَاهَ وظَنُّ الغَيْبِ تَرْجِيْمُ»

و«ذكر سلمى» متعلق بقوله : فالعَيْنُ مني كأنْ غربٌ «وما ذكرى الأوان» «ما» : نفي وذكرى : مبتدأ والأوان : ظرف عمل فيه ذكرى ، لأنه مصدر . ونصب السفاه على المصدر المعرف وفيه الخبر** ، والأجود رفعه على الخبر ، أي سفاهٌ مني .

«صفر الوشاحين ملء الدرع خرعبةٌ كأنَّها رَشأٌ في البيت مــلزوم»

و«صفر الوشاحين» : خبر مبتدأ محذوف .

١- (هي) هكذا وردت في المخطوط . وأظنُّها زيادة من الناسخ .

* في الديوان : حدورها بالحاء المهملة . وروايتها بالجيم ذكرها الأعلم قائلاً : ويروى جدورها . والجدور : الحواجز بين الشربات التي تحبس الماء في أصول النخل ، وردّ قوله : مطموم على واحد الجدور وتقديرها : كُلُّ جدر منها مطموم .
انظر ديوان علقمة : ص ٥٥ - ٥٦ .

** تُروى لَفْظَةُ «السفاه» في الديوان بالرفع :
انظر ديوان علقمة ص ٦٠ .

«هل تلحقنّي بأولى القوم إذ شحطوا جلذية كأتان الضحـــل علكـوم»

«تلاحظ السوط شزراً وهـــي ضامرةً كما تَوَجَّس طاوي الكشح موشوم»

و«تلاحظ» جملة يجوز أنْ تكون في موضع الصفة ل «جلذية» أو حالاً منها لأنَّ النكرة قد وُصفت و«شزراً» حال من الضمير في تلاحظ و «هي ضامرة» جملة في موضع الحال أيضاً . وكما توجس موضع الكاف نصب على النعت لمصدر محذوف ؛ أي توجس «توجساً» كما . وما مع الفعل بتأويل المصدر أي :كتوجس .

«كأنَّها خاضبٌ زُعْرٌ قَوائمُهُ أَجنى له باللوى شَرْيٌ وتَنُّوم»

وزُعْرٌ قوائمه : يجوز أنْ يكون «زُعْر» صفة «جلذية» على خاضب من صفة السبب[1] . وقوائمه فاعلة به ، وأنْ يكون «زعر» خبراً مقدماً . وقوائمه مبتدأ . و«شَرْيٌ» فاعل بأجنى .

«يظل في الحنظل الخُطبان ينقُضُه وما استَطَفَّ من التَّنُّوم مخذوم»

و«يظل» بالحنظل : أي يظل الظليمُ مـقيْمـاً في الحنظل . فَاسْمُ «يظل» مُضْمَرٌ فيها . «وفي» متعلقة بخبرها «وينقضه» جملة في موضع الحال أو يكون خبراً بعد خبر . وما استَطَفَّ : ما بمعنى الذي في موضع رفع بالابتداء ، وفي

---

١ - يقصد بصفة السبب ما هو معروف في كتب النحو بالنعت السببي كقولك (مررت برجلٍ كريمٍ أبوه) لأن النحاة حين يحدُّون النعت يقولون : النعت : التابع المكمل لمتبوعه ببيان صفةٌ من صفاته نحو : مررت برجلٍ كريمٍ أو من صفات ما تعلق به وهو سببيُّهُ - نحو : مررت برجلٍ كريمٍ أبوه . (ابن عقيل جـ٣ ص ١٩١) .

استطف ضمير فاعل يرجع إلى ما . ومخذوم : خبر ما كما تقول : ما أكلت الخبز وما جاء زيدٌ . أي الذي جاء زيد[1] .

«فُوْهٌ كشق العصا لأياً تبيّنَهُ   أسكُّ ما يَسْمَعُ الأصواتَ مَصْلُوْمُ»

و«كشق : موضع الكاف : رفع على الخبر أي فوهٌ مثل شق . ولأياً مصدر جُعِلَ حالاً : أي مبطئياً . تبينه : يجوز أن ينصب على الظرف لأنَّ تقديره : بعد بطء . وأسكُّ ما يسمع : خبر مبتدأ . أي هو أسكُّ وما : يجوز أنْ يكون في موضع خفض . أي أَسكُّ الشيء الذي يسمع الأصوات ، يعني الأذنين . والأصوات مفعولةٌ يَسْمَع . وفيه ضمير الفاعل الراجع إلى الّذي[2] . ويجوز على قول ابن الأعرابي[3] أن يكون نعتاً بمعنى ليس . أي ليس يسمع الأصوات . أي لا يخرج عليها كقول (يوحي إليها بأنقاض)[4] .

«حَتّى تذكّرَ بَيْضَاتٍ وهيّجَه   يَوْمُ رذاذٍ عليه الرِّيحُ مَغْيوم»

وعليه الريح : مبتدأ وخبر في موضع السببية ليوم . ويجوز أن يرتفع الريح بالمحذوف . ويُرْوَى عليه الريح[5] .

---

١ – تكون ما خبراً بمعنى الذي . وتلزمها الصلة كما تلزم الذي كقولك ما أكلت الخبز وما شربت الماء وما تقول أقول . والمعنى : الذي أكلت الخبز والذي شربت الماء والذي تقول أقول . وهي ها هنا في رفع بالابتداء وأكلت : صلتها . والخبز خبر الابتداء وأكلت واقع على هاء مضمرة يريد : الذي أكلته . ومنه قوله تعالى : (إنما صنعوا كيدُ ساحر .) و(إنما توعدون لآت) الأزهية ص ٧٢ .

٢ – يقصد بالذي هنا (ما) التي بمعنى الذي .

٣ – لم أعثر على قول ابن الأعرابي هذا فيما وقع بين يدي من مراجع على كثرتها .

٤ – (يوحي إليها بأنقاض) هو جزء من بيت وتمامه :

يوحي إليها بأنقاض ونقنقة   كما تراطن في أفدانها الروم

انظر ديوان علقمة ص ٦٢ .

٥ – ورد في المخطوط هكذا (والصحيح : تروى علته بالتاء أي : غلبت عليه وظهرت) . هكذا وردت في الديوان ص ٦٠ .

«يَكَـــادُ مَنْسِمُهُ يَخْتَلُّ مُقْلَتَهُ   كأنَّهُ حاذِرٌ للنَّخْسِ مَشْهُوْمُ»

وكأنَّهُ حاذر : جملة في موضع الحال من ضمير الظليم .

«يأوِي إلى خُرَّقٍ زُعْرٍ قَوَادِمُهَا   كأنَّهـــنَّ إذا بَرَّكْنَ جُرْثُوْمُ»

وكأنَّهن : جملة من صفة «خُرَّقٍ» .

«وَضَّاعَةٌ كَعِصِيِّ الشرعِ جُؤجِؤه   كأنَّهُ بتناهِي الرَّوضِ عُلْجُوْمُ»

وضاعة :[1] أي هي وضاعة يعني الظليم - والهاء للمبالغة[2] . وجؤجؤه : مبتدأ . وخبره المجرور قبله أي مثل عصي الشرع . ويجوز أن يرتفع الجؤجؤ بالكاف أي مشبه عصي الشرع جؤجؤه . لأن اسم الفاعل قد جرى صفة سببية فقوي عملُهُ .

«حتَّى تَلاَفَى وقَرْنُ الشَّمسِ مُرْتفعٌ   أُدحيَّ عِرسين فيه البيضُ مَرْكُومُ»

و«قرن الشمس مرتفع» جملة من مبتدأ وخبر في موضع الحال . وأدحي : نصب بتلافى . «وفيه البيض مركوم» البيض : مبتدأ ومركوم : خبره «على إلغاء الظرف» والجملة في موضع الصفة للأدحي . وقد غلط في هذا[3] ، لأنه إذا كان مركوماً تَكَسَّر .

١ - ورد في المخطوطة (رضاعة) والصحيح كما ورد في الديوان (وضّاعة) بالواو . انظر ديوان علقمة ص ٦١ .

٢ - تدخل الهاء للمبالغة في المدح والذم كقولهم في المدح : رجل علاّمة ونَسّابَة . وراوية للأخبار وباقعة وبصيرة ، وكأنَّهم أرادوا به داهية . وقالوا في الذم : رجل لَحَّانة . وهلباجة . وفقاقة جخابة . كأنهم أرادوا بهيمة . وقد قِيْلَ إنَّ الهاء في قول الله : (بَل الإنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيْرَةٌ) . وقوله : (مَا فِي بُطُونِ هذهِ الأنْعَـامِ خَالِصَةٌ لِذُكُوْرِنا) . وقوله (وذلك دِيْنُ القَيِّمَة) . هي هاء المبالغة .وكذلك الهاء في قولهم : خليفة : هي للمبالغة والأصل فيها (خليف) . الأزهية في علم الحروف ص ٢٦١ .

٣ - هذا توجيه نقدي من الشارح من حيث المعنى . لأن البيض إذا ركم بعضه على بعض تَكَسَّر .

«يوحي إليها بإنقاض ونَقنقَةٍ   كَمَا تَراطَنُ في أفْدانِهَا الرُّوْمُ»

«صَعْلٌ كأنَّ جناحَيْه وجُؤجؤه   بَيْتٌ أَطَافت بِهِ خَرْقاءُ مَهْجُومُ»

«يوحي إليها» جملة في موضع الحال من ضمير الظليم . و«صَعْلٌ» : خبر مبتدأ محذوف . أي هو صعل . ومهجوم : من صفة بيت . «وكما تراطنُ» موضع الكاف جر على الصفة أي بكلام مثل كلام الروم . ويحتمل أن يكون موضعه نصباً . أي تراطنها مراطنة أو تراطنها كما .

«تَحُفُّهُ هِقْلَةٌ سَطْعَاءُ خاضِعةٌ   تُجِيْبُهُ بزِمَــارٍ فيه تَرْنِيْمُ»

وفيه ترنيم : مبتدأ وخبر في موضع الصفة لزمار . ففي : متعلقة بمحذوف . وإن شئت رفعت ترنيماً بالاستقرار المحذوف . فيكون موضع المجرور جراً على الصفة .

«بَلْ كُلُّ قومٍ ، وإنْ عزُّوا وإنْ كَثُروا   عَرِيْفُهُم بِأثافي الشَّرِ مَرْجُومُ»

و«بل كل» بل للإضــراب[1] . أضرب عَمَّا كان فيه ، وأخذ في شيء آخر . وبل يعطف بها بعد النفي والإيجاب و«لابل» لا يعطف بها إلاَّ بعد الإيجاب لا غير[2] . وكل : مبتدأ . وعريفهم : مبتدأ آخر . ومرجوم : خبره .

---

١ - انظر تفصيل ذلك في معاني الحروف للرماني ص ٩٤ ، الأزهية في علم الحروف للهروي ص ٢٢٨ - ٢٣١ مغني اللبيب لابن هشام جـ١ ص ١١٢ وما بعدها .

٢ - يقول ابن هشام : وتزاد قبل (بَلْ) (لا) لتوكيد الإضراب بعد الإيجاب كقوله :

وجهك البدر لابل الشمس لو لم   يقضِ للشمس كسفة أو أفول

ولتوكيد تقرير ما قبلها بعد النفي ، ومنع ابن درستويه زيادتها بعد النفي وليس بشيء لقوله :

وما هجرتك لابل زادني شغفا   هجر وبعد تراخي لا إلى أجل

انظر : مغني اللبيب جـ١ ص ١١٣

والجملة فـي موضـع خبر كُلّ . وجـواب الشـرط يحتمـل وجهـين :

أحدهما : يحتمل أن يكون أراد فعريفهم فحذف الفاء التي هي الجواب ضرورة .

والآخر : أن يكون في الكلام تقديم وتأخير تقديره : بل كل قوم عريفهم بالشر مرجوم وإنْ عَزُّوا وإنْ كثروا . فيكون الجواب محذوفاً دلت عليه الجملة ، أي رجم عريفهم بأثافيّ الشر . أو ذلوا بعد القوة أو قلوا بعد الكثرة . ونحو هذا ، وتحقيق هذا وإنْ ذَلُّو وعَزُّوا وإنْ كثُروا وقَلُّوا .

وعلى المسألة الأولى حذف الفاء يكون التقدير : وإن عَزُّوا عريفهم بأثافيّ الشر مرجوم . وإن كثروا فعريفهم كذلك . وحَذْفُ أحدِ الجوابين لدلالة الآخر عليه .

«والجُوْدُ نافِيَةٌ للمالِ مُهْلَكَةٌ   والبُخْلُ مُبْقٍ لأهليهِ ومَذْمُوْمُ»

«والجودُ نافيةٌ للمال مُهْلِكَةٌ» أدخل الهاء للمبالغة كدخولها في عَلاَّمة ونَسَّابة .[1] .

«والمالُ صوفُ قرارٍ يلعبونَ بهِ   عـلى نِقَادَتِهِ وافٍ وَمجْلُومُ»

وعلى نِقَادته : أدخل الهاء لتأنيث الجمع[2] كما يقال : فَحْلٌ وفحالة .

---

١ - سبق الحديث عن هاء التأنيث التي تأتي للمبالغة انظرها في هامش رقم ٥٥ .

٢ - يقول الهروي : تدخل الهاء لتوكيد التأنيث في الجمع الذي على (فعال) و(فعول) . ولا يلزمها في كل موضع . وذلك قولهم في جمع : جمل : جمالَة . وفي حَجَر : حِجَارة . وفي ذكر : ذكارة وذكورة وفي فحل : فحولة . وفي صقر : صقورة . وفي بعل : بعولة . وفي عم وخال : عمومة وخؤولة . الهاء في هذه الجموع لتأكيد التأنيث قال الله تعالى : «كأنّه جِمالةٌ صُفْر» و«تَرْمِيْهِم بِحجَارة مِنْ سِجّيل» وقال : «بُعُولَتُهنّ أحَقُّ بِرَدِّهن» انظر الأزهية في علم الحروف ص ٢٥٩ وما بعدها . وانظر ديوان علقمة ص ٦٥ ، وانظر همع الهوامع جـ١ ص ١٧٠

ونقادته : جمع «نقد» كحجر وحجارة أو جمع نقدة كرحبة ورحاب . و«وافٍ» يجوز أنْ يكون صفة لموصوف ، وأنْ يكون مبتدأ محذوف الخبر . أي منه وافٍ ، ومنه مجلوم .

«والحمدُ لا يشترى إلا لَهُ ثَمَنٌ ... مِمَّا تَضِنُّ بِهِ النُّفُوسُ مَعْلُومُ»

والحمد : مبتدأ . ولا يشترى : جملة في موضع خبره - وفي يشترى : ضمير مفعول لم يُسَمَّ فَاعِلُه[1] .

«ولَهُ ثَمَنٌ» : مبتدأ وخبر . فاللام من له متعلقة بخبر محذوف . ومعلوم : صفة لثمن .

«والجَهْلُ ذو عَرَضٍ لا يُسْتَرَادُ لَهُ ... والحِلمُ آونَةً فِي النَّاسِ مَعْدُومُ»

وآونةً : انتصب على الظرف وعمل فيه : معدوم .

«وَمُطْعَمُ الغُنْمِ يَوْمَ الغُنْمِ مُطْعَمُهُ ... أَنَّى تَوَجَّهَ والمَحْرُوْمُ مَحْرُوْمُ»

وأنّى توجه : أنّى[2] ظرف بمعنى حيث . والعامل فيه : مطعمه .

«ومَنْ تَعَرَّضَ للغِرْبَانِ يَزْجُرُهَا ... على سَلاَمَتِهِ لا بُدَّ مشؤومُ»

---

١ - أي أن في الفعل المبني للمجهول (يشترى) ضميراً يعود على الحمد وهو في محل نصب مفعول به للفعل الذي لم يذكر فاعله أي هو (نائب فاعل) .

٢ - أنّى : بمعنى كيف كقوله تعالى : (أنّى يُحْيِي هذه الله) . وتكون بمعنى (من أين) كقوله : (أنّى يَكُونُ له ولد) . أي من أين . والأجودَ أنْ يقال في هذه كيف : قال الكميت .

أنّى ومن أين آيل الطرب ... من حيث لا صبوة ولا ريب

الصاحبي ص ١٤٢ مؤسسة بدران ١٩٦٣ / بيروت .

و«مَنْ تعرض» مَنْ : شرطية . وموضعها رفع بابتداء .ويزجرها : في موضع الحال . ومشؤوم : خبر مبتدأ محذوف . أي : فهو مشؤوم فحذف الفاء التي هي الجواب مع المبتدأ . ويجوز في «من» أنْ تكون موصولة بمعنى الذي . ومشؤوم : خبرها .

«وكلُّ بيتٍ وإنْ طَالَتْ إقامَتُهُ ... على دَعائمِهِ لابُـدَّ مهـدوم»

«كل بيت» مبتدأ ، و «مهدوم» : خبره . وجواب الشرط إما أن يُقدر في البيت فتدل عليه الجملة قبله أي فهو مهدوم . أي لينهدم . وإما أن تُقَدَّرُ الفاء محذوفة . أي فلا بد .

«قَد أَشهَدُ الشَّرب فيهم مُزْهِرٌ رَنِمٌ ... والقومُ تَصْرَعُهم صَهْبَاءُ خُرْطُوْمُ»

«وقد أشهد الشَّرب» هو جمع شارب[1] كما قال[2] :

فقلتُ للشَّرب في دُرْنَى وقد ثملوا ... شيموا وكيف يشيم الشارب الثمل

والقوم تصرعهم : جملة موضعها نصب على الحال . أي في حال سكر .

«كأسُ عزيزٍ من الأعنابِ عَتَّقَهَا ... لبعض أربـابِهَا حـانِيَّةٌ حُوْمُ»

«وكأس عزيز» يجوز أن يكون بدلاً من صهباء ، وأنْ يكون خبر مبتدأ محذوف . «ومن الأعناب» أي كائنة من الأعناب ، فمن متعلقة بمحذوف .

«تَشْفِي الصُّداع ولا يؤذيك صَالِبُهَا ... ولا يُخَالِطُهَا في الرأسِ تَدْوِيْمُ»

---

١ - قال ابن سيده : فأما الشَّرب : فاسم لجمع شارب كركب ورجل وقيل : هو : جمع . اللسان مادة (شرب) ٤٨٨/١ وانظر رأي سيبويه في اسم الجمع لهذه الكلمة ، الكتاب جـ١ ص ٢٠٣ طبعة بولاق .

٢ - البيت للأعشى ذكره ابن منظور في اللسان/ مادة : ثمل ج١١ ص ٩٢

«وتشفي الصداع» يجوز أن تكون الجملة من صفة الخمر . وأن تكون حالاً فيها .

«عانِيَةٌ قَرْقَفٌ لَمْ تُطَلَّع سنةً   يُجِنُّها مُدْمَجٌ بالطّينِ ، مختومُ»

وعانيّةٌ يجوز أنْ تكون صفة لها . وأنْ تكون خبر مبتدأ محذوف . أي هي عانية . ومختوم : صفة لمدمج . ولم تطلع ، ويجنها ، وظلت : يحتمل أنْ تكون هذه الجمل في مواضع صفات للخمر ، أو في مواضع أحوال .

«ظَلّت تُرَقْرِقُ في النَّاجودِ يَصفقها   وَلِيدُ أعْجَمَ بالكَتَّانِ مَفدُوْمُ»

ومفدوم صفة لـ «وليد» وترقرق : جملة في موضع خبر ظَلّت . وتصفقها[1] : جملة في موضع حال سببية أو خبر بعد خبر .

«كأنَّ ابريقَهُم ظَبْيٌ على شرفٍ   مُفَدَّمٌ بِسَبا الكَتَانِ ملثــومُ»

وعلى شرف : على متعلقة بمحذوف ، أي ظبي كائن أو واقف على شرف ، وبسبا : أراد بسبائب ، فحذف[2] ذكره الأصمعي .

«وأبيضُ أبــــرزه للضّحّ راقِبُه   مُقَلَّد قُضُب الريحان مَفْغُوْمُ»

١ - في المخطوط تصفقها بالتاء . وفي الديوان يصفقها وهو الصحيح لأن فاعل هذا الفعل مذكر حقيقي لم يفصل بينه وبين فعله بفاصل ؛ لذا يجب تذكير الفعل بالياء في أوله كما يُذكَر الفعل الماضي بحذف التاء من آخره .

٢ - يقول ابن منظور : وقول علقمة :

(كأنَّ إبريقهم .. البيت) إنما أراد بسبائب فحذف وليس مُفَدَّم من نعت الظبي . لأن الظبي لا يفدم إنّما هو في موضع خبر المبتدأ .

كأنّه قال : هو مُفَدّم بسبب الكتّان/ اللسان/ مادة سبب ٤٥٨/١

وهذا يشبه قول لبيد :

درس المنا بمتالع فأبان   (وتقادمت بالحبس فالسّوبان)

أراد المنازل فحذف . انظر ديوان علقمة : ص ٧١ .

وأبيض : خبر مبتدأ . أي هو أبيض . يعني الإبريق . وَراقِبُهُ : الذي يرقب صلاحه ، يعني الحمار . قاله الأخفش . وقال النحاس : راقِبُهُ : صائده يعني الظبي . ومفدم وملثوم : صفتان من صفة الإبريق الأبيض ، وكانَ ينبغي أنْ يقول فَاغماً ؛ لأنَّهُ الذي يفغم لكثرة طيبه بقلبه للمفعول .

«وقد غَدَوْتُ على قِرْنِي يُشَيِّعُنِي   ماضٍ أخو ثِقةٍ بالخير موسومُ»

وقوله : يشيعني ماضٍ : جملة موضعها نصب على الحال الجارية على ما قبلها الرافعة ما بعدها . كما تقول : «قعدت على سطحي ناظراً إياي زيدٌ ؛ أي في حال نظر زيد إليَّ . وكذلك «يسفعني يوم» مثله «في قوله» :

«وقد عَلوتُ قُتودَ الرَّحْلِ يَسفَعُنِي   يومَ تجيءُ بــه الجوزاءُ مَسمومُ»

«حامٍ كأنَّ أُوارَ النَّـارِ شَامِلـــهُ   دونَ الثِّياب ورأسُ المرءِ معمومُ»

وحام : صفة يوم . وكأنَّ أوار : من صفته . أي مثل النار .

ويروى «شـامله» أي شـامل اليـوم . وشـاملهُ على أنَّه خبـرعن أُوار ولـكنَّه أنَّثَ لإضافته إلى النار . كَمَا تقول : بعض أصابعه قُطِعَتْ أو ذاهبةٌ . وكُلُّ ذي نفسٍ يموت[1] .

«لا في شَظَاها ولا أرساغها عَنَتٌ   ولا السَّنابِكُ أفناهُنَّ تَقْلِيمُ»

١ - قال السيوطي : تلحق أخر الماضي تاء ساكنة حرفاً وقال الجلولي : اسماً ما بعدها بدلاً من منها أو مبتدأ خبره الجملة قبله .ولم تلحق آخر المضارع استغناء بتاء المضارعة . ولا الأمر استغناء بالياء ولحوقها لآخر الماضي إذا أسندت لمؤنث دلالة على تأنيث فاعله وجوباً إنْ كان ضميراً مطلقاً . أي لحقيقي أو مجازي نحو : هِنْدٌ قامت والشمسُ طَلَعَتْ . أو ظاهراً حقيقياً . وهو ما له فرج من الحيوان نحو قامت هندٌ . وتركها مما ذكر ضرورة على الأصح كقوله : ولا أرض أبقل إبقالها . وقوله : تمنى ابنتاي أنْ يعيش أبوهما انظر الهمع ٢/١٧٠ - ١٧١ .

وعنت : مبتدأ وخبره في المجرور قبله . أي لا عنت موجود في شظاها .

«سُلاَّءَةٌ كعصا النَّهدي غُلَّ بِها ذو فَيْئَةٍ من نَوى قُرّانَ معجومُ»

وسلاءة : خبر مبتدأ . أي هي مثل سُلاءة .

«تتبع جُوُناً إذا ما هُيِّجَتْ زَجِلَتْ كأنَّ دُفّاً عــلى علياءَ مهزومُ»

و«تتبع جُوُناً» : جملة في موضع الحال من الفرس أو من ضميرها . وعلى علياء : على متعلقة بصفة محذوفة . أي دُفاً كائناً على علياء .

«وقد يَسَرتُ إذا ما الجوعُ كُلِّفــهُ مُعَقّبٌ مِنْ قِداح النبع مقرومُ»

والجوع : مبتدأ أو فاعل بمضمر* ودل على جواب إذا ، ما قبله . أي يسرت .

«لو ييسرون بِخَيْلٍ قد يسرتُ بِهَا وكــلُّ ما يَسَرَ الأقوامُ مغرومُ»

ولو ييسرون : جواب لو محذوف . أي لقدمت حظي منها ويسرت بها . ويجوز أنْ يكون جوابها قد يسرت . أراد ليسرت . فوضع قد مكان اللام . وما : ناقصة[1] وأراد : يسره فحذف العائد .

---

* مبتدأ على رأي الأخفش من البصريين أو فاعل بمضمر وهو رأي جمهور النحاة . أمّا الكوفيون فيرون أنّه فاعل للفعل الموجود .
انظر : الإنصاف ، المسألة رقم ٨٥ .

١ – يقصد بما الناقصة هنا الموصولة : يقول ابن هشام ما : تأتي على وجهين : اسمية وحرفية .وكل منهما ثلاثة أقسام : فأمّا أوجه الاسمية :
فأحدها : أن تكون معرفة . وهي نوعان : ناقصة وهي الموصولة : نحو : (ماعندكم ينفد وما عند الله باق) وتامة وهي نوعان : عامة أي مقدرة بقولك الشيء . وهي التي لم يتقدمها اسم تكون هي وعاملها صفة له في المعنى . . . وخاصة وهي التي تقدمها ذلك . . ا هـ
انظر مغني اللبيب جـ١ ص ٢٩٦ .

- ٣ -

«وقَالَ عَلْقَمَةُ أيضاً»

«ذهبتَ من الهِجْرَان في غير مَذهب ولَمْ يَكُ حَقّاً كُلُّ هَذَا التجنبِ»

قوله : كُلّ هذا التجنب : كُلّ : اسم كان . وحقاً : خبرها . والتجنب : بدل من «هذا» أو عطف بيان .

«ليالي لا تَبْلَى نصيحةُ بيننـــا ليالي حلُّـــوا بالستار فَغُرَّبِ»

وليالي لا تَبلى : يجوز أنْ يعمل في ليالي مضمر . أي فعلت ذهابك ليالي ، ويحتمل أنْ يعمل فيها التجنب . أو اذكر[1] وليالي الثانية بدل من الأولى .

«مُبْتَلَّة كـــأنَّ انضاءَ حليها على شَادنٍ مـــن صاحةٍ مُتَربِّبِ»

وُمـبْتلَّة : خـبـر مـبـتـدأ محذوف . أي هي مُبْتَلَّةٌ . وعلى شَادِن : «على» متعلقة بخبر كأنَّ المحذوف ، وأراد على جيد شادن . فحذف[2] .

«مَحَالٌ كـــأجواز الجرادِ ولؤلؤٌ من القلقِيّ والكَبيسِ المُلَوّبِ»

ومَحَال : خبر مبتدأ . أي حليها . أو ما تتحلى به .

«إذا ألحَمَ الوَاشُوْنَ للشَّرِ بيننَا تَبَلَّغَ رسُّ الحُبِّ غَيرُ المُكَذَّبِ»

وللشر : أراد الشر فزاد[3] .

---

١ - (أو اذكر) هكذا وردت في المخطوط ولعلها (وذكر ليالي . . .) .

٢ - أي حذف الصفة وأقام الموصوف مكانها وهذا كثير في كلام العرب وسبق الكلام عليه . ومثله : (أن اعمل سابغات) أي (اعمل دروعاً سابغات) أي حذف الصفة وأبقى الموصوف دالا عليها .

٣ - انظر ذلك في الصاحبي في فقه اللغة ص ١١٦ .

«وما أنت أم ما ذكرُها ربعيَّةً تَحُلُّ بإيْرٍ أو بأكناف شُرْبُبِ»

وما أنت أم ما ذكرها : قد تقدم الكلام أن «أم»[1] منقطعة والمتصلة هي التي ما قبلها مع ما بعدها كلام واحد . وما بعدها معتمد على همزة الاستفهام وجوابها بتغيير أحد الشيئين المعادل بينهما ، مفرداً كان أو جملةً . وقد ذكرت إعرابه .

وتحل بإير : جملة في موضع الحال من ضميرها .

«أَطَعْتَ الوشاةَ والمُشَاةَ بِصَرْمِهَا فقَدْ أنْهَجَتْ حِبَالُها للتقضُّبِ»

وبِصَرْمِها : أراد في صرمها .

«وقد وَعَدَتْكَ مَوْعِداً لو وَفَتْ بِهِ كَمَوْعُودِ عُرْقُوبٍ أخَاهُ بِيَثْرِبِ»

ولو وَفَتْ : لَوْ هُنا تَمَنٍ[2] ؛ ولذلك لم يأتِ لها هنا بجواب . وموعداً : عند سيبويه لا يكون مصدراً[3] . فأخاه : على قوله لا يكون منصوباً بمضمر . أي وعد أخاه . وعند غيره ، أخاه ، منصوب بنفس موعود ، وعرقوب فاعل في المعنى . وموضع الكاف من «كموعود» نصب على النعت . أي : وعدتك وعداً مثل وعده .

«وقالت وإنْ يُبْخَلْ عليك ويُعْتَلَلْ تَشَكَّ وإنْ يُكْشَفْ غَرَامُكَ تدربِ»

١ - انظر ذلك في هامش رقم (١) ص ١٦٦ .

٢ - انظر معاني لو : معاني الحروف للرماني ص ١٠١ وانظر شرح الكافية في النحو : للأستراباذي جـ٢ ص ٣٦٢ وما بعدها .

٣ - إن ما كان فاء الفعل منه واواً أو ياءً ثم سقطتا في المستقبل نحو : يعد ويزن ويهب ويضع ويئل . فإن المفعل منه مكسورٌ في الاسم والمصدر جميعاً . ولا تبالي منصوباً كان (يفعل) منه أو مكسوراً بعد أن تكون الواو منه ذاهبة (الصحاح مادة (وعد)) .

وَتَشَكَّ : أي تتشكى : فحذف الألف للجزم على جواب الشرط .

«فَفَاءَتْ كَمَا فَاْءَتْ من الأُدم مُغْزِلٌ   بِبِيْشَةَ تَرْعَىْ فـي أراكٍ وحُلَّبِ»

وكَمَا : موضع الكاف نصب على النعت لمصدر محذوف أي : فيئاً كَمَاْ .

وترعى في أراك : جملة من صفة مغزل . فموضعها رفع أي راعيةً .

«فَعِشْنا بِها من الشَّبابِ مُلاَوَةً   فَأنْجَحَ آيــاتُ الرَّسولِ الْمُخَبِّبِ»

وملاوة : ظرف . أي دهراً من زمن الشباب فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه .[1]

«بِمُجْفِرَةِ الجَنْبَيْنِ حَرْفٍ شِمِلَّةٍ   كَهَمِّكَ مِرْقَالٍ على الأينِ ذِعْلِبِ»

وبمجفرة الجنبين : قال الأعلم[2] : الباء متعلقة ببكور في البيت السابق وهو :

«فإنَّكَ لَمْ تَقْطَع لُبَاْنَةَ عَاْشِقٍ   بِمِثْلِ بُكُــوْرٍ أوْ رَوَاحٍ مُؤَوِّبِ»

أراد بمثل بكور . بناقة مجفرة الجنبين . وقال غيره : تتعلق الباء «بمؤوب» ولا يجوز تعلقها ببكور للفصل بالمعطوف . ولا برواح لأنه قد وصفه . أو بمضمر دل عليه بكور أو رواح . والمصدر إذا وصف أو صُغِّر لم يعمل . كما لا يعمل اسم الفاعل مصغراً . فلا تقول : هذا ضويرب زيداً . ولا عجبت من ضرب

---

١ - هذا كثير في كلام العرب انظر تفصيل ذلك في الخصائص لابن جني جـ٢ ص (باب شجاعة العربية) .

٢ - وقوله بمجفرة الجنبين :أراد بمثل بكور بناقة مجفرة «الجنبين» . ويحتمل أن تكون الباء بمعنى على . انظر ديوان علقمة ص ٨٥ .

شديد زيد عمراً[1] أو يجوز أن تكون الباء بمعنى على . ويروى مؤوِّب ومؤوَّب . فمؤوِّب بكسر الواو يؤوِّب صاحبه . ومؤوَّبه بفتحها يؤوَّب فيه .

وكهمك : أي مثل همك . أي مثل ما تشتهي وتريد . فموضع الكاف جر على الصفة . . .

«إذا مَا ضَرَبْتُ الدَّفَّ أو صُلْتُ صَوْلَةً   تَرَقَّبُ مِنِّي غيرَ أَدْنى تَرَقُّبِ»

وترقب منى غير أدنى ترقب : أي ترقب منى ترقباً غير أدنى فغير أدنى : حال من المصدر المحذوف . وترقب : جواب إذا والعامل فيه . وبغير متعلق بترقب ، أو بالمصدر .

«بِعَينٍ كمرآة الصَّناع تُديرُهَا   لِمَحْجَرِهَا من النَّصيف المُنَقَّبِ»

وتديرها : جملة في موضع الحال أي مديرتها أو إياها . ويجوز أن يكون حالاً من المرآة . وتجري على غير من هي له . ولو أظهرتها لقلب مديرتها هي . وأبرزت الضمير . وجاز أنْ تقع حَالاً منهما معاً . لأن فيها ضميراً عائداً على كل واحد منهما . وجاز أنْ يستتر في الفعل ضَمِيْرُ الأجنبي ، ولغيره لقوته ولم يستتر في اسم الفاعل لضعفه . ويروى «لمحجرها» و«محجرها» فمن روى

---

١ - ولا يعمل اسم الفاعل إلاّ بشروط : وهي : أنْ لا يُوْصَف ولا يُصغَّر . وأن يعتمد على أداة استفهام أو يقع صلة لموصول أو صفة لموصوف لفظاً أو نية . أو خبراً لذي خبر أو حالاً لذي حال . أو في موضع المفعول الثاني من باب ظننت أو الثالث من باب أعلمت/ المقرب : لابن عصفور ١٢٤/١ وانفرد الفراء من الكوفيين بقوله إنه لا يجوز إعمال اسم الفاعل مُصَغراً . قال أبو حيان لا يجوز تصغير : اسم الفاعل . فلا يجوز هذا ضويرب زيداً . هذا مذهب البصريين والفراء وذهب الكسائي وباقي الكوفيين إلى جواز عمله مصغراً . الأشموني ٢٩٥/٢ ط ، دار الكتاب العربي - بيروت .

لمحجرها : عَلّق اللام بتدبير . ومن روى «محجرها» جعله مبتدأ وخبره بعده .

«كأنَّ بِحاذَيها إذا ما تَشَذَّرَتْ عَثَاكِيلَ عِذْقٍ من سُمَيْحَةَ مُرْطِبِ»

وعثاكيل : اسم كأنَّ . و«بحاذيها» : في موضع خبرها . فالباء متعلقة بمحذوف . ومرطب من صفة عذق . ومن سميحة : أراد من نخل سميحة . فحذف المضاف لعلم السامع . فمن : متعلقة بمحذوف . ودل على جواب إذا : «ما تشذرت» التشبيه . أي شبهها بذلك . وعثاكيل عِذق : وإنْ كانت العثاكيل ما عليه البسر من العذق فهي على هذا بعضه . فإضافتها إليه حسنة ، كما يضاف البعض إلى الكل . وإن كانت العثاكيل أو العثكول : هو القنو ، . .

أي : العذق . فقد أضافه إليه توكيداً . وسوّغ ذلك اختلاف اللفظين مثل مسجد الجامع ، وحق اليقين .

«تَذُبُّ به طَوْراً وطوراً تُمِرُّهُ كَذَبِّ البشير بالرِداءِ المُهَذَّبِ»

وكَذَبٍّ : موضع الكاف نصب على النعت لمصدر محذوف أي تذب به ذباً مثل ذبٍّ .

«وَقَدْ أَغْتَدِي والطير في وُكُنَاتِها وماءُ النَّدى يجري على كُلِّ مِذْنَبِ»

«بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأوابِدِ لأْحَــهُ طِــرادُ الهَوَادي كُــلَّ شَأْوٍ مُغرِّبِ»

وبمنجرد : متعلق بأغتدي . وقيد : صفة لمنجرد . ولم يتعرف بالإضافة لأنه في معنى مُقَيِّد ، وقد تقدم وكل عمل فيه .

«بِعَوْجٍ لُبَانُــه يُتَمُّ بَرِيمُــهُ على نَفْثِ راقٍ خَشْيَةَ العينِ مُجْلِبِ»

وبغوج : بدل من منجرد . بإعادة العامل . ولبانه : مرتفع بغوج . أي بفرس واسع جلد صدره . وخشية : مفعول له . ومجلب : صفة لراق .

«كُمَيْتٍ كَلَوْنِ الأُرْجُوَانِ نشرتَهُ لِبَيْعِ الرِّداءِ في الصُّوانِ المُكَعَّبِ»

ونشرته : جملة في موضع الحال السببية من الأرجوان . أي ناشراً إياه أنت . والمكعب : من صفة الرداء .

«لَهُ حُرَّتَانِ تَعْرِفُ العِتقَ فِيْهِمَا كسامِعَتَيْ مَــذْعُورَةٍ وَسْطَ رَبْرَبِ»

وموضع الكاف من «كسامعتي» رفع على الصفة لحرتين .

«وَجَوْفٍ هَواءٌ تَحْتَ مَتنٍ كأنَّهُ من الهَضْبةِ الخَلْقَاءِ زُحلوقُ مَلْعَبِ»

وجوف : مردود على حرتين . ويجوز أن تجعله مبتدأ محذوف الخبر أي وله جوف .

«قَطَاةٌ كَكُرْدُوْسِ المحالة أشرفت إلى سَنَدٍ مِثْلِ الغَبِيْطِ المُذأَبِ»

وقطاة : أراد وله قطاة بحذف الخبر . وأشرفت : جملة في موضع الصفة لقطاة . أي مشرفة . وإلى : بمعنى «مع» .

«وغُلْبٍ كأعْنَاقِ الضِّباعِ مضيغُهَا سِلامُ الشَّظى يَغْشِي بِهَا كُلُّ مَرْكَبِ»

و«مضيغها سلام» مبتدأ وخبر .

«إذا ما اقتنصنا لَـمْ نُخاتِل بِجُنَّةٍ وَلَكِنْ نُنَادِي مِنْ بَعِيدٍ أَلا اركبِ»

«أخا ثقةٍ لا يَلْعَنُ الحَيُّ شَخْصَهُ صَبُوراً على العِلاَّتِ غَيْرَ مُسَبَّبِ»

وأخا : مفعول بأركب .

«إذا أنفدُوا زاداً فان عِنَانَهُ و أَكْرُعَهُ مُسْتَعْمَلاً خَيْرُ مكسبِ»

ومستعملاً : حال من ضمير الفرس . وجواب إذا أنفدوا : دلت عليه الجملة بعده . أي إذا أنفدوا زادهم استعملوه في الصيد . وصادوا عليه .

«فَبَيْنَا تَمَارِيْنَا وَعقْدُ عِــــذاره خَرَجنَ علينا كالجُمَانِ المثقَّبِ»

وبينا :[1] ظرف زمان . وتمارينا : مبتدأ . وخبره محذوف أو تمارينا موجود أو كائن في أمر الوحش . وقد روى عقد عذاره بالخفض . كان تمارينا مخفوضاً بالإضافة . وكذلك رِوِيَ بينا تعانِقُهُ الكماة . «وتعانقه وخرجن» جواب بينا . والعامل فيه . وموضع الكاف من «كالجمان» نصب على الحال من الضمير في «خرجن» . وهو النون أي مشبهات الجمان .

«فأتبَع آثَارَ الشِّيَاهِ بِصَادِقٍ حَثِيْثٍ كَغَيثِ الرَّائحِ المُتَحلِّبِ»

وبصادق : بجري صادق[2] .

«تَرَى الفأرَ عن مسترغب القدرِ لائحاً على جَدَدِ الصَّحْراء من شَدٍّ مُلهِبِ»

ولائحاً : حال من الفأر .

«فَهَاوٍ على حُرِّ الجبين ومُتَّقٍ بِمِدْرَاتِهِ كأنَّها ذَلْقُ مِشْعَبِ»

---

١ - بينا وبينما : هما لزمان غير محدود . واشتقاقهما من قولنا : بيني وبينه قيد كذا . فإذا قلنا : بينا نحن عند زيد أتانا فلان . فالمعنى : بين أنْ حصلنا عند زيد وبين زمان آخر أتانا فلان قال :

فبينا نحـــن نرقبه أتانا مُعَلِّق شكوةٍ وزنادِ راعِ

الصاحبي . ص ١٤٧ .

٢ - أي أنه حذف الموصوف وأقام الصفة مقامه وهذا من سنن العربية وسبق أن شرحناه .

فهاوٍ : أي فمنها معاً[1] وفهاوٍ : مبتدأ محذوف الخبر ، ويجوز أن يكون خبراً محذوفاً لمبتدأ . أي بعضها هاو .

«فَظَلَّ الأكُفُّ يَخْتَلِفْنَ بحانِـــذٍ إلى جؤجؤٍ مِثْلِ المَداكِ المُخَضَّبِ»

وبحانذٍ : على النسب . أي بذي حانذ . وإلى جؤجؤ : إلى متعلقة بـ : يختلفن . وإلى بمعنى : مع ويختلفن : خبر ظل .

ويرتعين خميلة : نصب خميلة على الظرف أي في خميلة[2] ويحتمل أن يريد شجراً خميلة . فحذف المضاف . وأقام المضاف إليه مَقَامَهُ[3] .

«وَرُحْنا كأنَّا من جُوَائي عَشِيَّةً نُعَالي النِّعاجَ بَيْنَ عِدْلٍ و مُحْقِبِ»

ومن جوائي : في موضع خبر كأنَّا . فمن متعلقة بمحذوف . أي كأنَّا قافلون أو راجعون أو واردون ومن جعل «راح» ناقصة احتمل أن يكون خبرها في الجملة أو في عشية ، أو نعالي . ويحتمل «نعالي» أن يكون خبراً بعد خبر . أو يكون جملة في موضع الحال من النون في كأنَّا وفي رحنا . ومن جعل «راح» تامة . كأنَّا : جملة في موضع الحال . فلها موضع من الإعراب على الوجهين معاً .

«وراحَ كَشَاةِ الرَّبْلِ يَنْفُضُ رَأْسَهُ أذاةً بِهِ مِنْ صَائِكٍ مُتَحلِّبِ»

---

١ - هذا تحريف من الناسخ . والصحيح (منها ما هوى على وجهه) انظر الديوان ص ٩٦ .

٢ - أي هو ظرف منصوب على نزع الخافض وهو (في) . انظر تفصيل ذلك في شرح الكافية جـ١ ص١٨٦ .

٣ - أخطأ هنا الشارح . والأولى أن يقول : فحذف الموصوف وأقام الصفة مقامه بدلاً من «فحذف المضاف» وأقام المضاف إليه مقامَهُ : لأن تقديره شجراً خميلة أي أنَّ شجراً مفعول به وخميلة صفته . فحذف الموصوف وأبقى الصفة .

«وراحَ يُبَارِي في الجِنَابِ قَلُوصَنا   عــزيزاً علينا كالحُبَابِ المُسيَّبِ»

وراحَ يُبَارِي : اسم راح ضمير الفرس . وكذلك في «راح كشاة» . وأذاةً : مفعول من أجلِهِ . وكشاةٍ : في موضع نصب على خبر راح ، أي مشبهاً و«ينفض رأسَهُ» : جملة موضعها نصب على الحال ، من ضمير الفرس ويجوز أن يكون خبراً بَعْدَ خَبَرٍ . ويحتمل أن يكون «كَشَاة» في موضع الحال ، وينفض الخبر . ومثل هذا يجوز في يباري ، «وعزيزاً» . وموضع الكاف من «الحباب» نصب على الصفة .

- ٤ -

«وقال عَلْقَمَةُ أيضاً»

«دافعتُ عَنْهُ بِشِعري إذْ   كَانَ (لِقَوْمِي) في الفِداءِ جَحَدْ»

قوله : دافعت عنه بشعري «كذا وقع هذا البيت ناقص الوزن . وتمام وزنه :»[1]

دافعت عن شاس بشعري إذْ   كان الفداء فيه جَحَدْ

و«جَحَدْ» اسم كان . وخبرها في المجرور قبله . ففي : متعلقة بمحذوف ، أي كانت قلة مال موجودة في فدائه .

١ - يقول محقق ديوان علقمة : هذا البيت مكسور وكذا وقع في جميع النسخ وأصلحه المستشرق (وليم الورد) في العقد الثمين بزيادة ضمير الغائب (دافعته) وكأنه عائد على مفهوم من السياق أي دافعت عنه الأسر . انظر الديوان ص ١٠٣ والهامش رقم ٦ من الصفحة نفسها .
«وقال الوزير أبو بكر عاصم في شرح الأشعار الستة : هذا البيت وقع في كل النسخ مكسوراً ، وألفيته لدى البحث والتنقيب عنه صحيحاً :
دافعت عــن شاس بشعري إذ
كان ...... في الفــداء جحد» ص ٥٩٤

«فكان فيه ما أتاك وفي تِسْعِيْنَ أَسْرَى مُقْرِنِينَ صَفَدْ»

«وما أتاك» : ما : اسم كان . وما : بمعنى الذي . وفي أتى ضمير راجع إلى ما . «وفيه» في موضع خبرها .

وأسرى : تبيين للتسعين . وليس بتمييز . لأن العقود من العشرين إلى المائة لا تميز بالجمع[1] . «وصفد» : مبتدأ وخبره في المجرور قبله . ففي : متعلقة بمحذوف .

«دافَعَ قَومِي في الكتيبة إذْ طَارَ لأطرافِ الظُّبات وَقَدْ»

و«دافع قومي» : «فاعلون» بدافع . «وقد» : فاعل» .

«فأصبحوا عنَد ابنِ جَفْنَةَ في الـ أغلال مِنْهُمْ والحَديْدِ عُقَدْ»

«وعند ابن جفنة» عند عمل فيه خبر «أصبح» المحذوف . أي كائنين أو مستقرين . «وعقد» : مبتدأ وخبره في المجرور قبله . والجملة في موضع الحال .

«إذْ مُخْنَبٌ في المخنَبَيْنَ وفي النـ ـهكةِ غَيٌّ بادِىءٌ وَرَشَدْ»

وإذا مخنب : يجوز أن يعمل فيه «أصبح» الذي هو عند . وخبر المتبدأ الذي هو في الأغلال .

- ٥ -

«وقال علقمة أيضاً» :

«تَرَاءَتْ وأَسْتَارٌ مِنَ البيتِ دُوْنَها إلَيْنَا وحَانَتْ غَفْلَةُ المُتَفَقِّدِ»

---

١ - ذهب الفراء مخالفاً الكوفيين والبصريين معاً إلى إجازة جمع التمييز للأعداد ما بين (١٠ - ١٠٠) نحو : عندي أحدَ عَشَر رجـالاً ، وقام ثلاثون رجَالاً . همع الهوامع ٢٥٣/١ .

قوله : تراءت وأسْتَارٌ من البيت : أَسْتَارٌ : مبتدأ . ومن البيت في موضع الصفة . «فمن» متعلقة بمحذوف .وعمل في دونها الخبر المحذوف والجملة في موضع الحال من الضمير في تراءت .

«بِعَيْنَيْ مَهَاةٍ يحدُرُ الدَّمْعُ مِنْهُمَا   بَرِيْمَيْنِ شَتَّى من دُمُوْعٍ وإثمِدِ»

و«إلينا» و«بعيني» إلى والباء متعلقتان بتراءت أي تراءت هذه المرأة إلينا بعيني مهاة . ووقعت الجملة الاعتراضية بين العامل .* وبريمين : حـال من الدمع .وحانت : حال على تقدير قد .

«وجِيْدِ غَزَالٍ شادنٍ فردت له   من الحلي سِمْطَيْ لُؤلُؤ وزَبَرْجَدِ»

وجيد غزال : مردود على عيني مهاة . وسمطي : مفعول «فردت» . ويحدر الدمع : جملة في موضع الصفة لعيني ، أي جار الدمع .وفردت جملة بجيدها ولا يمتنع أن يكون في موضع فرأى فاردة بمعنى ناظمة بجيدها ولا يمتنع أن يكون في موضع الصفة بجيد . كما تقول : «مررت بصبي امرأة ضاربة له .»

- ٦ -

«وقال علقمة أيضاً :»

«وَدَّ نُفيرٌ للمكَاوِرِ أنَّهم   بِنَجْرانَ في شاءِ الحِجازِ الموقَّرِ»

قوله : وَدَّ نُفيرٌ للمكاور أنَّهم : أنَّ موضعها نصب بـ «وَدَّ» . بتقدير حرف جر أو مضاف . وخبر أنَّ : الجملة بعدها . وبنجران : الباء متعلقة بالخبر المحذوف . وإن شئت علقت «في» مجال محذوفة يعمل فيها الخبر . والموقَّر : من صفة شاء .

«أسَعْيَاً إلى نَجْرانَ في شَهْرِ نَاجِرٍ   حُفاةً وأعْيَا كُلُّ أعيس مِسْفَرِ»

* هناك سقط في الأصل وأظنه «المعمول» .

وأسعياً إلى : مصدر منصوب بالفعل المضمر[1] أي : أَتَسْعَوْنَ سَعْياً . ومثله : «أقعوداً وقد سار الركب» . ويقال : أقاعداً .والهمزة للاستفهام ومعناها : التوبيخ .وحفاة : حال من الضمير في تَسعَوْنَ . وأَعْيَا كُلٌّ : جملة موضعها : نصب على الحال ، على تقدير قد .

«عَمَدْتُم إلى شِلْوٍ تُنُوذِرَ قَبْلَكُمْ كَثِيرِ عظام الرَّأس ضخم المُذَمَّرِ»

وتنوذر : جملة من صفة شاء وأعيا . .

– ٧ –

«وقَالَ عَلْقَمَةُ أيضاً :»

«وأخي مُحافَظَةٍ طَلِيقٍ وَجْهُهُ هَشٍّ جَرْرتُ به الشَّواءَ بِمِسْعَرِ»

قوله : وأخي محافظة : مخفوض بواو رُبَّ : «وجررت» جوابها .

«مِنْ بَازِلٍ ضربت بأَبيضَ بَاْتِرٍ بِيَدَي أغَــرَّ يَجُرُّ فَضْلَ المِئْزَرِ»

ومن بَازل : من متعلقة بمحذوف أي كائنة من بازل . يعني أنَّ الشواء من بازل . فموضع من حال من الشواء . وتكون مِنْ للتبيين(*) الجنس . ويحتمل أن يكون موضع من :رفعاً أي هي كائنة من ، وفيه ضعف .وبيدي : الباء متعلقة بمحذوف ؛ أي بسيف أبيض كائن بيدي أغر .

---

١ – قد يحذف الفعل لقيام قرينة جوازاً كقولك لمن قدم : خير مقدم ووجوباً سماعاً مثل : سقيا ، ورعيا ، وخيبة ، وجدعا ، وحمدا وشكرا وعجبا . واعلم أنه لابد في الواجب الحذف والجائز من القرينة قوله جوازاً ووجوباً نصب على المصدر بفعل محذوف بعضه يسمع حذفه وجوبا سماعا ولا يقاس عليه . وبعضه يقاس عليه في وجوب الحذف قياساً . وأقول : الذي أرى أن هذه المصادر وأمثالها إن لم يأت بعدها ما يبينها ويعين ما تعلقت به من فاعل أو مفعول إما بحرف جر أو بإضافة المصدر إليه ، فليست مما يجب حذف فعله . بل يجوز نحو : سقاك الله سقيا .ورعاك الله رعيا . وجدعك جدعا .وشكرت شكرا .وحمدت حمدا . انظر شرح الكافية جـ١ ص ١١٦

* هكذا في الأصل والصحيح «لتبيين الجنس»

«وَرَفَعْتُ رَاْحِلَـــــةً كَأَنَّ ضُلُوعَهَا مِن نَصِّ راكبِها سَقائفُ عَرْعَرِ»

«حَرَجاً إذا هَاْجَ السَّرابُ على الصُّوى واستَنَّ فـي أُفُقِ السَّمَاءِ الأَغْبَرِ»

وحَرَجاً : من صفة راحلة . ولذلك نصبه . وتقديره : راحلة مثل حرج فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامَهُ . والأغبر : هو من صفة الأفق . وجواب إذا محذوف دَلّ عليه ما قبله . أي رفتها في السير .

– ٨ –

«وقال علقمة أيضاً» :

«ومَوْلىً كَمَوْلَى الزِبْرِقَاْنِ دَمَلْتُهُ كما دُمِلَتْ سَاقٌ تُهَاْضُ بها وَقْرُ»

ومولى كمولى : مولى مخفوض بواو رُبَّ . ودملتُهُ : جوابها .وكما : موضع الكاف : نصب على النعت لمصدر محذوف . ووقر : مبتدأ . وبها : خبره والجملة في موضع الحال . وأراد وبها . . . فحذف الواو .

«إذا ما أحالَتْ والجَبَائِرُ فَوْقَهَــا أَتَى الحَوْلُ لا بُرْءٌ جَبِيْرٌ ولا كَسْرُ»

والجبائر فوقها : مبتدأ وخبر ، في موضع الحال . ولا بُرْءٌ : لا : نفي بمعنى ليس . وبُرْءٌ اسمها . وخبرها محذوف . أي موجود . وإن شئت رفعت بُرْء على أنَّه مبتدأ .وجاز أن يْكون مبتدأ وهو نكرة لاعتماده على النفي[1] والخبر محذوف . وجبير : يحتمل أن يكون خبره . ويحتمل أن يكون صفة ، أي لا برء جبير ولا كسر ، موجودان فحذف الخبر .

١ – يقول السيوطي : يجوز الابتداء بالنكرة بشرط الفائدة .وتحصل غالباً بأحد أمور . أولُها : أنْ تكون وصفاً كقولهم : ضعيف عاذ بقرملة . أي حيوان ضعيف التجأ إلى ضعيف والقرملة الشجرة الضعيفة . الثاني : أن تكون موصوفة . . . والخامس والعشرون : أن يَسْبِقَهُ نَفْيٌ نحو : ما رجل في الدار . واستفهام نحو أإله مع الله . . . . الخ .
انظر الهمع ١٠١/١ وانظر شرح الأشموني ٨٩/١ .

«تَرَاه كــأنَّ الله يَجْدَعُ أَنْفَهُ وعَيْنَيهِ إنْ مولاهُ ثَابَ لَهُ وَفْرُ»

ويجدع أنفه وعينيه : أراد ويفقأ عينيه . كما قال الآخر :[1]

يَا لَيْتَ بَعْلَكِ قــدْ غَدَا مُتَقَلِّــداً سَيْفاً وَرمْحــا

أي وحاملاً رمحاً . وإن مولاه تاب : مولاه . فاعل بمضمر [2] دل عليه غير الظاهر . أي إنْ وَجَدَ مولاه . ولا يجوز أنْ يعمل فيه فعل من جنس الظاهر ، لتعديهِ بحرف الجر . ولا يتعدى بحرف الجر .

ولا يجوز إضماره ، لِمَا يؤدي إليه من إضمار حرف الجر فيضمر من معناه كما قيل في قوله تعالى :[3] «والظالمين أعدَّ لَهُم عذاباً أليْمَاً»

تقديره ويعذب الظالمين . ودل على جواب الشرط ما قبله . وقد يجوز أن يرتفع «مولاه» بالابتداء وما بعده خبر . وتلي إن الشرطية الأسماء مجازاً واتساعاً[4] وفي القرآن[5] :

١ – ذكره المبرِّد في الكامل ص ٤٣٢ و ٤٧٧ تحقيق محمد الدالي . مؤسسة الرسالة . وهو بيت لعبد الله ابن الزبعرى وهو بلا نسبة في المقتضب ٥١/٢
قال ابن منظور : وقوله
يا ليت زوجك قد غدا متقلداً سيفاً ورُمْحَا
أي حاملا رمحاً . قال : وهذا كقول الآخر : علفتها تبناً وماءً بارداً .
أي وسقيتها ماءً بارداً .
لكنه لم ينسبه إلى قائل : اللسان / مادة قلد . ٣٦٦/٣ .

٢ – هذا مذهب البصرة في الأسماء التي تلي إذا وإنْ الشرطيتين انظر تفصيل ذلك : في المسألة رقم ١٢ الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين .

٣ – الإنسان / ٣١

٤ – هذا الرأي ذهب إليه الأخفش من البصريين ومؤداه أن الاسم الواقع بعد إنْ الشرطية مبتدأ وخبره الجملة بعده انظر معاني القرآن للأخفش جـ٢ ص ٥٣٤ وانظر المسألة رقم ١٢ في الإنصاف في مسائل الخلاف/ للأنباري .

٥ – التوبة/ ٦

«وإنْ أحَدٌ مِنْ المُشْرِكِيْنَ اسْتَجَارَكَ»

و[1] «وإنْ طَائِفَتَانِ من المؤمنين اقْتَتَلُوا»

وفي الكلام : إنِ الله أمكنني من فلان قتلته .

«تَرَى الشَّر قد أفْنَى دَوَائِرَ وَجْهِهِ   كَضَبِّ الكُدَى أفْنَى أنَامِلَهُ الحَفْرُ»

وقد أفنى : جملة في موضع الحال من الشر . وكضب الكدى : موضع الكاف نصب لوقوعه موقع مصدر محذوف . أي إفناء كإفناء براثن الضب . وأفنى أنامله : جملة موضعها نصب على الحال ، على تقدير قد المُقَرِّبة للماضي من الحال . أي مغنياً .

- ٩ -

«وقال علقمة ايضا» :

«وَشَامِتٍ بي لا تخفى عَدَاوَتُهُ   إذا حِمامِيَ ساقتــهُ المَقَادِيْرُ»

«وشامت بي لا تخفى عداوته» : أي ورُبَّ شامتٍ بي . وحمامي : فاعل بفعل مضمر[2] أو مبتدأ وخبره في «ساقته المقادير» ودل على جواب إذا ما قبله . أي شَمِتَ بي ، أو ظهرت عداوته .

«إذا تضمَّنَنِي بيت برابيـــةٍ   أبَوا سِرَاعاً وأمْسَى وهو مهجور»

وسراعاً : حال من الضمير في آبوا . «وهو مهجور» : جملة موضعها نصب على الحال . وأمسى : تامة ويجوز أن تكون ناقصة . والجملة خبر . ورجع إلى الأخبار .

---

١ - الحجرات / ٩ .

٢ - انظر هامش رقم (٢) ص ٢٠٣ .

«فلا يَغُرَّنْكَ جَرِّي الثَّوْبَ مُعْتَجِراً إني امرؤٌ فِيَّ عِنْدَ الجِدِّ تَشْمِيْرُ»

ومعتجراً : حال من الضمير المخفوض في جري . وتشمير : مبتدأ وخبره قبله في المجرور . «وفي» متعلقة بمحذوف وهو الذي يعمل في عند . والجملة من صفة امرىء .

«شَاروا جميعاً وقد طال الوجيفُ بِهْم حتى بَدَا واضِحُ الأقراب مشهورُ»

وقد طال الوجيف : جملة في موضع الحال .

«ولم أُصبِّح جِمَامَ المَاءِ طاويــةً بالقـومِ ورْدُهمُ لِلْخَمْسِ تَبْكِيرُ»

وطاوية : مفعولة بأصَبِّح . أي إبلاً طاوية . فحذف الموصوف .

«تباشروا ، بعدما طَالَ الوجيفُ بِهم بالصَّبحِ لَمَّا بَدَتْ منْهُ تَباشِيْرُ»

وبعد ما طال . ما مع الفعل بتأويل المصدر . أو كافة . وبالصبح الباء متعلقة بتباشروا .

فهرس المصادر والمراجع

١ - ابن جني ، أبو الفتح عثمان - الخصائص - ت محمد علي النجار - دار الهدى - الطبعة الثانية بيروت . (د .ت) .

٢ - ابن جني ، اللمع في العربية - ت فائز فارس - دار الكتب الثقافية الكويت (د .ت) .

٣ - ابن رشيق القيرواني - العمدة - القاهرة - ١٩٣٤ .

٤ - ابن عقيل - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك - المكتبة التجارية الكبرى بمصر ت : محمد محيي الدين - القاهرة - ١٩٦٧ .

٥ - ابن فارس - الصاحبي في فقه اللغة . ت مصطفى الشويمي - مؤسسة بدران ، بيروت - ١٩٦٣

٦ - ابن قتيبة الدينورى - الشعر والشعراء - القاهرة ١٩٦٦ .

٧ - ابن منظور - لسان العرب - دار صادر - بيروت (د .ت)

٨ - ابن هشام الأنصارى - شذور الذهب - مطبعة محمد علي صبيح القاهرة - ١٩٦٦ .

٩ - ابن هشام الأنصاري - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب - ت محمد محيي الدين . مطبعة التراث العربي بيروت - (د .ت)

١٠ - الأخفش - معاني القرآن - ت فائز فارس - الكويت - ١٩٨٠ .

١١ - الإشبيلي - ابن عصفور - المقرب في النحو - ت أحمد عبد الستار وآخر . مطبعة العاني بغداد - ١٩٧١ .

١٢ - الأشموني - شـرح الأشموني علـى ألفية ابـن مالـك - دار الكاتب العربي ، بيروت - (د .ت)

١٣ - الأنباري - أبو البركات - الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين - ت محيي الدين عبد الحميد - دار إحياء التراث العربي القاهرة ١٩٦١ .

١٤ - الأصفهاني - أبو الفرج - الأغاني - طبعة بيروت - ١٩٦٤ .

١٥ - الحويسكي - زين - الزوائد في الصيغ العربية (في الأسماء) . دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية ١٩٨٥ .

١٦ - ديوان علقمة - جمع وتحقيق - لطفي الصقال ودريّة الخطيب دار الكتاب العربي - حلب - ١٩٦٩ .

١٧ - ديوان امرىء القيس - ت حسن السندوبي - المكتبة الثقافية ، بيروت - ١٩٨٢ .

١٨ - الرماني - أبو الحسن - معاني الحروف - ت عبد الفتاح شلبي . دار نهضة مصر . القاهرة (د .ت) .

١٩ - الرضي الأستراباذي - شرح الكافية في النحو - دار الكتب العلمية ، بيروت - ١٩٧٩ .

٢٠ - الزركشي - بدر الدين - البرهان في علوم القرآن - دار المعرفة ، الطبعة الثانية - (د .ت)

٢١ - سيبويه - أبو بشر عمرو بن عثمان -الكتاب - طبعة بولاق .

٢٢ - سيبويه - أبو بشر عمرو بن عثمان - الكتاب ت عبد السلام هارون ، الهيئة العامة - القاهرة ١٩٧٧ .

٢٣ - السيوطي - جلال الدين - الأشباه والنظائر في النحو - المكتبة الأزهرية - القاهرة - (د .ت) .

٢٤ - السيوطي - جلال الدين - همع الهوامع - دار المعرفة للطباعة - بيروت - (د .ت) .

٢٥ - الفارسي - أبو علي - الإيضاح العضدى - ت حسن فرهود - دار المطبوعات الجامعية -الجزائر ١٩٨٤ .

٢٦ - المبرد - أبو العباس - المقتضب ت . عبد الخالق عضيمة ، القاهرة - ١٣٨٥ هـ .

٢٧ - الهروي - الأزهية في علم الحروف - ت عبد المعين الملوحي ، دمشق - ١٩٧١ .

٢٨ - بروكلمان ، كارل ، تاريخ الأدب العربي - دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٧٧ .

٢٩ - ابن الأبار - التكملة لكتاب الصلة ، طبعة إسبانية - ١٩٨٦ .

٣٠ - الفراء ، أبو زكريا - معاني القرآن - عالم الكتب - بيروت ١٩٨٠ .

٣١ - البطليوسي - أبو بكر عاصم ، شرح الأشعار الستة ، تحقيق : ناصيف عواد - وزارة الإعلام ، العراق ١٩٧٩م .

ثالثاً : تعليقات ومناقشات

مسألة لأبي عبد الله محمد بن مالك على قوله تعالى :

(إنّ رحمةَ اللهِ قريبٌ مِنَ المحسنين)

تقديم وتحقيق
محمد وجيه تكريتي
اوكسفورد

المؤلف وآثاره :

صاحب هذه الرسالة محمد بن عبد بن مالك العلامة جمال الدين أبو عبد الله الطائي الجياني الشافعي النحوي . ولد في جيان من أعمال الأندلس سنة ٦٠٠ أو ٦٠١ للهجرة ، وفيها تلقى علومه الأولى . ورحل في شبابه الأول إلى المشرق العربي ، واختار دمشق موطناً أخيراً له ، إلى أن مات فيها سنة ٦٧٢هـ بعد أن صار إمام النحاة وحافظ اللغة لسنوات غير قليلة .(١)

ولابن مالك مؤلفات كثيرة غير هذا الذي بين يدينا . وما تركه لنا كان متنوعاً من حيث الموضوع ومن حيث الشكل . أما الأول فقد تجسد فيما تركه من كتب اللغة والنحو والقراءات . وأما الثاني فإن ما وصلنا منه جاء بشكل كتاب كبير ، أو متوسط ، كما جاء رسالة أو أرجوزة في أبيات كثيرة أو قليلة .

ومن تلك المصنفات أذكر الآتي :

١ - تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد .

٢ - شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد .

(١) مصادر ترجمة ابن مالك غير قليلة ، منها : بغية الوعاة للسيوطي ج١/ص ١٣٠ - ١٣٥ ، والأعلام للزركلي ٦/٢٢٣ ، وتاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ٥/٢٧٥ - ٢٩٦ .

٣ - الخلاصة الألفية .

٤ - لامية الأفعال .

٥ - الكافية الشافية .

٦ - الاعتماد في نظائر الظاء والضاد .[١]

٧ - سبك المنظوم وفك المختوم .

٨ - إيجاز التعريف في علم التصريف .

٩ - شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح .

١٠ - الألفاظ المختلفة .

١١ - أرجوزة في المثلثات .

١٢ - القصيدة الدالية المالكية في القراءات .

١٣ - قصيدة في الأسماء المؤنثة .

١٤ - ذكر معاني أبنية الأسماء الموجودة في المفصل للزمخشري .[٢]

١٥ - رسالة الاشتقاق .[٣]

الرسالة وقيمتها العلمية :

لقد توقف أئمة النحو واللغة والتفسير عند تذكير (قريب) في الآية

(١) نشر هذا الكتاب الدكتور حاتم صالح الضامن ، وأعادت طباعته ثانية مؤسسة الرسالة في بيروت ١٩٨٤م .

(٢) كنت حققت هذا المؤلَّف ونشرته مجلة مجمع اللغة العربية الأردني في العدد (٣٣) ١٩٨٧م .

(٣) وقد حققت هذه الرسالة ونشرتها مجلة مجمع اللغة العربية الأردني في العدد (٣٨) ١٩٩٠م .

الكريمة : ﴿إنَّ رحْمَةَ الله قريبٌ مِنَ المُحْسِنين﴾[1] . وقد تباينوا في ذكرهم للآراء والتأويلات . فمنهم من اقتصر على تأويلات قليلة ، كما فعل الجوهري (ت ٣٩٦هـ) في مُعجمه (الصحاح) إذ قال :

«ولم يقل قريبة ، لأنه أراد بالرحمة الإحسان ، ولأن ما لا يكون تأنيثه حقيقياً جاز تذكيره وقال الفرّاء : إذا كان القريب في معنى المسافة يذكر ويؤنث ، وإذا كان في معنى النسب يؤنث بلا اختلاف بينهم» .[2]

وابن عقيل (ت٧٦٩هـ) في شرحه على ألفية ابن مالك ، فقد قال :

«وربما كان المضاف مؤنثاً فاكتسب التذكير من المذكر المضاف إليه ، بالشرط الذي تقدم [3] ، كقوله تعالى : ﴿إنّ رحمَة الله قريبٌ مِنَ المُحسنين﴾ فـ (رحمة) : مؤنث ، واكتسبت التذكير بإضافتها إلى (الله) تعالى»[4] .

ومنهم من جمع تأويلات مطولة ، ومتعددة ، وجعلها في فصل من فصول مصنف ضخم ، كما فعل جلال الدين السّيوطي (ت٩١١هـ) في كتابه : (الأشباه والنظائر في النحو)[5] ، وشهاب الدين الألوسي (ت١٢٧٠هـ) في كتابه : (روح المعاني) [6] .

ولكننا ملاقون رجالاً أفردوا للمسألة مصنفاً خاصاً ، كما نرى لدى

---

١ - الأعراف / ٥٦ .

٢ - الصحاح ، مادة : (قرب) .

٣ - وهو أن يكون المضاف صالحا للحذف وإقامة المضاف إليه مقامه ، ويفهم منه ذلك المعنى ، شرح ابن عقيل ٤٩/٢ - ٥٠ .

٤ - المصدر السابق ٥٠/١ - ٥١ .

٥ - الجزء ٣/ص١٣٦ - ١٥٢ .

٦ - الجزء ١٤١/٨ - ١٤٦ .

ابنِ مـالك ، وهو المصنف الذي نتناوله اليـوم ، وابن هشـام الأنصـاري (ت٧٦١هـ) [١] .

وها هنا تظهر لدينا أهمية مصنف ابنِ مالك في : ﴿إنّ رحمةَ اللهِ قريبٌ مِنَ المُحسنين﴾ لِمَا احتوى عليه من آراء وتأويلات نحوية ولغوية مدعمة بالشواهد المختلفة ، وهو إلى جانب هذا يقدم لنا جانباً مِنَ المعرفة النحوية واللغوية والعلمية عند ابن مالك ، فيكمل هذا المصنَّف بذلك قائمة مؤلفات هذا النحوي ، تلك القائمة التي كثيراً ما استوقفت الدارسين والباحثين . ولست أبتعد عن قول في هذا المصنف ، ساقه الدكتور عبد الفتاح الحموز في مقدمته لـ (مسألة الحكمة في تذكير قريب في قوله تعالى : ﴿إنّ رحمة الله قريب من المحسنين) ، وهو يقوّم عمل ابن هشام المماثل ، قال فيهما : «يُعدّان عمدة الباحثين والدارسين في تذكير (قريب) في قوله تعالى : ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ .»[٢] .

بين ابن هشام وابن مالك :

ذكرنا أنّ ابن هشام الأنصاري وضع مؤلفاً على غرار مؤلف ابن مالك ، في موضوع الرسالة هذه ، ونحسب أنّ مقارنة بين المصنفين قد تقدم فائدة للقارىء ، وإنْ كانت مقارنة مقتضبة .

أما ابن مالك فقد جاء بشواهد من الشعر ، ثم القرآن الكريم ، فالحديث الشريف ، تبعا لأغلب اعتماده .

---

(١) القادم بعد قليل .

(٢) مقدمة مسألة الحكمة في تذكير قريب في قوله تعالى : (إن رحمة الله قريب من المحسنين)ص٢٢

وبلغ عدد شواهده من الشعر عشرة . ذكر شاهداً واحداً لكل من :
الأعشى ميمون ، ورويشد بن كثير الطائي ، وحسّان بن ثابت ، وذي الرمة ، وامرىء القيس ، والفضل بن عباس ، تبعاً لترتيب ذكرها في المصنف . ولكنه جاء بأربعة شواهد لا يعرف قائل كل منها . وقد ترك الشواهد بلا نسبة إلا واحداً ، وهو شاهد امرىء القيس .

وبلغ عدد شواهده من القرآن الكريم ثمانية . وجاء بحديث شريف واحد .

ومعنى ذلك أنّ الرجل وفق في هذا المصنف الصغير بين مصادر السماع . ومما يذكر له أنه لا يأخذ بالنادر ، لأنه لا يُبنى عليه حكم ، والنادر لديه أقل درجات السماع وأضعفها ، قال :

«الظاهر أن ذلك القائل إنّما أراد حمل (فعيل) على (فعول) مطلقاً ، واستدل على ذلك بقول امرىء القيس في صفة امرأة :

فتور القيام قطيع الكلا ... م تفتر عن ذي غروب خصر

والاحتجاج بهذا ساقط من وجوه : أحدها أنه نادر ، والنادر لا حكم له ولو كثرت صوره وجاء على الأصل ، كاستحوذ على الأمر ، وأعول ، واعور ، واعوم ، واغيمت السماء ، واستنوق البعير ، ومما يدور ولم تكثر صوره ولا جاء على الأصل أحق بأن لا يكون له حكم .» .

وقد ذكر ابن مالك ستة آراء ، أغفل نسبتها إلى قائليها ، كما أغفل ردها ، لكنه استحضر رأياً سابعاً ، ضعفه ورده متوسلاً بالتأويلات والاحتجاج .

وأما ابن هشام فقد ذكر أربعة عشر وجهاً في تذكير (قريب) ، فكان أكثر استقصاء وجمعاً ، على حين اختار ابن مالك أوجهها وأكثرها شيعاناً[1] .

---

(١) انظر مقدمة محقق (مسألة الحكمة) ص١٩ .

وجاءت شواهد ابن هشام من القرآن الكريم ، والشعر ، والحديث الشريف وفقاً لأكثر اعتماده عليها . فقد ذكر ثلاثة عشر شاهداً من القرآن الكريم ، وسبعة شواهد من الشعر ، وذكر حديثاً شريفاً واحداً .

وقد ذكر شاهداً واحداً لكل من : حسّان بن ثابت ، وامرىء القيس ، والأعشى ميمون ، تبعاً لذكرها في المصنف . وجاء بثلاثة شواهد لا يعرف لها قائل ، وذكر شاهداً واحداً لمولّد .

وقد نسب شاهدين من شواهده الشعرية إلى قائليهما ، وهما : حسّان ابن ثابت ، وامرؤ القيس . ونسب بعض الآراء والأقوال إلى أصحابها ، كما حكى قولاً عن ابن مالك ، قال :

«العاشر أنّ فعيلاً مطلقاً يشترك فيه المذكر والمؤنث ، حكى ذلك ابن مالك عن بعض من عاصره» .[1]

غير أن ابن هشام ردّ معظم الآراء التي ساقها ، وأيد رأيين اثنين منها ، هما :

١ - فَعيل بمعني فاعل مشبه بفَعِيل بمعنى مَفْعول .

٢ - قد يُراد بالرّحمة المطر . وهذا مذكر[2] .

ولم يذكر الرأي الثّاني ابن مالك .

---

١ - مسألة الحكمة ص ٥٤ .

٢ - انظر مقدمة محقق مسألة الحكمة ص ٢١ .

الرسالة مخطوطة، ومعالم التحقيق :

وقفت على نسخة خطّيّة وحيدة لهذه الرسالةِ في مكتبة الظّاهرية بدمشق (١) ، أولُها :

«بسم الله الرحمن الرحيم ، عفوك اللهم . مسألة من إملاء الشيخ الإمام العالم جمال الدين أبي عبد الله محمد بن مالك ، رحمه الله تعالى ، على قوله تعالى : ﴿إنّ رحمةَ اللهِ قريبٌ مِنَ المُحسنين﴾ . فَعيل وفَعول مشتبهان في الوزن والدّلالة على المبالغة والوقوع بمعنى فاعل وبمعنى مفعول . . . . .» .

وآخرها : «وإن جعل (قطيع) مبنياً على (قطع) ، كسريع من سرع فحقه على ذلك أن تلحقه التاء عند جريه على المؤنث ، إلا أنه شبه بفعيل الذي بمعنى مفعول ، فأجري مجراه ، والله أعلم .» .

والنسخة ضمن مجموع يحمل الرقم : (١٥٩٣) ، تامة ، قديمة ، جيدة . وخطها النسخ العادي ، وفيه بعض الشكل .

وقد ترك للنص هامش بعرض ٣سم ، وتقع في خمس ورقات (٧٧ب - ٨١ب)ق ، ومساحة الورقة ٥ر١٨×١٦سم ، وفي الورقة ١٨ سطراً ، والسطر نحو ٩ كلمات . وتكاد تخلو النسخة من الأخطاء النحوية ، مما يدل على ثقافة الناسخ ودرايته .

الناسخ عبد الرحمن بن أبي بكر بن أحمد بن مالك التفزي الأندلسي ، وتاريخ النسخ يوم السبت ١٤شعبان سنة ٧٣٨هـ ، وهو تاريخ نسخ المجموع . وعلى المجموع تملك تاريخه سنة ٩٠٥هـ وعلى رسالة من رسائله وقف المدرسة العمرية .

* * *

وليس من شك في أن الاعتماد في التحقيق على نسخة وحيدة للنص أمـر قـد لا ينجي من الوقـوع في الأوهام والأخطاء ، وعلى الرغم من ذلك مضيت في إخراج النص بعون الله تعالى . وكان لوضوح الخط ، ووجود النص - وإنْ لم يكن متطابقا تماما - في كتاب (الأشباه والنظائر في النحو) لجلال الدين السـيوطي (ت ٩١١هـ) ، إلى جـانب أجـزاء منه في كـتب ومـصـادر أخرى ، وكذلك نشر مصنف مماثل للرسـالة التي بين يدينا ، أثر في إقدامي على إخراج هذه الرسالة .

وأهم مبدأ سَعيت إليه في إخراج النص تقديمه بصورة لغوية صحيحة ، ولذلك وثقت - مـا اسـتطعت - الآراء التي لم تنسب إلى أصـحـابـهـا ، وخرجت الشواهد . وجعلت ذلك في الحواشي .

وقد وضعت الإشارة (/) لتدل على بداية الصفحة في المخطوط ، وعلى جانبيها (أ) لوجه الورقة و(ب) لظهرها ، مقابل رقم الورقة ، وذلك على هامش النص .

وجعلت الآيات الكريمة بين قوسين مزهرين ﴿ ﴾ ، والحديث الشريف بين قوسين كبيرين ( ) . وذكرت أمام الشاهد الشعري وفوقه بَحْرَهُ ، وذلك بين معقوفين : [ ] ، كما وضعت رقم الشاهد إلى يمينه .

بسم الله الرحمن الرحيم ٧٧/ ب

عفوك اللهمّ

مسألة من إملاء الشّيخ الإمام العالم جَمال الدّين أبي عبد الله مُحمد بن مالك، رَحِمه الله تعالى، على قولِه تعالى: ﴿إنّ رحْمةَ اللّه قريبٌ منَ المُحْسنين﴾

(فَعِيلٌ) و(فَعُول) مشتبهان في الوَزنِ والدَّلالةِ على المُبالَغةِ والوقُوعِ بمعنى فَاعلٍ وبِمعنى مَفْعولٍ، إلاّ أنّ (فَعِيلاً) أَخَفُّ مِنْ (فَعُولٍ)، فَلِذَلِكَ فَاقَهُ بِأَشْياء.

مِنْهَا كثْرةُ الاستغناءِ بِهِ عَنْ فَاعِلٍ في المُضَاعَفِ، كَجليلٍ وَ خَفيفٍ وَصَحيحٍ وعَزِيزٍ وَذَليلٍ. وَإنّما حَق هذهِ الصّفات أَنْ تَكُونَ عَلى زِنَةِ فاعلٍ، لأنّها مِنْ فَعَلَ يَفْعِلُ، فَاسْتُغني فيها بفَعِيلٍ، ولا حَظَّ لِفعُولٍ في ذَلِكَ.

وَمِنْهَا اطِّرادُ بِنَائِهِ مِنْ فَعُلَ، كَشَرِيفٍ وَظَرِيفٍ وَكَرِيمٍ وَعَظِيمٍ وَجَمِيلٍ وَنَبِيلٍ، وَلَيْسَ لِفَعُولٍ فِعْلٌ يَطّرِدُ بِناؤهُ مِنْهُ.

وَمِنْها كَثْرَةُ مَجيئه في أسماءِ اللّهِ تَعالى، كَسَميعٍ وَبَصيرٍ وَنَصيرٍ وَقَديرٍ وَخَبيرٍ وَعَليمٍ وَحَليمٍ وَعَزيزٍ وَحَكيمٍ ومَجيدٍ وحَميدٍ وَعَظيمٍ وَعَلِي وقَوي وَشَهيدٍ وَحَفيظٍ وَحَسيبٍ وَرَقيبٍ، وَلَمْ يَجِيءْ فيها (فَعُول)، إلاّ رَؤُوف وَوَدُود وَعَفُو وَغَفُور وَشَكُور. وَإِذَا ثَبتَ أنّهُ فائق (لِفَعُول) في الاستعمالِ فَلا يليقُ أَنْ ٧٨/ أ يَكونَ لَهُ تبعاً، بَلِ الأولى أَنْ يَكونَ الأمرُ بالعكسِ، أَوْ ينفرد كلّ منهما بِحُكْمٍ هُو بِهِ أَوْلَى. وَهَذا هُوَ الواقعَ، فإنّهم خَصّوا (فَعُولاً) المُفهِمَ معنى (فَاعِل) بِأَنْ لا

تَلحقهُ التاءُ الفارقةُ بَيْنَ المُذكّرِ وَالمُؤنّثِ ، وَأنْ يَشتركا فيهِ فَيُقال : رَجُلٌ صَبُورٌ وشَكُورٌ ، وَامـرأةٌ صَبُورٌ وشَكُورٌ ، وَكَذلكَ مـا أشـبـهـهـمـا ، إلاّ مَا شَذَّ مِنْ عَدو وَعدوة ، فَإنْ قصـد بالتـاءِ المُبالغة لحقتِ المُذكّر والمؤنثَ ، فَقيل : رَجُلٌ مَلُولةٌ وَفَرُوقَةٌ ، وَامرأةٌ مَلُولةٌ وَفَرُوقةٌ . وَلا يقدم على هذا النوع إلاّ بنقل ، فَإنْ لَمْ يقصدْ بهـذا الوزنِ مَعْنى (فـاعل) لحقتـه أيْضـاً ، كَحَلُوبَة ورَكُوبة وَرَغُوثَة . وَلَيْسَ في شَيءٍ مِنْ هَذا إلاّ النّقل . فَلمّا كـانَ (لفَعيل) عَلى (فَعُول) مِنَ المَزيةِ مـا ذَكَرْتُهُ استَحَقّ أَنْ يَختصّ بأَحوطِ الاستِعَمـالين ، وَهوَ التّمـييزُ بَيْنَ المُذكّرِ والمُؤنّث ، كَجَميل وَجَميلة وصَبيح وَصَبيـحـة وَ وَضِي وَوَضيـة وَمَليح وَمَليـحـة وَشَريف وَشَريفة وَظَريف وظَريفة . فَإنْ كانَ (فَعيل) بِمَعْنى (مَفْعول) وَصَحبَ المَوصوفَ استـوى فيـهِ المَذكـرُ والمؤنثُ ، كـرَجلٍ قَتيلٍ ، وامـرأة قَتيل . فَإنْ لمْ يصـحَب الموصـوفَ وقُصِدَ تَأنيثُه أُنّثَ ، نَحو : رَأيتُ قَتيلةَ بَني فُلانٍ . هَذا هُو المعروفُ . وَمَا وَرَدَ خِلاف ذلكَ عـدّ نَادراً ، أو تلطفَ في تَوْجيـهـهِ بِمَا يلحـقُه بالنّظائرِ ، وَيبـعـدُهُ عنِ الشّذُوذ/ فَمِنْ ذَلكَ قَوله تَعالى : ﴿إنّ رَحْمـةَ اللّهِ قَريبٌ ٧٨/ب مِنَ المُحْسنين﴾[1] ، وَفيهِ سِتّةُ أقوالٍ :

أحَدُهَا أنّ (فَعيـلاً) فيـهِ ، وَإنْ كَانَ بِمَعْنى (فَاعِل) ، قَدْ جـرَى مَجْرَى (فَعيلٍ)الذّي بِمَعْنى (مَفْعُولٍ) في عـدم لحاقِ التاءِ ، كَما جَرَى هُوَ مَجْرَاه في لحاقِ التـاءِ حِينَ قـالوا : خـصلةٌ حَمـيـدةٌ ، وَفِعلةٌ ذَمـيـمـةٌ بِمـعنى مَحْمُودة وَمَذْمُومة ، فحمـلا على جَميلةٍ وقَبيحة في لحاقِ التّاءِ ، وَكَذلكَ (قَريب) في الآيةِ الكَريمةِ ، حُمِلَ عَلى : عَين كَحيل ، وَكَفٌّ خَضيب ،وأشباههما في الخلوّ

---

١ - الأعراف /٥٦ .

مِنَ التَّاءِ . وَنَظِيرُ ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحسِنِينَ﴾ قَوْلُهُ تَعالى : ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيم﴾[1] .

الثَّاني أنّه مِنْ بَابِ تأوّلِ المُؤنَّثِ بِمُذَكَّرٍ مُوَافِقٍ في المَعْنى ، كَقَولِ الشَّاعِرِ :

[من الطويل]

(١) أَرَى رَجُلاً مِنْهُم أَسِيفاً كَأَنَّمَا يضمُّ إلى كَشْحَيهِ كَفّاً مُخضّبَا[2]

فَتَأَوّلَ (كَفاً) ، وهوَ مُؤنثٌ ، بعضو ، فَذَكَّر صِفَتَهُ[3] لِذَلِكَ ، فَكَذَلِكَ تُتأوّلُ (الرَّحْمة) بالإحْسَانِ ، فيذكر خبرهَا ، وتأولُ (الرّحمة) بالإحْسَانِ أَوْلى مِنْ تَأولِ (الكَفّ) بِعُضْوٍ لِوَجْهين : أَحدُهما أَنَّ (الرُّحمةَ) مَعْنى قَائمٌ بالرَّاحِمِ . والإحْسَانُ بِرّ الرَّاحم بالمَرْحومِ . وَمَعنى القُربِ في البّرِ أظهر مِنْهُ في الرَّحْمَةِ .

١ - يس / ٧٨ . وقد ذهب إلى هذا الرأي الزمخشري ، انظر الكشاف ٨٣/٢ .

٢ - هذا البيت للأعشى ميمون بن قيس ، في ديوانه ص١٥١ ، وفي الكامل للمبرد ج١/ص١٦ ، وفي الإنصاف ٧٧٦/٢ ، وكتاب (مسألة الحكمة) لابن هشام ص ٦٠ ، واللسان في : (خضب) ، و(كفف) ، و(بكي) ، وروح المعاني للألوسي ١٤٣/٨ ، والأشباه والنظائر للسيوطي ١٣٩/٣ و١٥١ .
والأسيف : الأسير ، والكشح : الموضع من الخاصرة إلى الضلع في الخلف .
والكف مؤنثة ، قال بشر بن أبي خازم :
له كَفان كف كف ضر وكف فواضل خضل نداها
وتقول العرب : «هذه كف واحدة» ، انظر مختار الصحاح (كفف) ، و(في الأسماء المؤنثة السماعية) لأبي بكر الرازي ص ٢٤٩ - ٢٥٠ في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، العدد ٣٥ .
وقال ابن الأنباري في (الإنصاف) ٧٧٦/٢ : «فقال : (مخضباً) لأن الكف في المعنى عضو» وقال ٧٧٧/٢ : «والحمل على المعنى أكثر في كلامهم من أن يحصى . فكذلك هاهنا» .

٣ - وهي (مخضباً) . واختار هذا الوجه الثاني أبو إسحاق الزجاج ، انظر معاني القرآن ٣٨٠/٢ .

الثّاني أنَّ مُلاحظَة الإحـسـانِ في (الرَّحـمـةِ) المَوْصُوفَةِ بالقُربِ مِنَ (المُحسنين) مقابلةٌ للإحْسَانِ الذي تضمَنهُ ذِكْرُ (المُحسنين) ، فاعتبارُها يزيدُ المَعْنى قُوةً ، واللّفظَ جَزَالَةً ، فَصحّت/ الأولويـةُ . ومِنْ تأولِ المؤنّثِ٧٩/ أ بِمذَكَرٍ مَا أنشدَ الفراءُ مِنْ قَولِ الشّاعرِ :

[من المتقـارب]

(٢) وَقَائعُ فِي مُضَر تِسْعَـةٌ وَفي وائلٍ كَانَتِ العَاشِرَهْ[1]

فَتـأولَ (الوقـائع) بأيام الحُروب فَذَكَر العـدَدَ الجَاري عليـهَا ، فَقـالَ : (تِسْعة) ، فَلولا ذَلك لقالَ : (تِسْع) ، لأنّ الوقائعَ مؤنّثةٌ ، وإذَا جَازَ تأوّلُ المذكّر بِمُؤنّثٍ في قَوْلِ مَنْ قالَ : (جَاءته كِتابي) ، أي : صَحيفتي ، وفي قَولِ الشّاعرِ :

[مـن البسيـط]

(٣) يَا أَيُّها الرّاكبُ المُزجي مَطيَّتهُ سَائِلْ بَني أَسَدٍ/ : مَا هذهِ الصَّوْتُ؟[2]

أي : الصّيحـة ، مَعَ أنّه حَملُ أصْلٍ عَلى فَرْعٍ ، فـلأنْ يجـوزَ تَأولُ مـؤنّث بمذكرٍ ، لِكَونهِ حَمل فَرْعٍ عَلى أَصْلٍ ، أحَق وَأَوْلَى .

---

١ - لم أقف على قـائل هذا البـيت ، وهو في الإنصـاف ٢/٧٦٩ ، وفـيـه (وائل) ، وفي الأشباه والنظائر ٣/١٣٩ . والوقائع : المعارك ، ومفردها : وقيعة .

٢ - هذا البيت لرويشـد بن كـثير الطائي ، وهو في الإنصـاف ٢/٧٧٣ ، وشـرح المفصل ٥/٩٥ وخزانة الأدب ٢/١٦٧ ، واللسان : (صوت) .

والمزجي : السائق ، والمطية : ما يركبه الإنسان . وفي اللسان أنّ الشاعر أراد بالصوت الضوضاء والجلبة ، على معنى الصيحة ، والاستغاثة .

وقال ابن سيده : «وهذا قبيح» يعني تأنيث المذكر ، لأنه تركٌ للأصل وخروجٌ إلى الفرع والجائز لديه رد التأنيث إلى التذكير ، لأنّ الثاني هو الأصل .

الثّالثُ مِنْ تَوْجيهاتِ الآيةِ الكريمةِ ، أنْ يَكونَ مِنْ حَذْفِ المُضافِ وإقامةِ المُضافِ إليهِ مقامَهُ معَ الالتفاتِ إلى المحذوفِ ، فَكَأنّهُ قَالَ : إنّ مَكانَ رَحْمةِ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ المُحسنين ، ثُمّ حَذَفَ (المَكان) وأعطَى الرّحْمَة إعْرابَهُ وَتذكيرَهُ ، كَمَا قَالَ الشّاعِرُ :

[مـن الكامـل]

(٤) يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ البَرِيصَ عَليهِمُ ... بَرَدَى يُصَفّقُ بالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ[١]

فَقَالَ : (يُصفق) بِالتذكيرِ ، و(بَرَدى) مُؤنّثة ، لأنهُ أراد : ماء بَردى .

وَمِثْلُ هَذا قَولُ النّبي صَلّى اللهُ عليهِ وسَلّمَ ، مُشيراً إلى الذّهَبِ والحَريرِ :

((هذانِ حَرامٌ عَلى ذُكُورِ أُمّتي)) [٢] ، فَقَال : (حَرام) بِالإفْرادِ ، والمُخبرُ عَنْهُ في اللفْظِ اثنان ، لأنّه أرادَ استعمالَ (هذين حَرام) .

الرّابعُ مِنْ تَوجيهَاتِ/ تَذْكير خَبر (الرّحمة) أَنْ يَكونَ مِنْ بَابِ ٧٩/ ب حَذْفِ المَوْصُوفِ وَإقامَةِ الصّفَة مقامَه ، كَأنّه قَالَ : إنّ رَحْمَةَ الله شَيءٌ قَريبٌ مِنَ المحسنين ، أوْ لطف ، أوْ بر ، أوْ إحسان ، أوْ نحو ذلك . وحَذْفُ المَوصُوفِ وإقامةُ صِفَتِهِ مقامه سَائغٌ ، وَمِنْهُ قولُ الشّاعرِ :

[من السريع]

(٥) قَامَتْ تُبكّيهِ على قَبْرِهِ ... مَنْ لِيَ مِنْ بَعْدِكَ يا عامِرُ؟

---

١ - البيت لحسان بن ثابت ، أمالي ابن الحاجب/٤٥١ ، والخزانة ٢/٢٣٦ . والبريص موضع بدمشق .

٢ - روي الحديث بلفظ : ((إنّ هذين حرام على ذكور أمتي)) في سنن أبي داود ٤/٥٠ رقم ٤٠٥٧ كتاب اللباس ، (باب في الحرير للنساء) ، وفي سنن ابن ماجه ٢/١١٨٩ رقم ٣٥٩٥ (باب لبس الحرير والذهب) ، وفي منهل الواردين شرح رياض الصالحين ص ٥١٥ رقم ٨٠٤ ، (باب تحريم لباس الحرير على الرجال) .

تَرَكْتَني فــي الحَــي ذا غُرْبَةٍ   قَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ لَــهُ نَاصِرُ[1]

أرادَ : تَركــتني شَخْصــاً ، أوْ إنْســاناً ذَا غُرْبَةٍ . وَلَوْلا ذَلكَ لَقَالَ : ذَات غُربةٍ .

ومثله قول الآخر :

[من الطويل]

(٦) فَلَوْ أنكِ في يَومِ الرَّخاءِ سَألْتِني   فِرَاقكِ لَمْ أبخَلْ وَأنْتِ صَديقُ[2]

أَرَادَ : وأنتِ شَخْصٌ ، أو إنْســانٌ . وَعَلى مِثْلِ هذا حَمَلَ سيبــويه قَولَهم للمَرأة : حَائض وطَامث فقالَ : كَأنهم قالوا : شَيءٌ حَائض ، وَشَيء طَامث .

الخَامِسُ مِنَ التَّوجِيهَاتِ أنْ يَكُونَ مِنْ بابِ اكتِسَاءِ المُضاف حُكَم المُضاف إليه إذا كانَ صَالِحَاً للحذْفِ والاستغناء عَنْهُ بالثاني .

والمشْهـورُ في هذا تأنيثُ المُذكرِ لإضَافَتِهِ إلى مُؤَنَّثٍ على الوجْهِ المَذْكُورِ ، كَقَولِ الشَّاعرِ :   [مــن الطويــل]

١ - هذا الشاهد لأعرابية ، في الإنصاف ٥٠٧/٢ وفيه برواية :

تركتني في الدار ذا غربة   قدذل من ليس له ناصر

وقال ابن الأنباري : «والحمل على المعنى كثير في كلامهم» (الإنصاف ٥٠٦/٢) ، والشاهد كذلك في مسألة الحكمة ص٣٨ ، وروح المعاني ١٤١/٨ ، والأشباه والنظائر ١٣٩/٣ و١٤٨ ، وفي اللسان : (عمر) ، وأنشد مثله في : (بكي) :

وما زال عني ما كنت يشوقني   وما قلت حتى ارفضت العين باكيا

فذكر (باكيا) وهي خبر (العين) ، العين أنثى ، لأنه أراد : حتى ارفضت أعين ذات بكاء .

٢ - لم أعثر على قائل لهذا البيت ، وهو في الإنصاف ٢٠٥/١ ، وشرح الكافية ١٢٥/١ ، وشرح ابن عقيل برقم ١٠٥ ، ومسألة الحكمة ص ٣٩ ، وخزانة الأدب ٤٦٥/٢ ، واللسان (صدق) ، وروح المعاني ٤١٤/٨ ، والأشباه والنظائر ١٤٠/٣ و١٤٩ . ومثله قول جميل بن معمر :

كأنْ لمْ نُقاتل يا بُثين لو انها   تكشف غماها وأنت صديق

(٧) مَشْيْنَ كَما اهتَزَّتْ رِمَاحٌ تَسَفَّهتْ أعاليها مَرُّ الرِّياحِ النَّواسِمِ[١]

فَقالَ : تَسفهتْ ، والفَاعِلُ مُذكّرٌ[٢] ، لأنهُ اكتسى تَأنيثاً مِنَ الرِّمَاحِ ، إذ/ الاستغناءُ بِها عَنْهُ . جَائِزٌ ، وَمِثْلُهُ قَوْلُ الآخر : ٨٠/ أ

[مـن الكـامـل]

(٨) بغيُ النّفوسِ مُعيدةٌ نعماءها نقماً وَإنْ عَمِهتْ وَطَال غُرورُهَا[٣]

فأنّثَ خَبَرَ (البغي) لإضافَتِهِ إلى (النّفوسِ) مَعَ الصّلاحِيةِ للاستغناءِ بِهَا عَنْهُ . وَإذَا كَانَتِ الإضَافَةُ على الوجهِ المذكورِ تعطي المضافَ تأْنيثاً لمْ يكنْ لَهُ فلأنْ تعطيهِ تَذْكِيراً لمْ يَكُنْ لهُ كَما في الآيةِ الكَريمةِ أحق وأَوْلى ، لأنَّ التّذكيرَ أَوْلى ، والرّجوُع إليهِ أسْهَلُ مِنَ الخروجِ عنهُ .

السّادِسُ مِنَ التّوجيهاتِ أنْ يَكونَ مِنَ الاستغناءِ بأحَدِ المَذْكورين لِكَوْنِ الآخر تَبعاً لهُ وَمَعْنى مِنْ مَعَانيه ، ومِنْه في أحَدِ الوجُوهِ قَولُه تَعالى : ﴿فَظَلَّتْ أعناقُهُمْ لَها خَاضِعِينَ﴾ [٤] فاستغْنَى بِخبَرِ الأعناقِ عَنْ خَبرِ أصحابِهَا .

وَيمكن أَنْ يكونَ هذا من قولِه تعالى : ﴿واللهُ ورَسُولُهُ أحَقُّ أنْ يُرْضُوهُ﴾[٥] على إعادة الضمير إلى (الله) ، وكون الأصل : والله أحق أن يرضوه ورسوله

١- البيت لذي الرمة ، غيلان بن عقبة ، في الديوان ص ٦١٦ ، والمذكر والمؤنث ص ٥٩٦ ، وابن عقيل برقم ٢٢٣ ، والأشباه والنظائر ١٤٠/٣ ، وخزانة الأدب ١٦٩/٢ ، وشواهد التوضيح ص٨٥ واهتزت : مالت ، واضطربت ، وتسفهت : مالت ، والنواسم : مفردها : ناسمة ، وهي الرياح اللينة في أول هبوبها .

٢ - الفاعل : (مر)

٣ - لم أعثر على قائل لهذا البيت . وهو في الأشباه والنظائر ١٤٠/٣ .

٤ - الشعراء /٤ .

٥ - التوبة/٦٢ .

كذلك . فاستغنى بخبرِ (الله) لأنّ إرضاءَ (الله) إرضاء رسوله ، فعلى هذا يكون الأصل في الآية الكريمة : إنّ رحمَةَ الله وهو قَريبٌ منَ المُحسنين ، فاستغنى بخبر المحذوفِ عَنْ خَبرِ الموجودِ ، وسوغَ ذَلكَ ظُهورُ المَعنى .

فهذا مُنتهى ما حَضَرني مِنَ الكلامِ على قولِهِ تعالى : ﴿إنّ رَحمَةَ الله قَريبٌ مِنَ المُحسنين﴾ .

* * *

/ وَبَلَغني أَنّ بَعْضَ الفُقهاءِ زَعَمَ أنّ إخلاءَ (قَريب) المشار إليه ٨٠/ ب مِنَ التاء لَمْ يكنْ إلاّ لأجلِ أنّ (فعيلاً) يجري مَجْرى (فَعُول) في الوقوعِ على المُذكر والمؤنّثِ بلفظٍ واحد . وَضَعْفُ هَذا القول بَيّن ، وتَزْييفُه هَيّن . وذَلكَ أنّ قائلَه إمّا أنْ يريدَ أنّ (فَعيلاً) في هذا الموضع وغيره يَسْتَحقُّ مَا يَستحقُّهُ (فَعُول) مِنَ الجري على المُذكرِ وَالمؤنّث بِلفْظٍ وَاحِدٍ ، وَإمّا أنْ يُريدَ أنّ (فَعيلاً) في هَذا الموضع خَاصّةً محْمولٌ على (فَعُول) .

فَالأولُ مَرْدُودٌ لإجْماعِ أَهْلِ العَربيّةِ عَلى التِزَامِ التّاءِ في : ظَرِيفَة وشَرِيفَة وأشْبَاهِهما وَزْناً ودلالَةً .

وَلِذلكَ احتَاجَ عُلماؤهم[1] إلى أنْ يَقولوا في قَولِه تَعالى : ﴿ولَمْ أَكُ بَغيا﴾[2] : إنّ أَصْلَهُ (بَغوي) عَلى (فَعُول) ، فَلذَا لَمْ تلحقْه التاءُ . ثُمّ أُعلّ

---

١ - ومن هؤلاء العلماء ، المازني أبو عثمان (ت٢٤٩هـ) ، والمبرد أبو العباس (ت٢٨٥هـ) ، انظر مسألة الحكمة ص ٥٥ ، وإملاء ما من به الرحمن ٦٩/٢ .

٢ - مريم / ٢٠ . وقوله تعالى (بغيا) لام الكلمة ياء ، يقال : بغت تبغي ، وفي وزنه وجهان : الأول فعول ، اجتمعت الواو والياء ، فقلبت الواو ياء ، وأدغمت وكسرت الغين اتباعا ، فلم تلحقه تاء التأنيث كما لم تلحق في : امرأة صبور وشكور .
والثاني فعيل بمعنى فاعل ، ولم تلحق التاء للمبالغة ، وفي قول لأنه على النسب كطالق وحائض . انظر إملاء ما من به الرحمن ١١٢/٢ .

بإبْدَالِ الواوِ يَاءً ، والضّمّـــةِ كَسْرَةً ، فَصَارَ لَفْظُهُ كَلفْظِ (فَعِيل) غَيْرِ مُعينٍ ، ولَوْ كَانَ (فَعيلاً) غير مغير عَنْ (فَعُول) لَلَحقَتْهُ التّاءُ .

وَالثّاني أيضاً مَرْدودٌ ، لأنه قَدْ تَقَدمَ التنبيهُ على مَا لفَعيلٍ على مَا لِفَعول منَ المَزايا ، وأنّهُ لا يليقُ به أنْ يكونَ تَبْعاً لِفَعول ، بَلِ الأَوْلى أنْ يكونَ أمرهما بالعَكْسِ ، وَلأنّ ذَلكَ القائلَ حمل (فَعيلا) على (فَعُول) ، وهُما مُختَلفان لَفْظاً وَمَعْنى .

أمّا المُخَالَفَةُ لَفْظاً فَظاهِرَةٌ ، وأمّا المُخَالَفَةُ مَعْنىً فلأنّ (قريباً) مُبالغةٌ فيه ، لأنّه يُوصفُ به كلُّ ذي قربٍ وَإنْ قَلّ ، وَ(فَعُول) المُشار إليه لا بُدّ فيه منْ مُبالَغَة ، /وَأيضاً فإنّ الدّالَّ على المُبالغَة لا بُدّ أنْ يَكونَ لهُ بنيةٌ لا مُبَالغَة ٨١/ أ فيها ، ثُمّ يقصدُ به المُبالغة ، فتغير بنيتَه ، كَضارب وضَروب وعالم وعَليم . وقَريب ليسَ كَذلك ، وَلا مُبالغَة فيه . وَالظّاهرُ أنّ ذلك القائلَ إنّما أرادَ حَمْلَ (فَعيلٍ) على (فَعُولٍ) مُطلقاً ، واستدَلَّ على ذلك بقولِ امرىءِ القيسِ في صفة امرأةٍ :

[من المتقارب]

(٩) فَتُورُ القيامِ قَطيعُ الكَلا م تَفْتَرُّ عَنْ ذي غُروبٍ خَصِرْ[1]

والاحتجاج بِهذا سَاقطٌ مِنْ وُجُوه :

أحدُها أنّهُ نَادرٌ ، والنّادرُ لا حُكمَ لهُ ولو كَثرتْ صُوَرُه وجَاءَ على الأصلِ ، كاستحوذَ على الأمرِ ، وأعول ، واعور ، واعوم ، واغيمت السماءُ ، واستنوقَ البعيرُ ، مِمّا يدورُ ، ولمْ تكثرْ صورُهُ ولا جَاءَ على الأصلِ أحق بأنْ لا يكون لهُ حكمٌ .

١ - الديوان ص ١١٠ ، وروح المعاني ١٤٢/٨ ، ومسألة الحكمة ص ٥٦ .

الثّاني أنْ يكونَ من قال : (قطيع الكلام) ، أرادَ : قَطيعة الكلام ، ثُمّ حَذَفَ التاءَ للإضافةِ فإنّها مسوغة لحذفِها عنْدَ الفراءِ وغيره مِنَ العلماء ، وَحَمل على ذلك : ﴿وَإِقَامَ الصَّلاةِ﴾[1] .

والمعروفُ في مصدر أقامَ الصلاةَ ، إقامَةً ، ولا يُقالُ : أقامَ دونَ إضافة ، كَما لا يُقالُ في مَصدرِ أرادَ : إراد ، ولا في مصدر أقالَ : إقال . وإنّما يُقالُ : إرادةً ، وإقالةً ، لأنّهم جَعلوا هذه التاءَ عِوضاً منْ ألفِ إفعال أوعَينه . فأصلُ إقامة : إقوام ، فنُقلت حركةُ العين إلى الفاءِ ، فالتقتْ ألفان ، فحذفتْ إحداهما / فجاؤوا بالتاءِ عوضاً عَنِ الألفِ معَ الإضافةِ ، فإن حذفَها 81/ب جائزٌ قياساً عندَ قومٍ ، وسَماعاً عِنْدَ آخرين . ومثلها في اللزوم تاءُ عِدة ، وأصلُه : وَعد ، فحذفت الواو ، وجعلت التاء عوضاً منها فلزمت . وقد تحذف للإضافة ، كقولِ الشاعر :

[من البسيط]

(١٠) إنَّ الخَليطَ أجدّوا البَيْنَ وارتحلوا   وأخلفُوكَ عِدَ الأمرِ الذينَ وَعَدُوا[2]

أرادَ : عِدَةَ الأمرِ . فحذف التاءَ ، وعلى هذه اللغة قرأ بعضُ القراء : ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الخُروجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾[3] . أرادَ : عدته ، فحذفَ التاءَ .

---

١ – الأنبياء /٧٣ ، والنور /٣٧ ، وانظر معاني القرآن للفراء ٢/٢٥٤

٢ – البيت للفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب . في الخصائص ٣/١٧٢ ، والأشباه والنظائر ٣/١٤١ .

٣ – التوبة /٤٦ .

الثّالثُ : أنْ يكونَ (فَعِيل) في قولِه : (قَطيع الكلام) بمعنى (مَفْعول) ، لأنّ صاحبَ المحكم حَكى أنّه يُقالُ : قطعهُ وأقطعهُ ، إذا بكته . وقَطِعَ وقَطَعَ فَهو قَطيع القول . فقَطيع على هذا بمعنى مقطوع ، أي : مبكت ، فحذف التاء على هذا التوجيه ليس مخالفاً للقياسِ ، وإنْ جعلَ (قطيع) مبنياً على (قطع) كَسَريع من (سرع) فحقه على ذلِكَ أنْ تلحقَه التاء عندَ جريهِ على المؤنثِ ، إلاَّ أنه شبه بِفعيلِ الذي بمعنى مَفْعول ، فأجري مُجْراه . واللهُ أعلم .

ثبت المصادر والمراجع

١ - الأشباه والنظائر في النحو ، لجلال الدين السيوطي ت ٩١١هـ ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ١٩٨٥م .

٢ - الاعتماد في نظائر الظاء والضاد ، لابن مالك ت ٦٧٢هـ ، تحقيق د .حاتم صالح الضامن ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٤م .

٣ - الأعلام ، لخير الدين الزركلي ، ط٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠م .

٤ - إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن ، لأبي البقاء العكبري ت٦١٦هـ دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت ١٩٧٩م .

٥ - الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، لأبي البركات الأنباري ، ت ٥٧٧هـ المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة .

٦ - إعراب القرآن ، لأبي جعفر النحاس ، ت ٣٣٨هـ ، تحقيق د .زهير غازي زاهد ، عالم الكتب ط٢ ١٩٨٥م .

٧ - بغية الوعاة ، لجلال الدين السيوطي ، ت ٩١١هـ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٩٦٤م .

٨ - تاريخ الأدب العربي ، لكارل بروكلمان ، الجزء الخامس ، ترجمة د .رمضان عبد التواب ، مراجعة د . السيد يعقوب بكر ، دار المعارف بمصر ١٩٧٥م .

٩ - تفسير ابن كثير ، ت ٧٧٤هـ ، دار القلم ، بيروت ، ط٢ .

١٠ - خزانة الأدب ، لعبد القادر عثمان بن عمر البغدادي ، ت ١٠٩٣هـ ، ط١ ، المطبعة الميرية ببولاق .

١١ - الخصائص ، لأبي الفتح عثمان بن جني ، ت ٣٩٢هـ ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الهدى ط٢ ، بيروت .

١٢ - ديوان الأعشى ، تحقيق محمد محمد حسين ، مكتبة الآداب ، المطبعة النموذجية ، القاهرة ١٩٥٠م .

١٣ - ديوان امرىء القيس ، بيروت .

١٤ - ديوان ذي الرمة ، تحقيق كارليل هزيا هيس ، كمبردج ، ١٩١٩م .

١٥ - ذكر معاني أبنية الأسماء الموجودة في المفصل للزمخشري ، لابن مالك ، ت ٦٧٢هـ ، تحقيق محمد تكريتي ، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، العدد ٣٣ ، ١٩٨٧م .

١٦ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم لشهاب الدين السيد محمود الألوسي ت ١٢٧٠هـ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

١٧ - سنن أبي داود ، ت ٢٧٥هـ ، راجعه وضبط أحاديثه محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار إحياء التراث العربي .

١٨ - سنن ابن ماجه ، ت ٢٧٥هـ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، نشر عيسى البابي الحلبي وشركاه .

١٩ - شرح ابن عقيل ، ت ٧٦٩هـ . دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٢٠ - شرح الكافية ، لرضي الدين الأستراباذي ، ت ٦٨٦هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط٢ سنة ١٩٧٩م .

٢١ - شرح المفصل ، لابن يعيش ، ت٦٤٣هـ .

٢٢ - شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ، لابن مالك ، ت٦٧٢هـ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، عالم الكتب ، ط٣ ، بيروت ١٩٨٣م .

٢٣ - الصحاح للجوهري ، ت٣٩٦هـ ، دار العلم للملايين ، ط٣ ، بيروت ١٩٨٤م .

٢٤ - في الأسماء المؤنثة السماعية ، لأبي بكر الرازي ، ت ٦٦٦هـ ، تحقيق محمد وجيه تكريتي ، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، العدد ٣٥ ، ١٩٨٨م .

٢٥ - الكامل في اللغة والأدب ، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ، ت٢٨٥هـ ، مكتبة المعارف بيروت .

٢٦ - لسان العرب ، لابن منظور ت٧١١هـ ، دار المعارف .

٢٧ - مختار الصحاح ، لأبي بكر الرازي ت٦٦٦هـ ترتيب محمود خاطر ، وتحقيق حمزة فتح الله ، دار البصائر ومؤسسة الرسالة ، بيروت ، دمشق ، ١٩٨٧م .

٢٨ - المذكر والمؤنث لأبي البركات الأنباري ، ت٥٧٧هـ ، تحقيق د .طارق الجنابي ط١ ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٧٨م .

٢٩ - مسألة الحكمة في تذكير قريب في قوله تعالى : ((إن رحمة الله قريب من المحسنين)) ، لابن هشام ، ت٧٦١هـ ، تحقيق د . عبد الفتاح الحموز ، دار عمار ، ط١ ، ١٩٨٥م .

٣٠ - مسألة في الاشتقاق ، لابن مالك ، ت٦٧٢هـ ، تحقيق محمد وجيه تكريتي ، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، العدد ٣٨ ، ١٩٩٠م .

٣١ - معاني القرآن للفراء ، ت٢٠٧هـ ، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار ، دار السرور بيروت .

٣٢ - معاني القرآن الكريم وإعرابه ، للزجاج ، تحقيق د .عبد الجليل شلبي ، المكتبة العصرية صيدا ، بيروت .

٣٣ - منهل الواردين شرح رياض الصالحين ، لأبي زكريا النووي ، ت٦٧٦هـ ، ط٥ ، ضبطه د .صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٧م .

رابعاً : أخبار مجمعية

الموسم الثقافي الثاني عشر

عقد مجمع اللغة العربية الأردني ، موسمه الثقافي الثاني عشر في الفترة الواقعة بين ٢ نيسان - ٧ أيار ١٩٩٤م ، ودار محوره الرئيسي حول «منهجية وضع المصطلح العربي قديماً وحديثاً» . وكانت المحاضرات فيه على النحو التالي :

١ - السبت ٢ نيسان ١٩٩٤م ، محاضرة عنوانها «وضع المصطلح العربي في علوم الفقه الإسلامي» للأستاذ الدكتور فتحي الدريني .

٢ - السبت ٩ نيسان ١٩٩٤م ، محاضرة عنوانها «وضع المصطلح في الفلسفة وعلم الكلام» للأستاذ الدكتور حسن حنفي .

٣ - السبت ١٦ نيسان ١٩٩٤م ، محاضرة عنوانها «وضع المصطلح في التراث العلمي» ، للأستاذ الدكتور محمد صالحية .

٤ - السبت ٢٣ نيسان ١٩٩٤م ، محاضرة عنوانها «نحو منهجية موحدة لوضع المصطلح العربي الحديث» ، للأستاذ الدكتور محمد هيثم الخياط .

٥ - السبت ٣٠ نيسان ١٩٩٤م ، محاضرة عنوانها «وضع المصطلح العربي في النحو الصرف» للأستاذ الدكتور تمام حسان .

٦ - السبت ٧ أيار ١٩٩٤م ، محاضرة عنوانها «وضع المصطلح العربي في البلاغة والنقد» للأستاذ الدكتور أحمد مطلوب .

المؤتمرات والندوات

أولاً : بدعوة من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، واستضافة جمهورية السودان ، شارك الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة ، رئيس المجمع ، في مؤتمر التعريب السابع الذي عقد في الخرطوم في الفترة ما بين ١/٢٥ - ١٩٩٤/٢/١م ، وألقى بحثاً بعنوان «نقل الأصوات اللغوية إلى اللغة العربية» . وقد صدر عن المؤتمر التوصيات التالية :

التوصيات العامة

١ - يؤكد المؤتمر ما سبق أن أقرته مؤتمرات التعريب الستة السابقة من ضرورة العناية باللغة العربية والتعريب ولا سيما ما يأتي :

أ - إن اللغة العربية مقوم رئيسي من مقومات وجود الأمة العربية ، وأي ضعف يصيب هذه اللغة يهدد كيان الأمة العربية ووجودها .

ب - إن اللغة العربية قد برهنت في مختلف مراحل تاريخها المديد بما لها من خصائص وبما اشتملت عليه من طاقات أنها لغة حضارة ذات أبعاد إنسانية وعالمية ، وهي لهذا مؤهلة لأن تكون لغة العلم الحديث تأليفاً وتدريساً وبحثاً وتوليداً لمصطلح .

٢ - يرى المؤتمر أن استعمال اللغة العربية في جميع المجالات والمناشط قدر لا مناص منه للأمة العربية ، ولهذا لا ينبغي أن يكتفى بوضع المصطلحات العلمية في معجمات متخصصة ، بل لا بد للتعريب من أن يتجاوز هذه المرحلة إلى وجوب استخدام اللغة العربية في جميع المجالات العلمية والتعليمية والإعلامية وفي سائر المناشط الأخرى .

٣ - وبناء على ما تقدم ، يرى المؤتمر أنه على الرغم مما حققته مسيرة التعريب حتى الآن من تقدم في الوطن العربي وتقديره لما أسهم به العلماء والمتخصصون والمؤسسات اللغوية والتعليمية ، فإنه لا بد من أن تخطو خطوة أبعد لكي تؤتي هذه الجهود ثمارها ، وهي أن تتخذ الأمة العربية قرارها على أعلى مستويات المسؤولية بإلزام جميع الهيئات التعليمية من جامعات ومعاهد عليا وسواها باستعمال اللغة العربية تأليفاً وبحثاً وتدريساً في جميع المراحل . كما ينبغي إلزام المؤسسات الإعلامية في الوطن العربي باستعمال اللغة العربية الفصيحة في وسائل الإعلام المكتوبة والمرئية والمسموعة .

٤ - يوصي المؤتمر بأن يقوم تنسيق بين المؤسسات التي تتولى التعريب ووضع المصطلحات العلمية بحيث لا يكون ثمة تعارض أو ازدواج في أعمالها ، ولهذا يحسن أن يقوم مكتب تنسيق التعريب بإنجاز مشروعاته ، خاصة في مجال المعجمات بالتعاون الوثيق مع مجامع اللغة العربية والمؤسسات التي تعنى بقضايا المصطلح والتعريب .

٥ - يوصي المؤتمر بدعم دور مكتب تنسيق التعريب دعماً مادياً ومعنوياً من قبل المنظمة والدول العربية ليؤدي دوره المنوط به في اقتدار وكفاية .

٦ - يوصي المؤتمر بدعم البلاد الإسلامية غير الناطقة بالعربية في كتابة لغاتها الوطنية بالحرف العربي .

٧ - يوصي المؤتمر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بإنشاء مؤسسة على مستوى الوطن العربي لنقل العلوم والتقنيات الحديثة إلى اللغة العربية .

٨ - يوصي المؤتمر بتشجيع مشروع الذخيرة اللغوية لأنها تمثل القاعدة الأولى من المعطيات اللغوية الحية وفق ما أوصته لجنة بحوث المؤتمر وتوصيات ندوة عمان .

توصيات خاصة :

١ - يوافق المؤتمر على مشروعات المعجمات الأربعة التي درستها اللجان المتخصصة وفق التقرير الذي وضعته كل لجنة .

٢ - يوصي المؤتمر مكتب تنسيق التعريب بالعمل على تنقيح هذه المعجمات طبقاً لما جاء في التقارير الخاصة بكل معجم تمهيداً لطبعها بصفة نهائية ، وطرحها للتداول للاستفادة منها وذلك في أقرب وقت ممكن .

٣ - يوصي المؤتمر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب تنسيق التعريب التابع لها بأن يكون الإعداد للمؤتمر دقيقاً بحيث يشرع في هذا الإعداد في وقت مناسب ، فترسل وثائق المؤتمر المعنية قبل ستة أشهر على الأقل من موعد انعقاده ، لتتمكن هذه الجهات من دراستها وتسجيل الملاحظات والمقترحات بشأنها .

٤ - يوصي المؤتمر باتباع ما توصلت إليه ندوتا : الرباط ١٩٨١م ، وعمان ١٩٩٣م ، حول منهجية وضع المصطلح العربي وتوحيده ، والعمل على تطوير هذه المنهجية وصولاً بها إلى المستوى المطلوب .

٥ - يوصي المؤتمر الجامعات والمؤسسات العربية المختصة ، والأساتذة المختصين باستعمال المصطلحات الموحدة الصادرة عن مكتب تنسيق التعريب في بحوثهم ودراساتهم ومحاضراتهم الجامعية .

٦ - يوصي المؤتمر بضرورة تدريس علم المصطلح في الكليات والمعاهد العليا للمساعدة في وضع المصطلح العربي وفق أسس علمية سليمة .

٧ - يقرر المؤتمر الموافقة على «نظام الرموز العلمية للغة العربية» الذي أقرته الندوة التي عقدها اتحاد المجامع اللغوية العربية بعمان ١٩٨٧م ، وأن يقوم مكتب تنسيق التعريب بإعادة نشره وتوزيعه على جميع الجامعات ومؤسسات البحث العلمي ومراكز التعريب في الأقطار العربية .

٨ - يوصي المؤتمر بالموافقة على نظم مقابلة الحروف العربية والإنجليزية على ضوء ما جاء في تقرير اللجنة المرفقة .

٩ - يقدر المؤتمر في الختام ما تقوم به حكومة السودان الشقيق من جهود طيبة في مجال تعريب التعليم الجامعي والعالي ، ويشيد بصفة خاصة بالدور الذي تضطلع به الهيئة العليا للتعريب في هذا المجال .

١٠ - يعرب المؤتمر في ختام أعماله عن عظيم شكره وتقديره للسيد رئيس جمهورية السودان الفريق عمر حسن أحمد البشير على رعايته المؤتمر ، وللسيد نائب رئيس الجمهورية اللواء الزبير محمد صالح على تفضله بافتتاح أعمال المؤتمر كما يتوجه بالشكر إلى حكومة السودان الشقيق للتفضل باستضافة المؤتمر وتوفير أسباب نجاحه . ويخص بالشكر والتقدير الأستاذ الدكتور إبراهيم أحمد عمر وزير التربيةوالتعليم والبحث العلمي ، والأستاذ الدكتور دفع الله عبدالله الترابي رئيس الهيئة العليا للتعريب بالسودان ومساعديه على ما أحاطوا به المؤتمر من حسن تنظيم ورعاية .

ويتوجه المؤتمر بجزيل الشكر والتقدير للأستاذ الدكتور عبد الله الطيب

رئيس مجمع اللغة العربية بالسودان ورئيس المؤتمر ، على حسن إدارته لأعمال المؤتمر .

كما يتقدم المؤتمر بعظيم الشكر والتقدير للإخوة في اللجنة الوطنية السودانية للتربية والعلوم والثقافة على جهودهم في الإعداد لهذا المؤتمر .

ويتوجه المؤتمر بجزيل شكره لمكتب تنسيق التعريب في شخص مديره الدكتور أحمد شحلان على ما بذلوه من جهود مضنية في الإعداد لهذا المؤتمر وفي تنظيم أعماله .

كما يعرب المؤتمر عن الشكر والتقدير للأستاذ الدكتور عون الشريف قاسم مقرر المؤتمر ومساعديه على ما بذلوه من جهد في إعداد هذا التقرير .

ثانيــا : شارك الأستاذ الدكتور عادل جرار ، مندوباً عن مجمع اللغة العربية الأردني في ندوة «توحيد المصطلح النفطي» التي عقدت في دمشق بدعوة من اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية وذلك في الفترة من ٩ - ١١ كانون الثاني ١٩٩٤م .

ثالثاً : بدعوة من المجمع العلمي العراقي ، شارك الأستاذ الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني ، مندوباً عن المجمع في ندوة «قضايا إشكالية في الفكر العربي المعاصر» ، التي عقدت في بغداد في الفترة ما بين ١/٣١ - ١٩٩٤/٢/١م .

رابعاً : بالتعاون ما بين جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية والمعهد العالمي للفكر الإسلامي / مكتب الأردن ، عقد في قاعة الندوات والمحاضرات في المجمع ، ندوة بعنوان «الشورى والديمقراطية» وذلك يوم الأحد الموافق ٣٠ كانون الثاني ١٩٩٤م .

خامساً : بالتعاون ما بين جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية والمعهد العالمي للفكر الإسلامي مكتب الأردن عقد في قاعة الندوات والمحاضرات ، ندوة بعنوان «تطوير مفهوم الإصلاح في الفكر الإسلامي المعاصر» ، شارك فيها الدكتور أحمد الشوابكة والدكتور فهمي جدعان وأدارها الدكتور فتحي ملكاوي ، وذلك يوم الأحد الموافق ٢٩/٥/١٩٩٤م .

سادساً : بدعوة من جمعية محبي الخط العربي ، ألقى الفنان محمد سعيد الصكار ، محاضرة بعنوان «جماليات الخط العربي ومستقبله» وذلك يوم الثلاثاء ١٤ حزيران ١٩٩٤م في قاعة الندوات والمحاضرات في المجمع .

مجمع اللغة العربية الليبي

تأسس في الجماهيرية الليبية مجمع للغة العربية في طرابلس وقد تلقى الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة ، رئيس مجمع اللغة العربية الأردني رسالة من زميله الأستاذ الدكتور علي فهمي خشيم بتاريخ ١٩٩٤/٦/٢٧م ، ونصها :

الأخ الكريم والأستاذ الفاضل رئيس مجمع اللغة العربية / عمان

تحية طيبة وبعد :

فيشرفني إبلاغكم أن قراراً قد صدر عن اللجنة الشعبية العامة بالجماهيرية العظمى ينص على إنشاء مجمع للغة العربية فيها ، ويحدد مهمته واختصاصه ، كما صدر قرار بتسمية أمينه العام .

إننا نأمل أن يكون إنشاء (مجمع اللغة العربية) بالجماهيرية العظمى خطوة أخرى في سبيل الحفاظ على لغتنا الشريفة ، وتوكيد هويتنا الثقافية العربية ، وإثراء حياتنا الفكرية ، وترسيخ ذاتيتنا القومية . كما نرجو أن يكون هذا المجمع الوليد رافداً جديداً لمجموعة المجامع الشقيقة والهيئات والمؤسسات العربية الموحدة الهدف والغاية ، المتعاونة لخير أمتنا الكبرى ورقيها وازدهارها العلمي والثقافي .

لقد وجدنا منكم كل عون ومساندة في بداية عملنا لإخراج الفكرة إلى حيز الوجود ، و لا ننسى ما لقيناه منكم من ترحيب ومساعدة ، ولا نشك

لحظة في أن هذه الروح العربية النبيلة ستظل هادينا وراعينا في المستقبل القريب والبعيد بإذن الله . ويسعدنا توثيق الصلة ما بين مجمعنا وهيئتكم الموقرة بكل السبل .

لكم - سيدي الكريم - أطيب المنى ، ولجميع صحبكم ورفاقكم الأفاضل .

مع خالص المودة والاحترام

أ .د . علي فهمي خشيم

أمين عام مجمع اللغة العربية / طرابلس

رسائل الماجستير والدكتوراه

تمت في قاعة الندوات والمحاضرات في المجمع مناقشة الرسائل التالية :

١ - رسالة ماجستير بعنوان :

«أثر النظرية النحوية في رواية الشواهد الشعرية» ، مقدمة من الطالبة ازدهار عبد الرحمن زياد ، وتألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور نهاد الموسى ، رئيساً وعضوية الأستاذ الدكتور محمود حسني والأستاذ الدكتور محمد حسن عواد وذلك يوم السبت الموافق ١٩٩٤/١/٨م .

٢ - رسالة دكتوراه بعنوان :

«الاتجاهات النقدية عند شراح المتنبي حتى القرن السابع الهجري» ، مقدمة من الطالب عدنان عبيدات ، وتألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور محمود السمرة ، رئيساً ، وعضوية كل من الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة ، والأستاذ الدكتور محمد بركات أبو علي ، والأستاذ الدكتور يوسف بكار ، وذلك يوم الأربعاء الموافق ١٩٩٤/١/١٢م .

٣ - رسالة ماجستير بعنوان :

«الصورة الفنية في شعر خليل حاوي» مقدمة من الطالب محمد سهيل عفانة ، وتألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور محمود السمرة ، رئيساً ، وعضوية الدكتور خالد الكركي ، والدكتور سمير قطامي ، وذلك يوم السبت ١٩٩٤/١/٢٩ .

٤ - **رسالة ماجستير بعنوان :**

«المبرد بلاغياً» مقدمة من الطالب ياسر محمد عطا عمار ، وتألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور محمد بركات ابو علي ، رئيساً وعضوية الدكتور عبد الكريم الحياري والدكتور محمد علي أبو حمدة ، وذلك يوم الاثنين ١٩٩٤/٢/٧م .

٥ - **رسالة ماجستير بعنوان :**

«الرضاع المحرم» مقدمة من الطالب محمد نوح القضاة ، وتألفت لجنة المناقشة من الدكتور ذياب عقل ، مشرفاً وعضوية الدكتور محمود السرطاوي والدكتور محمد القضاة ، وذلك يوم السبت ١٩٩٤/٢/٢٦م .

٦ - **رسالة ماجستير بعنوان :**

«آثار الجاحظ : دراسة توثيقية» مقدمة من الطالب محمد الدروبي ،وتألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور عبد الجليل عبد المهدي ، مشرفاً وعضوية كل من الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة ، والأستاذ الدكتور محمود إبراهيم وذلك يوم الأربعاء الموافق ١٩٩٤/٣/٢م .

٧ - **رسالة دكتوراه بعنوان :**

«الصورة الفنية في شعر البحتري» مقدمة من الطالب حسن الربابعة ، وتألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة ، مشرفاً وعضوية كل من الأستاذ الدكتور محمود السمرة والأستاذ الدكتور محمد بركات أبو علي ، والأستاذ الدكتور عبد القادر الرباعي ، وذلك يوم الأحد الموافق ١٩٩٤/٣/٦م .

٨ - **رسالة دكتوراه بعنوان :**

«شعر الديارات في القرنين الثالث والرابع الهجري» ، مقدمة من الطالب صالح الشتيوي ، وتألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة ، مشرفاً وعضوية كل من الأستاذ الدكتور محمود إبراهيم والأستاذ الدكتور حسين عطوان والأستاذ الدكتور عبد الجليل عبد المهدي ، وذلك يوم الثلاثاء الموافق ١٩٩٤/٣/٢٢م .

٩ - **رسالة ماجستير بعنوان :**

«الرسائل الديوانية في غرناطة في عصر بني الأحمر» ، تألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة رئيساً ، وعضوية كل من الدكتور جاسر أبو صفية والدكتور صلاح جرار وذلك يوم السبت الموافق ١٩٩٤/٥/٢٨م .

١٠ - **رسالة دكتوراه بعنوان :**

«المقابلة في القرآن الكريم» ، مقدمة من الطالب بن عيسى عبد القادر بطاهر ، وتألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور محمد بركات أبو علي ، مشرفاً وعضوية كل من الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة ، والأستاذ الدكتور محمود السمرة ، والدكتور محمد حسن عواد ، وذلك يوم السبت الموافق ١٩٩٤/٥/٢٩م .

الى الأخوة الكتّـاب:

يرجى مراعاة ما يلي:

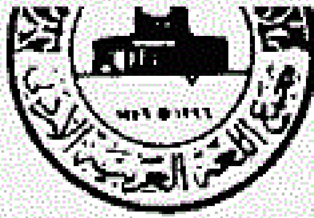
١ـ أن تقتصر البحوث على اللغة العربية، والتراث العربي الإسلامي: العلمي والأدبي والفني، وشؤون التعريب، ومراجعة الكتب المحقّقة وما إليها، والمناقشات والتعليقات المتعلقة بهذا وأمثاله.

٢ - أن يتأكّد الكاتب من سلامة اللغة، وحسن الترقيم، والتوثيق قبل إرسال بحثه للنشر.

٣ - أن تتّسم البحوث النقدية بأسلوب النقد العلمي الهادىء، الخالي من الانفعالات الحادّة التي قد تسيء الى المؤلّف أو الباحث.

٤ - أن تكون البحوث المرسلة للنشر في نسختها الأصلية، وخاصة بالمجلّة.

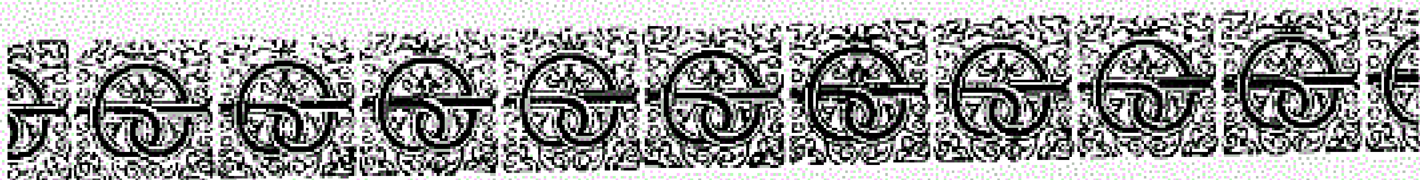
رئيس التحرير





JOURNAL

Of The Jordan Academy Of Arabic



No. 46 VOL XVIII